

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب



الثمن 100 فرنك



العدد الثاني - السنة الثالثة
تاريخ نونبر 1959 - 29 ربيع الثاني 1379

العدد الثاني
السنة الثالثة
فاتح نونبر 1959
29 ربيع الثاني 1379

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



تمثل الصورة جانبا من الحي الجامعي ، حيث توجد بعض كليات الجامعة المغربية بالرباط ، وبعض المرافق التابعة لها .

وقد احتفلت الجامعة في أواخر الشهر الماضي بافتتاح سنتها الدراسية الثالثة ، وذلك في حفل رسمي كبير اقيم بقاعة المحاضرات بكلية الآداب ؛ وترأسه صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن .

وافتتح الحفل عميد الجامعات المغربية الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي بكلمة قيمة يجد القارىء نصها داخل هذا العدد ، وتلاه على المنصة الاستاذ ارزيليس الذي القى باللغة الفرنسية محاضرة افتتاح السنة الدراسية .

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فاكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

عيد العرش

في اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الجاري تحل الذكرى الثانية والثلاثون لارتقاء جلالة الملك سيدي محمد الخامس عرش المملكة المغربية ، تلك الذكرى التى اصطلحنا على تسميتها بعيد العرش ، والتى دابنا منذ اثنتين وثلاثين سنة على ان نتخذ من يومها عيدا وطنيا بكل ما تحمله العيد الوطني من المعاني والايحاءات والافكار والمشاعر

والحقيقة ان عيد العرش في المغرب ليس مجرد فرصة للشعب المغربي ليظهر ما يكنه من الولاء والمحبة لعاهله الكريم ، وما يجده من تعلق به وايمان بعظمته ؛ وانما هو الى جانب ذلك كله فرصة سنوية لاستعراض ذلك الشريط الهائل من اعمال البطولة النادرة ، ذلك الشريط الذى اشتركنا جميعا فى صنعه من دمائنا ودموعنا ، من آمالنا والآمنا ، مع تضحياتنا بالانفس والاموال ، من استعدادنا النادر لفتح صدورنا للرصاص ، مادام ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتخليصنا من قيود العبودية والمهانة والذل فى ظل الاستعمار البغيض ، وللبلوغ بنا الى ماتصبو اليه من الانعتاق والحرية والاستقلال .

لقد كان كفاحا مجيدا ، قاده جلالة الملك نفسه بالحكمة والصبر والسياسة ، حتى اذا استنفدت الحكمة اغراضها وبلغ الصبر مداه ولم تفد السياسة وحدها فى علاج الداء المزمن الذى لايزيد مع الايام الا استفحالا ؛ قرر جلالته — كملك وقائد وزعيم ومواطن اول — ان يواجه التضحية الكبرى ، وان يقدم عرشه فداء لامته ، وان يضع شخصه الكريم واشخاص جميع افراد اسرته المحبوبة المحترمة رهن اشارة المصلحة العليا لبلاده ، فاما حياة حرة كريمة للجميع ، واما استمرار فى التضحية ، ونكران للذات ، وجهاد مستمر لاينقطع ، حتى تتحقق الامنية الكبرى ، وحتى يعلو صوت الحق على صوت الباطل ، وحتى يرغم الاستعمار مكرها على الاعتراف للشعب المغربى بحقه الكامل فى الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية .

وهكذا قال محمد الخامس للاستعمار الفرنسى كلمته التاريخية القصيرة الحاسمة : **لا** .

كانت كلمة كافية لتذهب بالبقية الباقية مما كان الاستعمار يتظاهر به من الرشد والكياسة ، كانت كلمة كافية لتزلزل عقل الاستعمار ، وتسلمه الى التخبط فى ظلمات حالكة من العمى والضلال .

واخيرا ، وعندما آذنت شمس الاستعمار بالمغيب ، اقدم فى جراة وارتجال على فعلته النكراء ، وتطاولت يده الاثيمة الى سيد البلاد وملكها وقائدها فى معركة الحرية والكرامة ، فلم تجد هيابا ولا وجلا ، ولم تجد نفسها امام رجل قد يقعد به عن الغايات المجيدة التى وضعها نصب عينيه تهالك على المال او خلود الى الراحة او تعلق بأبهة الملك وجلال السلطان ، وانما وجدت مؤمنا صادقا ، وقائدا شجاعا ، وزعيما

حقا ، ووطنيا مثاليا ، وجدت امامها رجلا من الرجال الكبار الذين يدخرهم التاريخ للملمات والازمات العظيمة .

وجدت امامها : محمدا الخامس .

وقال الاستعمار : انه المنفى باهواله والامه وتخلفه ، انه المجهول الذى لايدرك له كنه ، ولا تعرف له غاية .

وقال محمد الخامس : المنايا ولا الدنايا ، ومرحبا بالمنفى واهواله ، ومرحبا بما عسى ان يكون بعد المنفى من تضحيات محتملة .

*

وهكذا انتهت معركة من الكفاح لتبدا معركة اخرى اشد هولا واكثر مرارة ، وكان الذى اذن بافتتاح المعركة الثانية هو الاستعمار نفسه ، وذلك عندما ذهب مع حماقته الى مداها ، فابعد جلالة الملك عن عرشه وشعبه ، وقاده واسرته الكريمة — فى وقاحة منقطعة النظير — اسرى الى منفاهم السحيق .

*

وكان الشعب المغربى وفيا كل الوفاء ، جديرا بالتضحية التى اقدم ملكه على احتمالها فى سبيله بصبر وشجاعة ، فخاض الكفاح المسلح ، وضرب للعالم مثلا فريدا من نوعه فى البطولة والصبر والصمود ، واقسم لايضع السلاح حتى يعود محمد الخامس الى عرشه وشعبه ، وحتى يتحقق للبلاد استقلالها .

وكان ما اراده الشعب ، ورسمه فى دقة ، وصمم على الوصول اليه مهما تكن العقبات التى تعترض طريقه .

لقد تم النصر ، وتحقق الاستقلال ، وعاد محمد الخامس ليخوض بشعبه مرة اخرى معركة البناء والتنظيم ، واستكمال السيادة ، والاجهاز على الرواسب الاستعمارية فى ميادين الفكر والاقتصاد ، وفى كل ميدان .

*

واليوم ، ونحن نحتفل بالذكرى الثانية والثلاثين لعيد العرش ، ونحتفل فى نفس الوقت بمرور اربع سنوات على عودة جلالة الملك واسرته الكريمة من منفاهم السحيق ، لا نجد بدا من ان نستعرض مرة اخرى هذا الشريط الهائل المجيد ، وسنظل نستعرضه ، وسنقص تفاصيله على اولادنا واحفادنا ، وننقل اليهم مشاعرنا كلها خلال المعركة الطويلة ، وننقش فى ذواكرهم اسماء الشهداء الابطال الذين سقطوا فى ميدان الشرف ليتركوا لهم المجد والحرية والكرامة ، وسنعلمهم ان من العظيم جدا ان ينتزع شعب من الشعوب استقلاله من قاهريه والمتسلطين عليه ، وانه ليس اعظم من ذلك الا ان يعرف هذا الشعب كيف يحافظ على استقلاله ، وكيف يدعمه بالاعمال البنائية الايجابية الهائلة ، وكيف يصونه من كيد الكائدين واطماع الطامعين ، وكيف يتغلب فى سبيل الحفاظ عليه على نوازع الهوى والشر والانحرافات .

سنذكر كل ذلك فى مثل هذه المناسبة من كل سنة ، لاننا كلما احتفلنا بالعرش ، فنحن نحتفل في نفس الوقت بمعركة الحرية التي كان العرش دائما على راسها وفي مركز القيادة منها ، ونحن نحتفل فى نفس الوقت بالنصر الذي اعقب المعركة ، وبالآمال العريضة التي نعلقها جميعا على المستقبل ، والتي ستتحقق لا محالة مادام العرش والشعب يسيران معا فى الطريق جنبا الى جنب ، يشد كل منهما من ازر الآخر ويقوي عزيمته ، ويبادله اخلاصا باخلاص وحبا بحب ، ووفاء بوفاء .

*

ان العرش بالشعب ، وان الشعب بالعرش ، هذه حقيقة آمنا بها جميعا منذ البداية ، وعرضتها الايام على محك الاختبار فلم تزد على الايام الا رسوخا وثباتا وقوة ، وستظل هذه الحقيقة نصب اعيننا جميعا — عرشا وشعبا — لانها وحدها الضمان لمستقبل مزدهر كما كانت وحدها الضمان لماض مجيد .

ان العرش بالشعب وان الشعب بالعرش ، هذه حقيقة لم نؤمن بها وحدنا ، وانما آمن بها معنا خصومنا ايضا ، فقد كان الاستعمار طيلة مدة المعركة يعلم عن يقين انه لن ينجح فى مهمته الا بالتفريق بين العرش والشعب ، وحمل كل واحد منهما على ان يسيء الظن بصاحبه ، ولم ينجح الاستعمار فى شيء من ذلك برغم قوته ودهائه وتنوع اساليبه ، ومستحيل ان تنجح فى ذلك اية قوة اخرى مادام العرش والشعب معا مصممين على ان يسيرا فى الطريق حتى النهاية .

دعوة الحق

دراسات إسلامية



التوحيد والرسالة والخلافة هي دعائم ثلاث يقوم عليها بناء نظام الاسلام السياسي . وليس من الميسور ان نحيط بنظم السياسة الاسلامية بجميع فروعها وشعبها الا اذا فهمنا هذه المباديء — التوحيد والرسالة والخلافة — حق الفهم . فيجمل بي ، قبل كل شيء ، ان اتعرض لشرحها ، واحدة بعد اخرى ؛ متحريا فى ذلك الايجاز .

التوحيد : اما التوحيد فمعناه ان الله تعالى هو الخالق لهذا العالم ومن فيه من بني آدم . فهو ربهم ومالكهم ، وليس الحكم والسلطان والامر والنهي الا له وحده . وهو مستأثر بالطاعة والعبودية ولا يشاركه فيهما احد سواه . ثم ان نفوسنا التي بها حياتنا وقوانا ومواهبنا التى نستخدمها فى مانشاء وحقوقنا التى نتصرف فيها فى هذا الكون وهذا الكون الذي نتصرف فيه ؛ ليس شيء من ذلك خلقناه واوجدناه من تلقاء انفسنا او اوتيناه على علم من عندنا . بل الله تعالى هو الذى اكرمنا بكل ذلك من غير ان يشاركه فى ذلك احد . فلا يحل لنا فى قليل ولا كثير ان نعين غاية هدايتنا او نقيم حدودا ومنازل لقوانا وحقوقنا حسب مانشاء ونرضى ، وكذلك لايجوز لاحد ، كائنا من كان ، ان يتصدى لذلك ويتدخل فيه ، بل انما يرجع كل ذلك خاصة الى الله تبارك وتعالى ، فانه هو الذي ، وحده ، فطرنا واودعنا هذه الحقوق والادوات ومكننا من التصرف فى كثير مما خلق فى هذه الدنيا .

هذا هو التوحيد . وهو ينفي ، كما ترى من شانه ، فكرة حاكمية البشر ويريد القضاء عليها قضاء مبرما ، وسواء اكانت هذه الحاكمية لفرد من الافراد او طبقة من الطبقات او بيت من البيوتات او امة من الامم او لجميع من على ظهر هذه الارض من ابناء البشر . الحاكمية لايستحقها الا الله وحده عز وجل . فلا حاكم الا الله ولا حكم الا حكمه ولا قانون الا قانونه .

الرسالة : اما الرسالة فهى الوسيلة التى يصل بها الينا القانون الالهي . فالذي تلقيناه بواسطتها شيآن . اولهما كتاب الله الذي بين فيه قانونه . والثاني شرح لهذا الكتاب وتفسير له مستند قدمه الرسول بقوله وفعله من حيث انه نائب عن الله وخليفته فى هذه الدنيا .

اما الكتاب فقد بين الله فيه من الاصول والمباديء جميع ماينبغي ان يقوم عليه نظام الحياة الانسانية . واما مانحتاج اليه بعد ذلك من الشرح والبيان لتلك الاصول والمباديء فقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ومثله فى حياته تمثيلا بتأسيس نظام للحياة الانسانية وتدبيره وفق مااقتضاه الكتاب ، حتى يكون ذلك اسوة حسنة لمن بعده . فمجموع هذين الاصلين يسمى فى المصطلح الاسلامي «بالشريعة» . فهذا هو الدستور الاساسي الذي ينهض عليه صرح المملكة الاسلامية .

الخلافة : اما الخلافة فهي فى لغة العرب تطلق على النيابة . فمنزلة الانسان فى هذا الكون من الوجهة الاسلامية انه خليفة الله ، اي نائب عنه فى مملكته لايتصرف فيها الا طبقا لحق الاستخلاف والتصرف الذي وهبه الله اياه . اولا ترى انك اذا وكلت الى احد امر ضيعتك وجعلته نائبا عنك فيها ، تكون واثقا من نفسك باربعة امور : اولا انك انت صاحب الضيعة ومالكها الحقيقي ، لا هذا الذي وكلت اليه امرها .

ثانيا انه يجب على هذا الرجل ان يتصرف فى ملكك حسب ما امرته به انت وارشدته اليه . ثالثا انه لاينبغي له ان يشق عصا طاعتك ويتعدى الحدود التي اقمت له ولعمله ، ورابعا ان من واجبه فى هذه الضيعة ان يقضي منها ماتريد قضاءه انت لا مايريد هو نفسه .

فهذه الامور الاربعة قد اندمجت فى تصور النيابة اندماجا تاما ، حتى انها تتخيل للمرء بمجرد ماينطق بكلمة ، النيابة ، وتفوه بها . فاذا رايت نائبا لايفي بهذه الشروط الاربعة ولا يؤدي واجبه وفق مقتضاها ، قلت انه تجاوز حدود النيابة ونقض الميثاق الذي تتضمنه النيابة . فهكذا ترى هذه الامور الاربعة نفسها مضمرة فى تصور كلمة «الخلافة» . والاسلام لايريد بالخلافة اذا قال ان الانسان خليفة الله فى الارض الا هذا المعنى بعينه . فلا تكون المملكة التي تقوم بموجب هذه النظرية السياسية الا الخلافة الانسانية تحت السلطان الرباني الالهى ، وانما تكون غايتها المنشودة تحقيق مشيئة الرب تعالى وارادته مقتدية بهدايته من غير ان تتجاوز الحدود التي اقامها لها ولعملها .

ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان الاسلام لاينوط امر «الخلافة» بفرد من الافراد او بيت من البيوتات أو طبقة من الطبقات ، بل يفوض امرها الى جميع افراد المجتمع الذى يؤمن بالمبادىء الاساسية من التوحيد والرسالة ويظهر كفاءته واستعداده للقيام بكل ماتنطوي عليه كلمة «الخلافة» وتقتضيه . فاذا وجد فى الدنيا مجتمع متصف بهذه الصفات ، فلا ريب انه جدير بالخلافة . وان هذا هو المقام الذي تنشا فيه وتبتديء منه فكرة الجمهورية فى الاسلام . فكل واحد من افراد المجتمع الاسلامي له نصيب من الخلافة وحق فى التمتع بها . وهذه الحقوق سواء فيها جميع افراد المجتمع كاسنان المشط . وكذلك لايحل لاحد ان يحرم هذه الحقوق من شاء من افراد المجتمع . فالظاهر ان كل حكومة تتهيا لتسيير دفة هذه المملكة وادارة امرها لاتاتلف ولا تتشكل الا بآراء الجمهور وتاييدهم ، وهم الذين يخولونها جانبا من حقوقهم — حقوق الخلافة . فلا تتشكل الا بآرائهم ولا تعمل عملها الا بتاييدهم ومشورتهم . فمن نال رضاهم وحاز ثقتهم ، ينوب عنهم فى القيام بواجبات الخلافة . ومن فقد ثقة افراد المجتمع به ، لامندوحة له عن اعتزال هذا المنصب الجلل . فالجمهورية الاسلامية اذن جمهورية كاملة بالغة فى الكمال مبلغا ليس وراءه من غاية ، غير ان الذي يميز الجمهورية الاسلامية من الجمهورية الغربية السائدة المعروفة اليوم فى العالم ، ان نظرية الغرب السياسية تقول بحاكمية الجمهور ، والاسلام يقول بخلافة الجمهور . وبيان ذلك ان حقوق الحكم والامر فى الجمهورية الغربية يستبد بها الجمهور ، وهم الذين يمتلكون ناصيتها ، فيسنون وينفذون فى الارض مايشاؤون من القوانين والشرائع ، وان قصارى ماتهدف اليه حكومتهم انما هو ارضاء عامة سكان المملكة وجلب تاييدهم وقضاء مشيئتهم . والاسلام ، بخلاف ذلك ، ليس الحكم والامر فيه الا لله وحده ، فهو الذي يستاثر بحق وضع القانون والشريعة لعباده من غير مشارك ولا منازع . اما الجمهور فليست منزلتهم فى الاسلام الا كمنزلة الخلفاء الذين يضطرون بطبيعة منزلتهم ان يقتفوا آثار الشريعة الالهية التي جاء بها الرسول من عند ربهم ولا يحيدوا عنها قيد شعرة . ولا تكون غاية من شكلوها والفوها من الجمهور الا ابتغاء وجه الله تعالى وتنفيذ امره فى ارضه . وخلاصة القول ان الجمهورية الغربية تتبوا منصب الالوهية عتوا واستكبارا فى ارض الله بغير ما حق وتستخدم قواها ونفوذها حسب ما شاءت وشاء اعضاؤها . وان الجمهورية الاسلامية عبودية اجتماعية لله تبارك وتعالى مقيدة بحبائل شريعته لا تستعمل قواها ونفوذها الا فى ضمن الحدود التي اقامها لعملها مقتدية بالهداية الربانية .

فالآن اريد ان اعرض — على وجه الايجاز — صورة واضحة للمملكة التي يقوم بناؤها على دعائم التوحيد والرسالة والخلافة هذه .

ان غاية هذه المملكة — كما بين الله تعالى فى عدة مواضع من كتابه العزيز — ان تقيم المآثر والمكارم التي يحب الله ان تتحلى بها الحياة البشرية وتبث خيراتها وتبذل الجهد المستطاع فى رقيها وتعميم ميراتها ، وان تستاصل وتنفي عن الارض كل مايبغضه الله من الفواحش والمنكرات وتطهرها من شوائبها وادناسها . فالاسلام ماجاء ليقيم فى هذه الدنيا مملكة من حيث انها مملكة ويعني بتدبير شؤونها وادارة امرها فقط ، ولا لان يهتم بمصالح امة من الامم دون سائرها ويستنفد جهوده وحيله فى تحقيق مطالبها الاجتماعية . كلا ، ليس الامر كذلك ، بل الحق ان الاسلام يضع بين يدي مملكته التي يقيمها وفق مبادئه واصوله غاية اسمى وارفع من ذلك بكثير ويحتم عليها ان تستخدم فى سبيل تحقيقها كل مايتسنى لها من

الوسائل وما اوتيت من القوى ، وذلك ليظهر ما يحب الله ان تتزين به حياة عباده فى ارضه وتصطبغ بصبغته من النزاهة والجمال والخير والرشد والفلاح والسعادة ويقضي على كل مايتوقع منه ان يكون مبعث فساد فى الارض ويأتي على مصالح عباد الله من صنوف الشر والفوضى والاباحية . وكذلك يعرض علينا الاسلام صورة واضحة للشر والخير ، حتى يمكننا ان نرى فى مرآتها هذه المصالح المرضية وهذه الفواحش المنكرة المبغضة . فالمملكة الاسلامية اذن تستطيع فى كل عصر وفى كل بيئة ان تضع برنامجها الاصلاحي اذا وضعت امام عينها هذه الصورة الواضحة للشر والخير .

والذي يقتضيه الاسلام اقتضاء ويطالب ابناءه بالاستمساك به ان لايحيدوا عن المباديء الخلقية فى شأن من الشؤون . فهكذا يعين لمملكته خطتها الوثيقة الدائمة ان لاتكون سياستها مبنية الا على الصدق المحض والعدالة الناصعة والامانة النقية الطاهرة . وهو لايرضى فى حين من الاحيان ان تركن مملكته الى شيء من الغدر والغش والاعتداء تحقيقا لمصالحها الوطنية او الادارية او القومية . وهو يؤثر الحق والامانة والعدل على المآرب والاهواء والاغراض فى كل مايعرض له من الاواصر والصلات بين الراعي والرعية فى داخل البلاد وبين امة واخرى فى خارجها . فيعهد الى المملكة الاسلامية والذين يقومون بأمرها — كما يعهد الى الفرد المسلم — ان اوفوا بعهودكم اذا عاهدتم واوفو الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم . ولا تفعلوا الا ماتقولون ولا تقولوا الا ماتفعلون . ولا تنسوا مالغيركم من الحقوق عليكم ، كما لاتنسون ماعليهم من الواجبات لكم . ولا تجعلوا الصولة والمنعة وسيلة للظلم والشطط والاعتداء واجعلوها وسيلة لاقامة الحق والعدل . واعلموا ان الحق حق فى كل حال ، فسارعوا الى ادائه ، وان السلطان وديعة من الله ، فلا تستعملوه الا وانتم مستيقنون انكم محاسبون عليه بين يدي ربكم حسابا كاملا — » .

ثم ان المملكة الاسلامية ، وان قامت فى ناحية خاصة من نواحي الارض وفى قطر من اقطارها ، لا تحدد الحقوق البشرية ولا الحقوق المدنية بالحدود الجغرافية . اما البشرية مثلا ، فيضع لها الاسلام عدة من الحقوق السياسية ويأمر بمراعاتها والمحافظة عليها فى كل حال ويوجبها لكل انسان على وجه الارض، سواء اكان هذا الانسان ممن يسكن داخل المملكة الاسلامية او خارجها ، عدوا كان او صديقا ، متوددا كان لها او معاندا لها بالحرب . والذى يهمه فى هذا المقام انما هي حرمة الدم البشري ، فانه محرم فى كل حين ولا يجوز سفكه الا بالحق ولا يحل فى شريعته الاعتداء على النساء والاطفال والعجزة والمرضى والجرحى فى اي حال . وحرمات النساء واعراضهن مما يجب الذب عنه والاحتفاظ به ، لايجوز انتهاكها والاعتداء عليها ابدا . وكذلك من حق الجائع ان يطعم ومن حق العاري ان يكسى ومن حق الجريح ان يداوى ومن حق المريض ان يواسى ، وان كان هذا الجائع والعاري والجريح والمريض من قوم عدو للمملكة متربصين بها الدوائر . فهذه وامثالها من الحقوق الاخرى انما قد انعم بها الاسلام على الانسان من حيث انه انسان، ولها منزلة الحقوق الاساسية فى دستور المملكة الاسلامية .

اما الحقوق المدنية فلا يخص بها الاسلام من ولدوا فى داخل المملكة الاسلامية فحسب ، بل الحقيقة ان كل مسلم ، ايا كان مولده ومنبته يخوله الاسلام التمتع بالحقوق المدنية بمجرد دخوله فى حدود المملكة الاسلامية ، ولا يكون حظه منها دون حظوظ الذين ولدوا فى تلك المملكة وكانوا اهلها كابرا عن كابر . ومهما تعددت الممالك الاسلامية فى مختلف ارجاء الارض وكثر عددها ، فلا بد لها جمعاء ان يكون اهلها مشتركين فى الحقوق المدنية . والمسلم لايحتاج ابدا الى جواز السفر حينما اراد الدخول فى مملكة من هذه الممالك ، بل يمكنه فيها ان يترقى الى ما استطاع ويتأهل لمناصب المسؤولية العليا من غير ان يكترث لشيء من نسبه وعشيرته وطبقته التي ينتمي اليها .

والذين يقطنون المملكة الاسلامية من غير المسلمين قد عين الاسلام لهم حقوقا عديدة ، وهي بطبيعة الحال جزء لازم من اجزاء الدستور الاسلامي ولا تنفك عنه ابدا . فيقال لامثال هؤلاء من غير المسلمين فى المصطلح الاسلامي «اهل الذمة» وهم الذين ضمن لهم الاسلام المحافظة على انفسهم . فلا ريب ان نفوس اهل الذمة واموالهم واعراضهم محرمة، كما تحرم نفوس المسلمين واموالهم واعراضهم ولا فرق بين المسلمين واهل الذمة فى شيء من القوانين الجنائية والمدنية . ولا يحل للمملكة الاسلامية ان تتدخل فى شيء من القوانين الشخصية لاهل الذمة ولهم حرية فى عقائدهم وافكارهم وعباداتهم وشعائرهم الدينية .

فهذا غيض من فيض من الحقوق التي اعطاهــا الدستور الاسلامي رعيته من غير المسلمين ، وهــي من الحقوق المستقلة الثابتة التي لايجوز انتزاعها منهم وسلبهم اياها ماداموا فى نطاق ذمتنا وتحت حمايتنا . ومهما اضطهدت مملكة غيـر مسلمة رعيتها المسلمـة واذاقتهم صنوفا من القهر والعذاب ، فلا يجوز لمملكة اسلامية بازاء ذلك كله ان تعتدي على رعيتها من غيـر المسلمين وتحرمهم حقوقهم خلافا للشريعة الاسلامية ونقضا للمواثيق . ولعمر الحق لو قتل كل مسلم خارج مملكتنا ، لايحل لنا ابدا ان نريق فى حدود مملكتنا ولو دم فرد من اهل الذمة الا بالحق .

ويفوض امر ادارة المملكة الاسلامية وتسييـر دفتها الى امير يضارع فى منصبه والقيام بامر المملكة رئيس الجمهوريات فى هذا العصر . فكل من آمـن بمبادىء الدستور وسلمها تسليما ،فمن حقه اذا كان بالغا اشده أن يبدي رايه فى انتخاب الامير . والـذي يلاحظ بصفة خاصة فى انتخاب الامير هــو التقـوى والمعرفة التامة بالاسلام والاهلية الكاملة لتدبير امـور الامة فى السلم والحرب . فلا يناط منصب الامارة الا بمن كان متخلقا بهذه الصفات مستوفيا لها ، وكــان حائزا لثقة الامة اكثر من غيره . ثم ينتخب لمساعدته مجلس الشورى الذي ينتخب اعضاؤه عامـة افـراد المجتمع . والامير حتم عليه ان يسوس البلاد بمشاورة اهل الحل والعقد ــ اعضاء مجلس الشورى . وهـو امير مادام مزودا بثقة الامة واعتمادها عليه . اما اذا فقدها واضاعها ، فلا بد له ان يتخلى عـن منصبه . غير انه لايزال على ذروة الامر مسموع الكلمة مطـاع الامر نافذ القول مادام مزودا بثقة الامة ، بل يجوز له فى تلك الحال ان يستأثر بحق الرفض والرد ويرفض آراء سائر اعضاء المجلس فى امر يرى فيه ان الحـق على خلاف مايرون . ومن حق عامة اهـل البـلاد ان ينتقدوا حكومة الامير اذا راو فيها ماينتقد .

اما التشريع ووضع القانون فى المملكة الاسلامية ، فلا يكون الا فى ضمن الحدود التي اقامتها الشريعة ولا يتجاوزها ابدا . والذي انزله الله وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الواجب ان تنقاد لهما الامـة انقيادا كاملا . فلا يحل لمجلس من المجالس التشريعية ان يحدث فيهما ادنى تغيير . اما الاحكام التي تحتمل وجهين فصاعدا ، فمن وظيفة الذين يتفقهون فى الدين ان يستجلوا فيها وجه الحق والصواب ويدركوا مــا ارادت من ورائها الشريعة الغراء . فهذه الامور ــ وما كان على نمطها ــ ترد الى لجنة من العلماء والفقهاء تحت مجلس الشورى . ثم نجد بعد ذلك مجموعة عظيمـة للامور التي لم تنص عليها الشريعة نصا خاصــــا ، فلمجلس الشورى ان يضع لها القوانين فى ضمن الحدود الشرعية .

والقضاء فى الاسلام لا سلطان عليه لهيئة الحكومـة التنفيذية ولا للامير ، فان من يتولاه ينوب عن الله عز وجل وهو مسؤول بين يديه راسا . والقاضي ــ وان قامت بتوليته الحكومة ــ اذا تبوا منصبه فى مجلـس القضاء ، لا يحكم بين الناس الا بما انزله الله وارشد اليه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون فى مأمن من صدعه بالحق وعدله حتى رجال الحكومة انفسهم، ولابد لرئيس الحكـومة نفسه أن يحضـر بين يديـه كشأن عامة اهل البلاد اذا كان مدعيا او مدعى عليه .وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

روح القانون وحرفيته

بحث في قول الرسول صلى الله عليه وسلم

البينة على المدعي، واليمين على من أنكر

للأستاذ محمد الطنجي

ان القوانين الوضعية مثل الشرائع السماوية المتعلقة بالاحكام كلاهما يقصد به اقامة العدالة بين الناس ،وايصال الحق لصاحبه وانما تمتاز الشرائع السماوية بقداستها وتنزهها عن الاغراض والشهوات الشخصية ، واعتبار ماوقع عليه النص حكما من الله، ويلتمس ، ويتخذ لهذه الغاية النبيلة التي هي ايصال الحقوق لاصحابها الوسائل التي يتوصل بها اليها ومن جملتها مايسمى في لسان الشرع الاسلامي بالبينة ؛ فحديث (البينة على المدعي واليمين على من انكر) شاع بين الناس، وفي جميع الاوساط الاسلامية حتى تداولته السنة العوام ، وقد اخرجه البيهقي بهذا اللفظ ، وقال الحافظ ابن حجر ان اسناده صحيح ، واقره صاحب نيل الاوطار كما وردت احاديث اخرى بمعناه، الا ان بعض الناس ، وبعض القضاة يفهمون ان البينة هي (الشهود) الذين يشهدون لاحد المتداعيين ، والحق ان البينة اعم من الشهود المعروفين وان القضاة اذا اقتصروا على الحكم بواسطة الشهود فقط اضاعوا حقا كثيرا ؛ وقد سئل الحافظ ابن القيم الجوزية عن الحاكم او الوالي يحكم بالفراسة ، والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالامارات ، ولا يقف مع مجرد البينات والاحوال ، فاجاب بان هذه مسالة كبيرة عظيمة النفع جليلة القدر ، ان اهملها الحاكم او الوالي اضاع حقا كثيرا واقام باطلا كبيرا ؛ وان توسع وجعل معوله عليها دون الاوضاع الشرعية وقع في انواع من الظلم والفساد ، وقال في موضع آخر ان الشريعة لاترد حقا ، ولا تكذب دليلا ولا تبطل امارة صحيحة ، وقد امر الله سبحانه بالتثبت في خبر الفاسق ، ولم يامر برده جملة فان الكافر الفاسق قد تقوم على قوله شواهد الصدق فيجب قبوله والعمل به ، وقد استاجر النبي (ص) في سفر الهجرة دليلا مشركا على دين قومه لانه خبير بالطريق يدل عليها فامنه ، ودفع اليه راحلته ، لايجوز لحاكم ولا لوال رد الحق بعد ماتبين وظهرت امارته بقول احد من الناس ، والمقصود ان البينة في الشرع اسم لما يبين الحق ويظهره .. هذا قول ابن القيم وقد ختم بحثه هذا بنصه : (فقوله (ص) البينة على المدعي اي عليه ان يبين صحة دعواه ، فاذا ظهر صدقه بطريق من الطرق حكم له به ؛ وبهذا التوجيه الرشيد نفهم جيدا ان المحافظة على روح القوانين والشرائع فوق اعتبار حرفيتها وشكليتها وقد وقعت اغلاط لجماعة من القضاة والمفتين ، وقفوا مع حرفية القوانين حيث اعتبروا ان الشارع انما كلفهم بذلك ، فينبغي التنبيه على بعضها حتى لايغتر الناس ، ولا نقر القضاة من المالكية بذلك ، وحتى يعلم المثقفون في معاهد القوانين غير الاسلامية ان الاسلام يهدف الى روح العدالة فوق شكليتها ، وان كان لايهمل حرفية القوانين فمن ذلك ان شيخ الجماعة ببجاية السيد حسن بن علي المسيلي الذي كان يسمى ابا حامد الصغير مرض في زمن ولايته للقضاء فاستناب حفيده على الاحكام ، وكان له نبل ، فتحاكمت عنده يوما امرأتان ادعت احداهما على الاخرى انها اعارتها حليا ، وانها لم تعده اليها ، وانكرت الاخرى فشدد على المنكرة واوهمها ، حتى اعترفت ، واعادت الحلي وكان من سيرة هذا الحفيد انه اذا انفصل عن مجلس الحكم

يدخل لجده الفقيه ابن علي ، ويعرض عليه مايلقى من المسائل ، فدخل عليه فرحا ، وعرض عليه هذه المسألة، فاشتد تكير الفقيه رضي الله عنه ، وجعل يعتب على نفسه تقديمه وقال لـه : (انما قال النبي البينة على المدعي ، واليمين على من انكر) واستدعى شاهدين واشهد بتأخيره عن النيابة عنه في الحكم) قال الشيخ احمد بابا السوداني الذي نقل عنه هذه القضية : وهذا من ورعه ، ووقوفه مع ظاهر الشرع ، وعلى هذا يجب ان يكون العمل وهو مذهب مالك ، وظاهر مذهب الشافعي تجويز مثل هذا فانه يرى ان القصد انما هو الوصول الى حقيقة الامر ، باي شيء وصل اليه حصل المقصد ، ولاجل هذا يجوز قضاء الحكام بعلمهم ، والحق خلافه ، لحديث : (فانما اقضي له على نحو ما اسمع). وفي نفس هذا التعليق على قضية ابي علي راي آخر لاصحاب مالك حيث انهم مالوا الى تقرير المتهم بما يراه الحاكم من الوسائل ، وقد نقل ابن القيم عن ابي الوفاء بن عقيل مانصه : (ومال اصحاب مالك رحمه الله الى التوصل بالاقرار بما يراه الحاكم ، وذلك مستندا الى قوله تعالى : (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت) وعلى هذا ما ايده الشيخ السوداني من كون الحق هو في الوقوف مع حرفية النص الظاهر، لايسلم له ، بل اجراء التحقيق مع المتهمين بغاية الدقة هو المنهج الصحيح في الشرع الاسلامي ، يدل على ذلك نقض امير المومنين سيدنا علي كرم الله وجهه لحكم صدر عن قاضيه شريح على اساس الشكل الظاهر ، وذلك باجرائه تحقيقا ظهر به الحق ، فقد نقل اصبغ بن نباتة ان شابا شكا الى علي رضي الله عنه نفرا فقال : ان هؤلاء خرجوا مع ابي في سفر فعادوا ولم يعد ، فسألتهم عنه فقالوا مات ، فسألتهم عن ماله فقالوا ماترك شيئا ، وكان معه مال كثير، وترافعنا الى شريح فاستحلفهم وخلى سبيلهم ، فدعا علي بالشرطة فوكل بكل رجل رجلين ، واوصاهم ان لايمكنوا بعضهم ان يدنو من بعض ولا يمكنوا احدا يكلمهم ودعا كاتبه ودعا احدهم فقال اخبرني عن ابي هذا الفتى ، اي يوم خرج معكم ، وفي اي منزل نزلتم، وباي علة مات ، وكيف أصيب بماله ، وساله عمن غسله ، وكفنه ، ومن تولى الصلاة عليه واين دفن ، ونحو ذلك ، والكاتب يكتب ، فكبر علي ، وكبر الحاضرون ، والمتهمون لاعلم لهم ، الا انهم ظنوا ان صاحبهم قد اقر عليهم ، ثم دعا آخر بعد ان غيب الاول عن مجلسه فسأله كما سأل صاحبه كذلك ، حتى عرف ماعند الجميع فوجد ان كل واحد منهم يخبر بضد ماأخبر به صاحبه ثم امر برد الاول فقال ياعدو الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة الا الصدق ، ثم امر به الى السجن ، وكبر وكبر معه الحاضرون فلما ابصر القوم الحال لم يشكوا ان صاحبهم قد اقر عليهم ، فدعا آخر منهم فهدده فقال يا امير المؤمنين والله لقد كنت كارها لما صنعوا ، ثم دعا الجميع فاقروا بالقصة ، واستدعى الذي في السجن، وقيل له قد اقر اصحابك ، ولا ينجيك سوى الصدق فاقر بكل ما اقر به القوم فاغرمهم المال ، واقاد منهم بالقتيل اي قتلهم قصاصا من اجل جناية القتل التي ارتكبوها انتهى ... نقله الحافظ ابن قيم في كتابه النفيس (الطرق الحكمية) وبهذا يتبين ان اجراآت التحقيق في القضايا المهمة هي من صميم مناهج تطبيق الحكم الاسلامي ، وان مايدعيه بعض الفقهاء من الوقوف مع حرفية النصوص هو فهم فيه قصور كبير ، وتضييع لكثير من الحقوق كما كانت ستضيع قضية القتل التي حكم فيها القاضي شريح على نزاهته ، وجلال قدره ،لو لم يكن فوقه الامام علي الذي كشف الحق ، وابان ان ولاة الامور قد يعينون المدعي بما لديهم من الوسائل حتى تتجلى بينته التي تشهد بحقه ، ولو كان اقرارا من خصمه وقع التوصل اليه عند قوة التهمة بالوسائل المناسبة .

اما قول النبي واليمين على من انكر فان هذا الموضوع شائك ... اذ يكاد قانون التشريع الاسلامي، ينفرد باستخدام اليمين بين القوانين الاوربية لمقاصد قد لا تحصل بدونها واذا كنا بصدد الكلام على بينة المدعي، قد اوضحنا ان الصواب اعانة المدعي بالكشف الذي يتولاه ولاة الامور حتى تستبين بينته وتتضح حقيقة دعواه فيحكم له بحقه، كما تفعل ادارة الامن في خصوص الجنايات ، حيث ان ذلك من صميم تطبيق مناهج الشرع الاسلامي ، فان الشأن فيما يتعلق باليمين التي اعتبرها الشرع الاسلامي ، ينبغي ان تعتبرها القوانين الاخرى ، او بعبارة اوضح ينبغي ان يعتبرها القانون المغربي الذي يطبق في المحاكم المغربية فيما يتعلق بالمعاملات لما لها من الفوائد التي تنكر ...

ذلك انا نشاهد رؤساء الجمهوريات يحلفون يمين الاخلاص للدساتير الاساسية لاممهم ، وكذلك الوزراء عند توليتهم يحلفون هذا اليمين ، سواء في الشعوب الملكية او الجمهورية وكذلك التراجمة حتى انهم يسمون التراجم المحلفين ، وكذلك رجال الامن العام ، والشهود ، وان كان هؤلاء يقسمون بشرفهم ، فان القسم بالله اعظم ، واولى ، في ردع النفوس عن مخالفة ما

تتعهد بقوله ، او المحافظة عليه ، وقد كان الرسول نفسه يقسم على بعض الامور ، مثل قسمه على المساواة في القانون بين الشريف والمشروف ، بقوله : «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » ... وقد كانت الايمان سواء كانت قسما بالله ، او التزاما يلتزم به الشخص ويرتب على مخالفته بعض اعماله ، كعتق مماليكه او طلاق زوجته ، او الصدقة بامواله ـ تقول : كانت هذه الايمان تعقد في بيعات الملوك على الشخصيات التي يخشى منها القيام على الملوك بالمخالفة ، وخالع البيعة والطاعة ، وفي شانها افتى الامام مالك ببيان طلاق المكره لا يلزم ، فعوقب بالتطويف به في الاسواق وضربه فيها على مرأى ومسمع من الناس المشاهدين ، فكانت محنته رضي الله عنه محنة سياسية جرها عليه قول الحق ، واخلاصه له ...

ولكون اليمين تعتبر في المعاملات شدد الرسول فيها الوعيد حتى عد اليمين الغموس الكاذبة التي تغمس صاحبها في الاثم من الكبائر ، تنفيرا للمسلمين من الاقدام عليها ، بغير حق واخبر بغضب الله على من يحلف بالله فاجرا لياكل اموال الناس بالباطل ، ففي الحديث المتفق عليه عن الاشعث بن قيس قال : « كان بيني وبين رجل خصومة في بئر ، فاختصمنا الى رسول الله (ص) فقال : شاهداك او يمينه ، فقلت انه اذن يحلف ولا يبالي ، فقال : من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر ، لقي الله وهو عليه غضبان » .

وقد ذهب الجمهور الى ان اليمين على المدعى عليه عاما في حق كل احد سواء كان بين المدعي والمدعى عليه اختلاط ، او لا ، وذهب مالك مذهبا لطيفا فيه منزع مهم لايهمله الشارع ، حيث قال مالك : لا تتوجه اليمين الا على من بينه وبين المدعي اختلاط ، لئلا يبتذل اهل السفة اهل الفضل بتحليفهم مرارا ، وقريب من مذهب مالك قول (الاصطخري من الشافعية؛ ان قرائن الحال اذا شهدت بكذب المدعي لم يلتفت الى دعواه ، قاله الشوكاني ، وتطبيقا لمذهب مالك : ذكر الحافظ بن قيم الجوزية انه سمع شيخه العلامة (يعني شيخ الاسلام بن تيمية) يقول : كنا عند نائب السلطنة ، وانا الى جانبه ، فادعى بعض الحاضرين ان له قبلي وديعة ، وسال اجلاسي معه ، واحلافي ، فقلت لقاضي المالكية، وكان حاضرا اتسوغ هذه الدعوى وتسمع ؟ .. فقال : لا ، فقلت : فما مذهبك في ذلك ؟ فقال : تعزيز المدعي ، أي تاديبه ، فقلت : فاحكم بمذهبك ، فاقيم المدعي واخرج .

فمن الاليق ان تستعمل اليمين حيث تفيد ، ومع الاسف انها فرضت على امناء المراسي في عهد اضطراب المغرب قبل الحماية فتاخر عن وظيف الامانة اصحاب الذمم العامرة الطاهرة واقدم على ادائها اصحاب الذمم الخربة ، فنهبوا خزينة الدولة وكانت النتيجة سيئة .

ومن فوائد اليمين تخويف المدعى عليه عاقبة الحلف والكذب ، فيرجع ويقر بالحق ، ومن فوائدها القضاء على من ينكل عن اليمين ، فاذا قلبها على المدعي ، فنكل المدعي عنها فيكون نكوله تصديقا للناكل الاول ، على ان اليمين لا تسقط الحق ولا تبرىء الذمة ، ظاهرا او باطنا ، فلو وجد المدعي بينة بعد تحليفه للمدعى عليه : يقول الحافظ بن القيم تسمع منه ، ويقضي له بها ، وللمتاخرين من المالكية تفصيل فيها ، وكذلك اذا ردت اليمين على المدعي فنكل عنها ، ثم اقام البينة تسمع منه ويحكم له بها ..

واليمين انما تكون بالله لانه ورد في الحديث ان من حلف بغير الله فقد اشرك ، ولهذا لا يسوغ في نظري التحليف عند اضرحة الاولياء ، لما في قلوب العامة من تعظيم اصحاب القبور، حتى يكاد البعض يشرك باعتقاده فيها ، وان اقره الشيخ الرهوني ان حلف بالله لا يصاحب القبر ، ونقله التودي والوزاني ، وسلماه جميعا

واذا نظرنا الى حالتنا الاعتقادية في الجزاء الاخروي والى حالتنا الاجتماعية ، واعتبرنا ما يقوله علماء الاجتماع من ان التشريع الصالح للامة هو الذي يكون مطابقا لتقاليدها ، واعرافها ومزاجها النفسي ، نجد ان اعتبار اليمين في الاحكام من العناصر الاساسية التي توصل كثيرا من اصحاب الحقوق بحقوقهم ، فكم من المتداعين اقروا بالحق خوفا من توجه اليمين ، وكم منهم صالحوا عن اليمين بعد توجيهها ، وكم من المدعى عليهم نكلوا ، وردوا اليمين على المدعي المظلوم ، فحلف واستوجب حقه وكم من المدعين نكلوا بعد طلبهم باليمين التي ردها المدعى عليهم ، فبرهنوا على انهم مبطلون ، وبقي الحق في اليد الشرعية التي كانت تتصرف فيه ، وهذه الوقائع تبين بجلاء ان اليمين من العناصر الصالحة الراجحة ، فلا ينبغي اهمالها في التشريع على الاطلاق ، وخصوصا في تشريع امة استمر الحكم فيها باليمين ما يقارب اربعة عشر قرنا من الزمان ، فانطبعت نفوسها عليه واعتبرت ذلك من الشرائع المقدسة التي يجب الاذعان لها ، والتسليم بها تصديقا لشريعة الحق واستكمالا للايمان بها ، كما قال الله تعالى : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

تحت شعار: لا تزمت ولا انهيار



للأستاذ المهدي الصقلي الحسيني

ظل المغرب منكمشا على نفسه طيلة النهضة الاروبية، في القرون الاخيرة، ولبث يعيش على هامش ما ورثناه من القيم المعنوية التي شوهت بعضها عوائد وتقاليد تكونت خلال العصور التي ضعف فيها التفكير بسبب فشو الجهل، ولكنه كان على كل حال يعيش من الناحية الاخلاقية، اذ كان الراي العام موحدا فيما يتعلق باستهجان ما يجب استهجانه، واستحسان ما يستحب استحسانه، وجاءت فترة استعمر فيها المغرب زهاء خمسين سنة، تطورت فيها الاخلاق والعادات تطورا محسوسا، وآل الامر الى ان اخذت الاخلاق تفسد بصفة عامة فسادا مبينا.

ذلك اننا، كنا نتقي الحرمات، ونتزوج مبكرين، ونحلف فلا نحنث، واذا حنثنا كفرنا عن يميننا، ونعد فنفي، ونستدين بدون اشهاد الدين فلا ننكره، ونعصي الله فنستغفره، وتغشى العاصي منا خشية، وكنا نطيع الوالدين، وكان صغيرنا يستحيي من كبيرنا، واذا كان منا من يتهاون في صلاته، يستحيي ولا يرضى ان يرمى بالتهاون فيها، وكنا اذا اردنا ان نمدح شخصا، نمدحه بتدينه، لان تدينه يؤذن بتقواه، أي باجتنابه الكبائر من اكل حرام وكذب وزور وغيبة ونميمة الخ، وكنا نعتبر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امرا محتما في الدين لا مناص منه. ومن المسلمين من يعتبره الركن السادس في الاسلام، وكنا نعتقد ان امتنا الاسلامية ما كانت متفوقة الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله)، وكانت العامة منا تحضر لعشرات الدروس التي كانت تلقى بالمساجد والزوايا في الفقه والتوحيد والشمائل النبوية وغير ذلك مما تجب معرفته من الدين بالضرورة وذلك فيما بين العشاءين.

بيد اننا في القرون الاخيرة شددنا الخناق على المراة، حتى حرمناها من كل حرية، وتركناها بمدننا داخل المنازل، لا تخرج في بعض العائلات طيلة حياتها الا ثلاث مرات، واحدة من بطن امها للدنيا والثانية لدار بعلها والثالثة للقبر، ولقد ادركت السيدات اللواتي ما كن يخرجن لصلة الرحم الا ليلا، وادركت النساء اللوائي كن يخرجن بالحائك واللثام «ورجلي السراويل» «والريحية».

«ورجلين السراول» كما كانا يسميان عبارة عن كيسين من كتان ابيض عرض الواحد نحو 40 سنتميترا وطوله 80 سنتيميترا تقريبا، تدخل المراة كل كيس منهما في احدى رجليها وتبث تديره حيال ساقها الى ان يصير كضماد فوق جرح بليغ لتغطي للساق حجما سمجا.

«والريحية» نعال كالبلغة مستدير افطس الشكل عريضه، اسود اللون، بحيث كانت المراة المارة في الطريق لاتثير انتباها من حيث رشاقتها وأنوثتها، وأينها من اللواتي يحضرن الآن في المباريات لاختيار اجمل ساق او ملكة الجمال في هذا العصر؟.

وكانت هذه المراة المكنونة تتعلم في بيتها كل ما هو صالح لها في حياتها الزوجية من فقه العبادة، ونظافة البدن والبيت والطبخ والعجين والخياطة او الطرز او النسج او غير ذلك، وادارة شؤون البيت مع الطاعة العمياء للزوج ومحبته والاخلاص له، وتربية الاولاد التربية المعهودة اذ ذاك الا ان هذه التربية كانت مشوبة بعوائد منها ما هو موحى به من قبل الجهل، ومنها ما له اصل من الدين وافسده تدجيل الدجالين، وبعبارة اخرى، فان المراة الحضرية كانت امية مثقفة ان صح هذا التعبير، ولا اقصد من هذا البيان تحبيذ هذه

التربية التي لا تتلاءم اليوم وروح العصر ، وانما اقصد به التمهيد لمقارنة المراة الحضرية القديمة مع المراة الحضرية في هذا العصر .

*

وفي سنة 1330 هـ (1912) نصبت فرنسا حمايتها التي امتحنتنا واشطمرتنا وارهقتنا ، وشددت الخناق علينا ، واتت بكل جديد الى بلادنا ، وعملت على فرنستنا تدريجيا ، وفتحت المدارس الفرنسية في بلادنا فلم يقع عليها اقبال بادىء ذي بدىء ، لان عقلاءنا الذين كانوا يرون بنور الله راوا فيها الاداة القاضية على العزة والكرامة وهما الدين واللغة ، وكان لهم تاثير في الجملة على الناس فلم يدخلوا ابناءهم الى المدرسة الفرنسية افواجا ، على ان الفرنسيين اتوا في اول الامر ، بمسلمين جزائريين طيبين ، ورتبوا اساتذة للغة العربية ، ولما اسست المدرسة الثانوية بفاس ــ مدرسة مولاي ادريس ــ عينوا لتدريس اللغة العربية وبعض العلوم كالتاريخ والجغرافية علماء اجلة من القرويين ، لكنهم ما لبثوا ان قرروا الفرنسية لغة تدرس بها كل العلوم والفنون العصرية عدى العربية والفقه والتوحيد ، وجعلوا في آخر الامر لهذه المواد قسمة ضيزى ، ولما تخرج الفوج الاول من متعلمي الفرنسية عني به في الجملة فوظف اصحابه وظائف ثانوية بسيطة ومع ذلك فاجرتها كانت مهمة بالنسبة لمن لا يعرف الا العربية ولو كان عالما . وحينئذ اخذ الناس يوفدون ابناءهم الى المدارس على قلتها وان كانت العربية ضعف شانها اذ ذاك ، لدرجة يصعب معها الان تعريب الاطارات بسرعة اذ امتزجت معها الفرنسة امتزاجا كبيرا .

فنشا عن ذلك تكوين الفرع المثقف ثقافة اجنبية من هذا الجيل ومن الجيل قبله ، وهذا الفرع من الجيلين هو الذي نجده مقتعدا في الغالب المقاعد في دوائر الحكومة والقضاء ودور التجارة والصناعة وهو الفرع الذي جعله تيار الثورة الراهنة التي نحياها مثلا مرموقا يقتدى به الجيل الناشىء الذي اذا استثنينا منه الذين هداهم الله وهيا لهم اسباب الهداية ، نجد العامة من الشباب التي كانت فيما مضى تتهافت على مجالس العلم والوعظ بالمساجد والزوايا فيما بين العشاءين ، صارت تتهافت على الافلام السينمائية الساقطة التي لعبت اكبر دور في محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة .

ومضى عصر الاستعمار بقضه ، ولم يمض بقضيضه الذي هو الاستعمار الفكري ، وجاء عصر الاستقلال الذي اصبحنا فيه مالكين امور انفسنا ، نستطيع ان نسير دولتنا كيف نشاء ، لكنه ما جاء عصر الاستقلال حتى فقدنا قيمنا المعنوية ، وحتى العلماء الذين كنا نسميهم فيما مضى مصابيح الهدى لوعظهم الناس وارشادهم اياهم ، وتقواهم الله في السر والعلانية ، لم يبق الناس ينظرون اليهم مثلما كان ينظر اليهم اباؤنا ، لانهم ــ والحق يقال ــ هم الآخرون ــ الا ما ندر ــ فقدوا تلك الهيبة ، هيبة التقوى ولبثوا متمسكين بنفس الاسلوب الذي كان شيوخهم يخاطبون به المؤمنين المفعمة قلوبهم ايمانا، فلم يتطوروا في اسلوبهم بل بضاعة الكثيرين منهم مزجاة بالنسبة لمشايخهم في اول هذا القرن وما قبله ، ثم انهم لا يملكون تلك الروح الوثابة التي ينفذ نورها الى الاعماق ، ومما زاد في الطين بلة انهم لا يقيمون الوزن للوصف القائم بهم الذي وصفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » فقد زهدوا في هذا الميراث اذ انخرط منهم من انخرط في الاحزاب ومن لم ينخرط منهم من الكبار لزم الحياد وصار يستدل بالحديث : « اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخويصة نفسك » في الوقت الذي لم ينس فيه نصيبه من الدنيا ، واصبح التنافس يعمل عمله فيما بينهم واراد علماء كل ناحية ان يؤسسوا جمعية خاصة بهم ، وابوا ان يتحدوا حول برنامج داخل في دائرة اختصاصهم : منحصر في الدعوة الى الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الاخلاق الفاضلة ، بالرغم عما صاروا يشاهدونه من هذا الانحلال الخلقي، وهذا التجاهر بالكبائر وهذا التقليد الاعمى للاجانب ، في كل ماله صلة بالعجر والبجر ، وهذا الانسياق الى الانهيار دون روية ولا تثبت .

*

وطغت الافكار الفاسدة ، وانتشرت الرذيلة ، وحبب الى الناس اكل اموال بعضهم بعضا بالباطل وارتفع الحياء وانتشر الزنى والخمر حتى قبل ان ما ورد منه من نوع (الويسكي) في هذه السنين من الخارج يربو على ما ورد منه في السنوات المقابلة لها في عهد الحماية .

واخذت المراة المكبوتة ترد الفعل ، فلم تسفر السفور المشروع لتشارك الرجل في الاعمال على قدم المساواة وكفى ، بل صارت تخرج عارية كاسية مائلة

مميلة عارية النحر والصدر والذراعين ، ترتاد صالون التجميل ،تلقي نفسها بين يدي المزين او المزينة ، فيعني بقص شعرها وكيه وتقليم اظافرها وصباغتها بالاحمر ، وصارت الراقيات من النساء المتحضرات يحضرن في حفلات الاعراس ، ومنهن من تراقص الرجال على نغمات الموسيقى ، وقد يدعوها الرجل ، بمحضر بعلها لتراقصه ، فياذن لها بعلها الذي هو الآخر يمكنه ان يراقص قرينة احد الاصدقاء ، واصبح الخمر يحتسى على رؤوس الاشهاد في المحافل ، وفي البيوت التي ما زال بعض اهلها محافظين يوزع الخمر داخل قنينات كوكا كولا ، فتعطى كوكاكولا للمحافظين والخمر للتقدميين .

وصار الطلبة الشبان يقيمون على نحو ما يفعله قليلو التربية من الاوربيين ، حفلات رقص مفاجئة ببيت احدهم يحضرها الطلاب والطالبات يتراقصون فيها رقصا خليعا على نغمات الموسيقى الجديدة ، وقد يطفا النور على ما بلغنا خلال ذلك عمدا ، مدة وجيزة ، ونشا عن ذلك حمل العذاري وتحدي الاجهاض وايجاد اللقطاء .

واخذ العرف يجري بان المخطوبة ترافق خطيبها الى نزهة او الى السينما او لقضاء عطلة الاسبوع بجهة ما ، قبل العقد عليها ، وحدثت بسبب ذلك مصائب عائلية .

واصبحنا نتمرن على رؤية الرجل ممسكا بخصر المراة على قارعة الطريق ، او هي ممسكة بخصره او متابطة اياه ، وبعبارة اخرى زال الوازع الديني ، والوازع الخلقي ، وتدهورت الاخلاق وكاد يستحيل على المراة المارة في الطريق ان لا تكون موضوع النداء عليها من طرف من لا خلاق لهم على رؤوس الاشهاد ، واضحى ارتكاب الكبائر امرا مشروعا كانها من العرف والظرف بالضرورة .

وصارت الصلاة في بعض الاوساط عارا ، واقامتها امام بعض الناس شنارا .

وتغيرت بعض عوائدنا المستحسنة ، ومسخ البعض الآخر واقتبسنا شر اقتباس عوائد الغرب ، فمصايفنا ومسابحنا سواء بالجبال ام بسيف البحر ملئة بالشبان والشابات وهم عرى الجسم الا من التبان ، وقد يكون هذا التبان لا يستر الا الثديين وموطن العفة من المراة ، اما من الرجال فالعورة الغليظة وكفى ، ومضى بنا التقليد حتى اصبحنا نعفي الشعر تحت الابط وفي جهة اخرى .

فالى متى ونحن على هذا المنوال نسير ؟ ان جل ما اصابنا به من تفريق الكلمة ، والفوضى ، والتدهور ناشيء قبل كل شيء ، عن هذه الكبائر التي نتخبط فيها حتى اصبح الحلال لا يتميز عن الحرام ، وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نقاسيه وانذرنا بالعقاب الشديد الذي منه الريح الحمراء والخسف والمسخ والقذف .

والى متى ، ونحن متمادون في عمانا ، ولا يتعاون كل اصحاب الارادات الطيبة على محاربة هذه الرذيلة المنتشرة بالطرق المشروعة التي شرعها الله ؟

ولم لا نقوم بانشاء مؤسسات اخلاقية دينية ، تتعاون ورجال السلطة الذين يجب ان تتوفر فيهم شروط المروءة والاستقامة بالمعنى الاسلامي على اختلاف درجاتهم ، وان لم تكن روعيت فيهم ، ينبهوا حتى يقلعوا عما عليه ؟ اذا لم تتدارك الحالة ، فان الامر سيؤول في المغرب الى ما لا تحمد عقباه ، وتدارك الحالة لا يمكن ان يتحقق الا بالرجوع الى الله والقضاء على كل ما يعتبره الشرع الاسلامي منكرا .

ويجب ان يدور بخلد القادة بالمغرب ، ان المغرب قطر اسلامي ، وان ملكه مبايع على سنة الله ورسوله ، وان دستوره هو كتاب الاسلام الذي بمقتضاه يحكم منذ الفتح الاسلامي الى ان جاء الاستعمار ، وان كل التشريعات التي تتصادم والدين ، لا يمكن ان يوافق عليها مولانا صاحب الجلالة الملكية سيدي محمد الخامس اعزه الله ونصره ، لانه الامين على الاسلام ، وخليفة الرسول الغير المنازع بهذه الديار المغربية ؛ كما يجب ان يدور بخلد القادة انالديمقراطية التي لا يفتأون يعتصمون بها – وانا معهم بشرط تطبيقها تطبيقا لا عوج فيه ولا امتا – تقضي بان تكون الاصلاحات والتراتيب والنظم التي تقوم بها في الميادين الاجتماعية والسياسية والقضائية والاقتصادية موافقة للدين في روحه وجوهره ، حيث ان الديمقراطية كما يعرفونها هي حكم الشعب بارادة الشعب ، وكل واحد من قادة المغرب يعلم علم اليقين ان المغاربة اذا استفتوا استفتاء نزيها عما يجب ان يحكموا بمقتضاه لقالوا : الشرع الاسلامي .

وغني عن البيان انه لا يمكن ان تعمل على درء المفسدة القائمة الا اذا كان التشريع الجاري به العمل في قمع الزاني وشارب الخمر ومنتهك الحرمات والمعتدين على الآداب العامة (بالمعنى الاسلامي) يسمح بذلك ، قال صلى الله عليه وسلم : ان الله يشرع بالسلطان ما لا يشرعه بالقرءان .

وكل من قانون المسطرة الجنائية ، والقانون الجنائي الجاري بهما العمل عندنا يقفان حجر عثرة في هذا الصدد ، لانهما عصارة افكار اجنبية عن بيئتنا ووسطنا وحاجياتنا وديننا ، وان كانا بالمثابة التي هما بها .

ولا يتاتى درء المفاسد عندنا الا بعد اصلاح هذين القانونين وجعلهما اداة صالحة يضرب بها على يد الفاجر اذا فجر ، والفاسق اذا فسق .

والى جانب تعديل التشريع الجاري به العمل الآن، وانشاء المؤسسات الاخلاقية والدينية ،بتعين انشاء وزارة للشؤون الدينية والارشاد تكون في الحكومة بمثابة النيابة العامة ، ويكون لها حق المعارضة (الفيتو) في كل ما تراه يتنافى والدين ، مع مراعاة المصالح المرسلة وتطور العصر ، ويكون من مشمولات هذه الوزارة العناية بالارشاد والتوجيه ، والاشراف على تربية النشء ومراقبة المعلمين والاساتذة ، والمدربين بالشبيبة والرياضة ومدارس الشرطة ورجال الدرك حين تكوين الاطارات منهم ومراقبة الافلام كيفما كان نوعها بحيث يكفي تعرضها لمنع اي فيلم كان ، وان تعمل على تغيير المناكر بواسطة الوزارة المختصة ان اقتضى الحال وان يعهد اليها بكل ما يمت الى الدين بصلة ، على ان الدين ليس عندنا مجرد عقيدة بل عقيدة ونظام ودولة .

فهل اذا قمنا باصلاحنا وغيرنا ما بانفسنا نكون متزمتين ورجعيين ؟ ان النهضة ليست وقفا على اتلاق قيمنا المعنوية ، ومميزاتنا الاصلية وعلى الاباحة والاعتداء على الحشمة والوقار ، وانما هي :

ان نكون مستقلين في بلادنا احرارا فيها ، نامر بالمعروف وننهي عن المنكر .

وان نكون محترمين كياننا المنبثق من ارادة الاغلبية الساحقة من الشعب .

وان نوجد الاطارات الضرورية للادارة والحكم والقضاء والصناعة والتجارة والفلاحة .

وان ننشىء التعليم في كل الاوساط للقضاء على الامية .

وان نرفع المعيشة باستثمار خيرات البلاد الطبيعية، فان لم تف ، فبتاسيس شركات تعاونية لبناء قرى مثالية بالبادية .

وان نساير الركب العالمي ، فنتقدم في كل الميادين العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية عدى ما له مساس بالفجور والخلاعة او ما يؤدي اليه.

وان نعمل على نمو الادراك والوعي بواسطة الاذاعة الوطنية التي يجب ان تكف ـ هي الاخرى عن اذاعة بعض الاغاني المجونية التي يضطر الآباء والابناء الى سماعها ، وهم مجتمعون في محل واحد ، وبنشر الافلام في الاسواق وبمناسبة المواسم والاعياد بواسطة الجماعات المحلية وتحت اشراف وزارة الارشاد ، وان نرغم كل قاعات السينما على عرض الافلام المفيدة ، لان لجنة مراقبة الافلام الحالية تسمح الآن والحمد لله حتى بعرض الافلام التي منعتها اميركا في بلادها محافظة على الاخلاق كفيلم « والله خلق المراة » وفيلم « الغشاشون » وفيلم « المتحابون » وهذه الافلام كلها عبارة عن دروس في الرذيلة تلقن لعامة الناس .

ان النهضة في واد ونحن في واد .

ان في المغرب رجالا ، سواء من الذين تعلموا بجامعتينا التقليديتين او من الذين تخرجوا من جامعات اوربا والشرق ما زالوا محافظين على التراث المجيد ، مومنين متمسكين بدينهم في الوقت الذي نعتبرهم فيه من ارقى الرجالات ، هؤلاء عليهم المعول في مد يد المساعدة لانقاذ الوطن ، وان لنا رصيدا واي رصيد هو مولانا الملك سيدي محمد الخامس الذي قامت الحجة القاطعة على انه لولا وجوده في هذه البلاد لما حققنا استقلالا ، ولما بقيت في المغرب هذه الروح التي تنطقنا، فجلالته ومن ورائه كل المومنين الذين وضعوا فيه ثقتهم وايمانه الذي لا يتزعزع والذي استمده من جده المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الذي سينقذ المغرب من هذه الفوضى ومن هذا التدهور ليسجل له المغرب صفحات بيضاء اخرى بجانب الصفحات البيضاء التي سجلها له من قبل ، زيادة على ما سيجازيه به ملك الملوك الكبير المتعال يوم العرض الاكبر يوم يسال كل راع عن رعيته .



ان ميلاد عرش مغربي ، ودولة مغربية كانا مقرونين بتبني مؤسس العرش المغربي والدولة المغربية للدعوة الاسلامية، وحمل راية الاسلام، والذود عن مبادئه ، ونشر تعاليمه . ولم تقم دولة في المغرب — منذ الفتح ولاسلامي — الا بقدر تحمسها لمبادئه وصيانتها لتعاليمه والذود عن حوزته وحرصها على اخلاقه وشمائله . ولم تسقط دولة كذلك من دوله الا بقدر برودها في الذود عن مبادئه ، وخذلانها لتعاليمه ، واخلاقه ، وحوزته .

وكل صفحة من صفحات تاريخ المغرب الاسلامي ورجالاته تحمل مثالا ناطقابذلك ، ابتداء من مؤسس الدولة المغربية مولانا ادريس الاكبر ، الى يومنا هذا . فجميع ملوكنا العظام الذين يعتز بهم تاريخ المغرب تجد فيهم صلابة في الدين ، وحرصا شديدا على نشره وشد عضده ، والغيرة على حرماته . وعلى العكس تجد ان من أفل نجمه منهم لم يؤت الا من تهاونه في امر من امور الدين ، او من عدم نجدته وقدرته على الدفاع عن حوزة الدين ، اما في الداخل او في الخارج .

وقضية أخرى لا اظن انها من قبيل المصادفات كذلك ، وهي انه كلما اشتد حماس ملوكنا للدعوة الاسلامية ، والذود عن حوزة الاسلام ، اتسعت رقعة التراب المغربي شرقا وغربا وجنوبا وشمالا . وكلما خا ذلك الحماس ، وبردت جذوة النخوة الاسلامية طويت الرقعة ، وتقلص ظل الراية المغربية ، بل اكثر من ذلك تنقص البلاد من اطرافها وتسام في عقر دارها.

لم يفتح علي في علم النجوم حتى أعلم هل طالع الدولة المغربية رصد على ذلك يوم تاسيسها ؟ ولكن تسلسل الاحداث التاريخية تكاد تنطق بذلك ! سواء ءامنا به ام لم نؤمن ، وسواء كان ذلك صحيحا ام غير صحيح ، فالمهم عندي هو الخروج بعبرة من احداث تاريخنا تكون لنهضتنا الجديدة نبراسا تستنير به في طريقها الطويل ، المحفوف بالمخاطر والاشواك ، وبالامكانيات الواسعة والارهاصات المنعشة .

لا مجال للالتباس — على كل حال — فاما اننا نريد ان تكون دولة قوية محترمة بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني القوة والاحترام . أو لانريد ذلك ؟ ولا اظن ان مواطنا واحدا لا يريد للمغرب القوة والاحترام ! وقضية اخرى لا بد من الاتفاق عليها حتى تصبح من المسلمات ، وهي ان اية شخصية ، واية دولة تكتسب من القوة والاحترام بقدر ما تكتسب من غايات ومباديء سامية تبشر بها وتنافح من اجلها .

والمغرب بحكم موقعه ، نقطة انفصال ، او نقطة اتصال — كما يحلو للبعض ان يسميها — بين الشرق والغرب ، ومفتاح الصحراء والشعوب الافريقية السوداء في هذا الركن من العالم . بين الشرق المسلم والصحراء وافريقية المسلمة ، او المستعدة لفتح قلبها للاسلام ، وبين دول الغرب المسيحية ، المتعصبة ، والموتورة ، التي حاولت طيلة ثلاثة عشر قرنا القضاء على شعلة الاسلام التي للمغرب ضلع مهم في حملها الى افريقيا واوروبا . حاولت ذلك بالقوة ، وبالحروب الاجماعية ، ثم هي في العصر الحاضر تحاول بوسائل اخرى فكرية وفلسفية ، وبث مذاهب هدامة ، وتشجيع الميوعة والانهيار الخلقي فينا وضرب نطاق الحصار الاقتصادي قصد اضعاف ، او استغلال امكانياتنا ، وذلك بتنظيم اسواق ، لهم منافعها وعلينا اوزارها ، ثم هي في ذات الوقت الذي تقوم فيه بهذا الدور الاجرامي لخنق امكانياتنا المادية وبث الشك والسخرية من قيمنا وديانتنا واخلاقنا بكل الوسائل

التي ذكرت والتي لم اذكر ، في هذا الوقت بالـــذات تحاول ان ترثنا في افريقيا لا مـن حيث الاستغـلال المادي فحسـب ، ولكن من حيث نشر الديانة المسيحية بين أهاليها الذين لم يعتنقوا اية ديانـة بعد ، بـل ويحاولون حتى مع من بلغتهـم دعـوة الاسـلام ، ان ينسلخوا من دياناتهم الاولى ويلتحقوا بالركب المسيحي الـزاحـف .

فالبعثات المسيحية في كل قطر من اقطار افريقيا، بل في كل بلدة ومدشر ، من كل جنس ، ومن كل مذهب من مذاهب المسيحية ، والاعانات والوسائل تتدفـق عليها من كل حدب وصوب ، والمدارس تقام في كـل بلد من بلدان اوروبا وامريكا لتخريج مبشـرين اكفاء ، لهم جميع المؤهلات التي تضمن لهم النجاح في مهمتهم الخطيرة . اما عن الوسائل فحدث ولا حرج ، فلـم تعد وسائل الوعظ والارشاد بكافية في هذا العصـر ، بل تستعمل المدرسـة ، والنشـرات ، والعـلاج ، والاسعاف ، وتوزيع الادوية بالمجان ، وكل وسائـل البر والاحسان ، زيادة على خفض الجناح والشفقـة والرحمة التي يربي عليها الآباء المسيحيون ، والتـي تخدع كثيرا من البسطـاء .

اذا علمنا هذا ، بقي ان نعلم شيئا آخر ، وهـو اننا دولة صغيرة ، امكانياتنا المادية محصورة ، وعدد سكاننا قليل وقليل جدا بالنسبة للشعوب الكبيرة فالقوة والاحترام اللذان تنشدهما لا يأتياننا من القوة الماديـة ، على الاقل في الظروف المستقبلة ، ولكنهمـا سوف يسعيان الينا متـى شمرنـا على سواعدنـا ، وحملنا من جديد مشعل الدعوة الاسلامية ، والاخلاق الاسلامية ، والمبادىء الاسلامية الى ربوع افريقيـا ، تتميما لرسالة اجدادنا ، وقياما بواجبنا الديني نحـو اخوان لهم كل الاستعداد للانسجام معنا ووضع اليد في اليد لدرء الغزو الاجنبي المادي والروحي . برهنوا على ذلك في الماضي . وما يزالون يبرهنون عليه حتى اليوم ، او قل هم اشد برهنة عليه اليوم . واخيـرا من اجل تحصين انفسنا قبل كـل شيء ! فالمرء قوي باخيه كما قيل .

وقبل ان اختم حديثي لا بد لي من ان انبه الى انه لا يمكننا ان تؤدي هذه الرسالـة الخطيرة الا اذا اصلحنا من حالنا وذلك اولا وقبل كل شيء باقتـلاع رواسب الاستعمار من عقولنا وقلوبنا . ونبـذ كـل ما بث من ريب حول مقوماتنـا واخلاقنـا وديننـا ، وتحصين انفسنـا ضد الميوعة والاستهتار والانحلال . حتى نكون جيلا قوي الشكيمة ، مؤمنا بدينه ، متحمسا لاداء رسالته السماوية ، التي كانت سبب سؤدد قومه في جميع عصورهم الذهبية .

وبعد فهذه كلمة اوحى لي بها موضوع ذكـرى عيد العرش المجيـد ، وانا استعـرض شريط هـذا العرش الجبار ، الذي استعصى تقويضه على كافـة الدول التي حاولت بكل الوسائل الشريفة والدنيئـة جعل حد لحياته ، فلم اجد له سندا في تحصين نفسه ضد العواصف والزوابع غير هذا النور الذي جاء بـه خير البشرية ورسول الاسلام الاكرم سيدنا محمـد عليه وعلى ءاله ازكى الصلاة والسلام ولا شك في ان وارث هذا العرش جلالة محمد الخامس ، وهـو من نعرف غيرة على دينه ، وتصلبا في الدفاع عن حوزته وحرماته ، سيرسم الخطط ، ويلهب الحماس ويعبيء الهمم حتى يقوم هذا العرش بكل التزاماته نحو هذا الدين الذي قرر ضرورة وجوده ، وظل سنده الاقوى في هذا البلد الامين ، لكي يتابع حمل المشعل المنير في ربوع القارة الافريقيـة المتطلعة دائمـا بكامل اللهفـة والشوق لكل مايصدر من المغرب من اشراق ونور .

كيف نكون شخصية إسلامية مستقلة

للأستاذ : التهامي الوزاني

كان فريق من الطلبة يتحدثون عن دروسهم وعن اساتذتهم وانساق الحديث الى مادة الفلسفة وكان استاذها يسوعيا فاندفع صدر المجلس يقول :

انكم تدرسون الفلسفة التحررية وانما تدرسون فلسفة خلقت لتاييد فكرة خاصة ولو كانت الفكرة الخاصة هي الاسلام لما كان فى الامر من باس ، وصح القول بان الدرس درس دين مقنع بقناع الفلسفة وبما ان دين الطلبة هو دين الاسلام فلن يضيرهم ان يدرسوه فى أي شكل كان لكن القصد من دروس الفلسفة بالاقسام الثانوية هو الالمام بمبادىء الفلسفة التحررية وطريقتها فى الهدم والبناء : فلكي لا يتاثر الطلبة بمبادىء بعينها يلزم ان تراقب مادة الفلسفة مراقبة دقيقة كمراقبة اللغات والرياضيات . وكان الذين سبقونا بقرن من الزمان يحمون طلبتهم من تزلزل العقائد بالحيلولة بينهم وبين النظر فى كتب الفلسفة من اصلها سالكين مسلك من خاف على ولده ان ينزلق فى السوق فمنعه من المشي اصلا ونسى انه ان لم يمش فانه سيبقى لا فرق بينه وبين الكسيح وان من تكسرت رجله لا يخاف عليه فى اكثر من انه سيصبح غير قادر على المشي : ويمشي فى الاسواق الالاف من الخلق ولا تنكسر رجل اكثرهم وان كان الكسر يصيب فى بعض الاحيان ؛ اما الطريق العلمي لحماية الناشئين ابناء المسلمين من خطر الافكار المناقضة للاسلام فهي ان يدرسوا فلسفة تحررية لا ترمي الى خدمة فكرة بعينها ثم تعرض عليه نماذج من ءاراء الفلاسفة ومذاهب الاساطين منهم فى التوحيد والعقل والحياة والمادة والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك من ضروب اعمال الفكر والنظر . واذا استسلم الطالب لمدرسة بعينها واكب على قراءة كتبها فانه متاثر بها لا محالة . اما اذا شرب من عدة ينابيع وسمع اليوم نقيض ما سمعه بالامس وسوف يسمع غدا ما يهدم مسموعه فى الزمنين السابقين فبينما كان بالامس يقرا توجيه فكرة من الافكار اذا به اليوم يطلع على عيوبها ونقائصها فينقلب عن رايه بالامس الى رايه اليوم ثم يرفض الرايين ويميل لغيرهما وكلما تكرر على سمعه النقض والابرام تضعف فيه غريزة التقليد ويصير اذا اخذ يقرا فكرة مع توجيهاتها ينظر الى ذلك فى احتراس لانه تعلم ان سائر المذاهب لها عيوبها ولها محاسنها وكلما اشتد احتراسه حين المطالعة او وقت الدرس تضعف فيه غريزة التقليد وتتقوى على حسابها سجية التحرر الى ان تتكون فيه الشخصية ويستطيع ان يفصل بين سمعه وقلبه فلن يتسرب الى القلب كل شيء دخل الاذن وانما عليه ان يسمع كل شيء ويكون سلوكه سلوك الصناعيين حين يجمعون المواد الخام فينقلونها بترابها والعناصر الغير الصالحة فيها ثم يعرضونها على الصهر والتصفية ويدخلونها البوائق لاحقاق الحق وابطال الباطل .

اما فلسفة يكون استاذها راهبا او داعية شيوعيا او مروج فكرة الراسمالية فانها مجرد مروجات للفكرة التي كرس حياته لخدمتها ولن يعدو ان يكون مبشرا فى زي عالم ولن نرضى لمدارسنا ان تفسد طلبتنا فتجعلهم عبيدا فى افكارهم امعات فى تصرفاتهم يتحمسون للنصرانية وهم يحسبون انهم يدافعون عن حرية العقل والتفكير . ونريد لهم ان يدرسوا جميع النظريات الرئيسية بما فيها من تناقض وتعارض وتدافع وتنافر فاذا فهموا ان المسالة مسالة كلام وتوجيه وان العقل اكبر من ذلك وقدروا ان يتحرروا من التلقين المدسوس . قلنا اذاك ان لنا ناشئة تتوجه اتجاها تحرريا ولن نخشى عليها شيئا لانها لن تكون بالتي لقنت العداء للاسلام والعروبة والمغربية وهو فى مامن من اضاليل المبشرين المقنعين . ولا يقف الامر هنا فى العمل على خلق الشخصية المغربية بل علينا ان نقول فى صراحة : ان الشخصية المغربية مفقودة وان المغربي سار به التاريخ فى حرمانه من الحريات وسوقه الى اقبح وجوه الاستعباد وهو التقليد الاعمى . ولسنا ندري ماذا سيكون موضع هذه الكلمة من شبابنا ومن كهولنا على السواء ومهما يكن من امر فاننا لا نملك شخصيتنا لان الجو الذي يحيط بنا من الجهات الست — كما يقولون — جو كله استعباد واسترقاق وقد يظهر ان توحيدنا فى مذهب واحد وراي واحد امر حسن

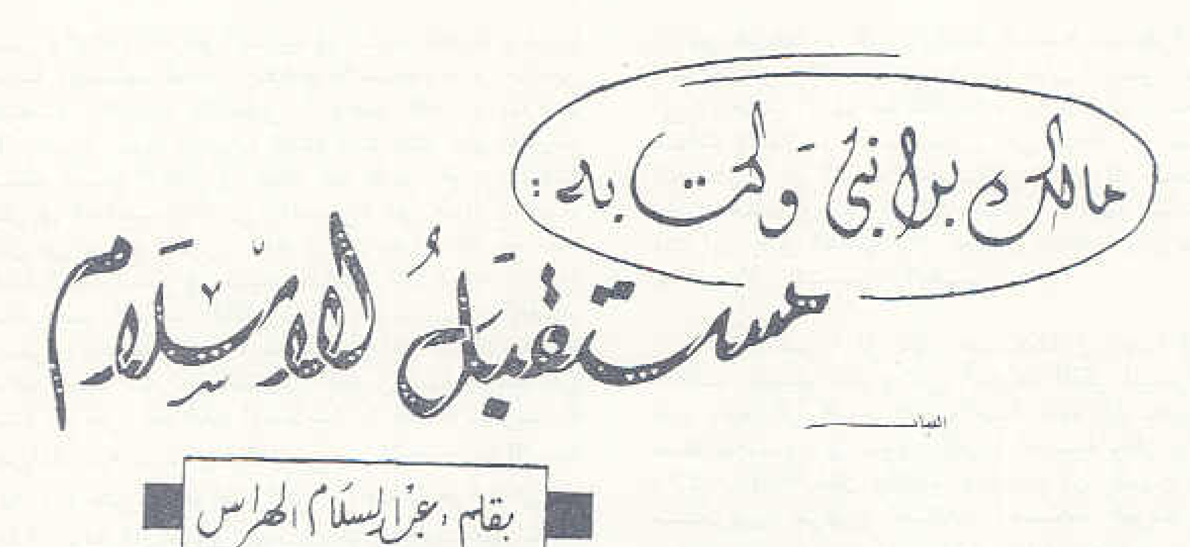
جميل والواقع انه هو السبب فى تبليد افكارنا وتدليل شبابنا وتهيئتهم لخدمة المطامع الاستعمارية فى ميادين الاقتصاد والادارة والتفكير . ويعلم الله ان المذهب المالكي عزيز علينا محبوب لدينا ومع ذلك فان التاريخ استغله لوضع الاغلال فى عنقنا فلم تطمح نفوس علمائنا للنظر فى المذاهب الاخرى واقتصرنا على طعام واحد. وكان من صالح التحرر الفكري ان يكون التاريخ مهد امامنا السبل للنظر فى جميع المذاهب الاسلامية . وكما اسانا هضم المذهب المالكي اسانا هضم منحى العقد الاشعري فحرمنا على نفسنا النظر فى المذاهب الاسلامية وبذلك جهلنا التاريخ الاسلامي المفصل لاننا حرمنا على نفسنا ان نقرا للطوائف الاسلامية ما عدا الاشعرية وحتى الماتردية – شقيقة الاشعرية – لانعلم عنها الا نتفا تافهة . وحتى فى قراءتنا للقرءان تقيدنا بقراءة فرعية واحدة. وما كان يضير فى شيء ان تكون هناك مناهج رسمية مقيدة بفكرة بعينها مع التشجيع على الابقاء على فروع الثروة الاسلامية فاذا كان لنا فى البلد الف قاريء بقراءة ورش فانه كان من المتعين ان يكون لنا عشرة قراء لكل فرع من القراءات ليتاتى لنا ان نعرف الوجوه القرءانية فاذا احيينا سماع القرءان بحرف من حروفه التي نزل بها كان ذلك فى وسعنا وميسورنا ولكنها خطة قتل الشخصية وسد ابواب الموهبة فى وجه الشعب المغربي حتى ولو كان ذلك فرعا من فروع الدين .

ولعل الشبان يدركون ان فقدانهم لشخصيتهم وانسياقهم الى فكرة الطعام الواحد تتبلور فى الحزبية ؟ والتجديد والزي .

السنا نرى فى انكلترا مثلا ان الاحزاب الانكليزية متفقة فى المصلحة القومية وانها لا تتناحر على التوافه ولا تتقاطع فيما بينها لمجرد ان هذا من حزب وهذا من حزب ءاخر ؟ السنا نرى الشباب مقبلين على اللغة الفرنسية وحدها اقبال ءابائهم على الاشعرية والمالكية وهم يومنون بانها لغة مفضولة وخيرمنها اللغة الانكليزية العالمية التي تعول الفرنسية نفسها . سيما ونحن فى بدء عملنا فبدلا من ان تاخذ بلغة فى الدرجة الثانية من القوة الزمنية كان علينا ان تاخذ باللغة التي تشغل المكانة الاولى وهي لغة الامريكان ؟ على ان الاجماع على الامريكية القوية او الروسية العتيدة امر لا يليق بنا لاننا نريد ان ننوع معلوماتنا وان يكون شبابنا من نفسهم طوائف تتعلم كل طائفة منهم لغة من اللغات الحية بقصد الاستفادة منها فى احياء لغتنا التي لنا حق التصرف فيها والتي لا يمكن ان نسترد شخصيتنا الا عن طريقها . لكن وراثة التبعية مسيطرة على شبابنا ومن واجبهم ان يتحرروا وان لا يبقوا ينظرون الى الاجانب كانهم ملائكة مكرمون متصفون بجميع صفات الكمال واننا متصفون بكل صفة من صفات النقصان . ان اللغات الاجنبية لن توجد لنا شخصيتنا وانما نجدها فى لغة نتحكم ونتصرف فيها كما نشاء . فلنا ان نخلق الفاظها وان نحسن اشكالها وان نوجد لها وسائل النشر والتعميم .

ان الحيوية لن تكون مستكملة فى امة الا اذا احاطت بجميع العلوم التي انجزها الفكر البشري من لدن وجد الى اليوم فان واجبنا كامة ان يكون لنا علماء مختصون فى شؤون القرية الصينية وتاريخ المعابد والاديان فى اليابان والملايو وعلينا ان يكون لنا مستغربون يعرفون حسنات وسيئات الغرب مثل ما للغرب من مستشرقين واحر بنا ان يكون مستغربونا لا يتاجرون باستغرابهم لاننا نحتقر بعض المستشرقين الذين باعوا معرفتهم للمستعمرين فاذا سالوهم عن عيوبنا ذكروها فى تبسط وذلاقة ولو اننا اردنا منهم او من امثالهم ان يبيعوا لنا معرفتهم بمحاسننا لما وجدنا هذه البضاعة عندهم لانهم درسوها جيدا فعرفوا حسناتنا اكثر مما نعرفه عن انفسنا فهم يعرضون مما عرفوه ما شاءوا ويشترون ما ارادوا وما اقل من يخلص لوجه المعرفة فيذكر المحاسن والعيوب على حد السواء : سواء فى امم الشرق ام فى امم الغرب سعيا وراء بناء مجتمع انساني سليم من العيوب التي يدركها النقد ويتراجع فيها من يريدون ان يعيشوا فى حضارة بناءة .

ولو وجد لنا مستغربون لكف الغلاة الاستعماريون عن اشتراء الضمائر لانهم يكونون موقنين بان لنا سلاحا – كسلاحهم . وما ءافتنا الا اننا حصرنا نفسنا فى طعام واحد فلناكل من جميع الاطعمة ولندرس الاسلام بجميع مذاهبه وطوائفه ولنتعلم جميع اللغات والعلوم وبالجملة ليكن لنا مختصون فى كل ميدان من ميادين النشاط الانساني وليس معنى هذا اننا نكلف الجميع بالجميع ولكننا سنتبع نفس الطريق المتبع عند الناس فلتنفرد كل طائفة للتفقه فى باب من ابواب المعرفة ومن ذلك نبني مجتمعا مغربيا له شخصيته المستقلة الى ان نصل الى المستوى الذي اراد منا الاسلام الصحيح ان نتبواه حين نزل قول الله سبحانه (كنتم خير امة اخرجت للناس) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



مالك بن نبي وكتابه: مستقبل الاسلام

بقلم: عبد السلام الهراس

تحدثت فيما سبق عن كتاب (شروط النهضة) وكان الحديث مقتضبا ، وان كنت اعطيت صورة حقيقية وواضحة عن فلسفة مالك الحضارية والآن ساتناول الكلام عن مالك فى كتابه الرائع « مستقبل الاسلام » وكنت اود ان التزم ذلك الاقتضاب لولا ان خصوبة افكار مالك وتركيزها وعمقها وفائدتها الضرورية كل ذلك يمنعني من ذلك الالتزام ولذلك فاني ساكتب عن افكار مالك فى سلسلة من المقالات جاعلا «كتابا معينا» هو محوار الحديث . وسيكون الكلام الآن حول كتابه : مستقبل الاسلام

« مستقبل الاسلام » او وجهة الاسلام حسب ترجمة الاخ الاستاذ الخطابي كتاب يدور بحثه حول الامراض الاسلامية ونقد طرق الاصلاح وبيان اسباب انحرافها وعقمها . وكان من حق الكتاب ان يحمل اسم : الاتجاهات الحديثة فى اصلاح المسلمين . غير ان الاستاذ الكبير الدكتور عبد العزيز خالدي ارتأى تسميته باسمه الحالي لغرض خاص ويعتبر هذا الكتاب وحيدا فى هذا الموضوع ، ويمتاز ككتب ابن نبي بالموضوعية والتعمق والشمول والخصوبة والحيوية ؛ وليس كتاب « ادب » يتلاعب بالالفاظ وتستدرجه الموسيقى عن الموضوع ؛ وتستعبده اللفظ بل ان كلماته تكاد تكون محسوبة تخضع لعقل هندسي يدرك معنى التناسب والتوازن والابعاد كادق ما يكون الادراك ؛ ولولا انها لغة ؛ لقلنا انها رموز رياضية لان مالك كما قلنا يحاسب الكلمات حسابا عسيرا ؛ ولا يسمح لاي كلمة ان تفرض نفسها عليه او ان تسيل من قلمه دون ان تحمل شحنة فكرية من صميم الموضوع ؛ ومن جوهر الفكرة ، ودون ان يكون لها اشعاعها الخاص الضرودي للفكرة العامة . وكم عانينا مع الاستاذ مالك مشكلة تحديد الالفاظ اذ تعودنا ميوعتها وقابليتها لكثير من المعاني قد تصل احيانا الى نوع من التضاد .

وقد نقد بعض علماء اوربا هذا الكتاب فاعجبوا به لانه اول صورة علمية حية ، صادقة عميقة عن مشاكل العالم الاسلامي وسر تاخره وعوامل بطء او فشل طرق الاصلاح وعدم فعاليتها ... من ذلك المستشرق بلاشير والعلامة « جب » الذي اعترف كاتبه بقيمة هذه الدراسة الخطيرة التي عجز عنها — كما قال علماء الاستشراق — كثير من علماء الغرب .

والكتاب مصدر بهذه الاية الكريمة « ان الارض يرثها عبادي الصالحون » ويهدى للدكتور عبد العزيز خالدي الذي قدم هذا الكتاب فى طبعته باللغة الفرنسية

والكتاب مقسم الى ستة فصول : « انسان ما بعد الموحدين » او عصر ما بعد ابن خلدون « النهضة » — فوضى العالم الاسلامي الحديث — فوضى العالم الغربي — الطرق الجديدة — تباشير العالم الاسلامي . واخيرا خلاصة فى صيرورة الاسلام الروحية .

وقد تحدث فى التمهيد عن قيمة الدراسة التي قام بها العلامة المستشرق «جب» فى كتابه النزعات الحديثة فى الاسلام وناقش جب فى فكرة « الذرية » التي يرمي بها التفكير الاسلامي الذي يعجز عن التعميم بل يركز ذاته فى الجزئيات منفصلة عن بعضها دون النظر الى الوحدة التي تربط بين تلك الجزئيات ؛ ويرى

استاذنا مالك ان هذه الميزة ليست خاصة بالفكر العربي وانما هي ميزة عامة للذهن الانساني قبل بلوغه درجة معينة من النمو والنضج الفكريين او بعد تخطيه لهذه المرحلة اي ان الذرية في التفكير تقــع في المرحلتيــن المتطرفتين للفكر الانساني ، بيد ان الفكر الاستنتاجي الشمولي يقع في الوسطى ، وذلك تابع لتطورات الفكر المتصل بمدنيته . فتلك الميزة كانت ـ بالنسبة للعرب ـ في الجاهلية كما كانت بعد انحطاط العالم الاسلامــي . ولوحظت تلك الميزة ـ اي الذرية ـ بالنسبة لاوربا قبل نهضتها ، وقد ابتدات بوادرها تظهر بعد برغسون وكان التفكير الديكارتي وسطا بين الطرفين اللذين يمثــلان التفكير الذري : فالتفكير الذري تابع لتطور الحضارة وياتي دائما غب افولها ويختفي عند شروقها ليترك مكانه للتفكير الاستنتاجي الشمولي ويناقش الاستاذ مالك ايضا المستشرق جب فيما زعمه من تاثير النزعة الانسانية الاوروبية في الحركة الحديثة الاسلامية ، فيرى ان اوروبا لم تحمل الى عالمنا الاسلامي ما يسميه « جب » بالنزعة الانسانية ، بل لم يكن في حسبانها ذلك ، وقد تفتتح بلادنا ، لان الدوافع كانت استعماريــة صليبية ، وهل من رسالة الاستعمار نشر النزعــة الانسانية ؟ اننا ايضا مع احترامنا لشخصية جــب نستغرب من هذا القول في جانب الاستعمار الاوربــي الذي قاسينا من ويلاته ـ وما زلنا نقاسي ـ اشد مــا قاسته الانسانية عبر تاريخها .

ولا ينكر استاذنا مالك على اوربا نوعا من التاثير في « بعض العصريين » من رجال العالم الاسلامي تلك هي نزعة انسانية مجمعية دبلوماسية « ان الفاظ هــذه النزعة رائعة ، وان بعض الاقوال الذائعة والجمــل الساحرة قد اغنت متاع بعض المسلمين المحدثيــن اللغوي ! ! » (ص) (6) وغير خاف مقصد الاستاذ من هذا الكلام .

ويتحدث في الدورة التاريخية عن الزوايا التي ينظر فيها الى حوادث التاريخ ، فهناك زاوية نفسية فردية اي ان التاريخ كان نتيجة عوامل فردية ، وهناك زاوية اجتماعية اي ان حوادث التاريخ كانت نتيجة عوامــل اجتماعية وهناك زاوية غيبية ميتا فيزقيــة اي ان الاسباب لظاهرة تاريخية معينة او سلسلة من الظواهر غيبية ، ليست من الفرد ولا من المجتمع لا تدخل في نطاق قدرتها ؛ ومن الزاويتين الاخيرتين سيــدرس الاستاذ تطورالعالم الاسلامي ومن بين هذا التطور وسير التاريخ الانساني العام من علاقات فعلية وممكنة وقــد تقدم له ان درس المشكلة الاسلامية في الزاوية الفردية النفسية في كتابه شروط النهضة ومشكلات الحضارة .

وللمدنية دورةتاريخية « وتلك الايام نداولها بين الناس » وتتحدد كل دورة بالشروط النفسية والزمنية التي تمتاز بها فئة اجتماعية ما ... ولهذا تتخذ المدنية طابعا معينا وكما تمتاز بتطورها الداخلي الذاتي الذي يبدأ بالروح فالعقل فالغريزة وتمتاز بدورتها وتنقلاتهــا اللانهائية من منطقة للاخرى ، ولكن المدنية اين كانت واي صبغة اكتست ، فعناصرها لا تعدو ثلاثــة : الانسان ، والتراب ، والوقت . والمركب لهذه العناصر والرابط بينها هو « الدين » لا غير ، وبفكرة الدورة هذه يخالف استاذنا كارل ماركس الذي يرى ان للتطــور التاريخي والاجتماعي يبدا بالحيوانية البدائية وينتهي بعهد الرخاء والوعي والحرية . ونستطيع ان نحتفظ بطراوة المدنية وعنفوانها لو اننا استطعنا الالمــام بشروط الانحطاط وعوامل الانحلال كي نتجنبهــا ، ونسير في حياتنا على وعي وبصيرة

ويضرب الاستاذ مالك المثل بالدورة الاساسيــة الخالدة للمدنية الاسلامية التي ابتدات في لحظة نزول قوله تعالى اقرا باسم ربك ... فكانت هذه الحقبة التي بين نزول هذه الآية وبين صفين تمثل مرحلة الروح اي ان القيادة ، كانت للروح اما الغريزة والعقل فمــع وجودهما فقد كانا خاضعين لتوجيهات الروح ، وكانت الفترة الممتدة من صفين لعهد ابن خلدون تمثل مرحلة العقل ، ومن هناك الى اليوم تمثل مرحلة الغريزة التي اسلمتنا الى الانحطاط واوجدت في نفس الوقت فينا القابلية للاستعمار ، ويبدو ان الغريزة ما زالت تستولي على مقاليد امورنا . الا ان التفاؤل الحق بابتــداء دورة مدنيتنا ما زال بعيدا على الرغم من بعض الارهاصات التي خاب اكثرها .

ويرى الاستاذ ان اوربا قد ابتدات تدخل في مرحلة الغريزة رغم هذه الصحوة العلمية الجبارة التي انفصلت عن الضمير . ومحاولة تقليدنا لاوربا في هذه المرحلــة التطورية من حياتها محاولة تدل على جهل باســس المدنية وحقيقتها وبواعثها ، فالمدنية ليست بضاعــة تشترى ولا اشياء تنقل او صورا تحاكى . انما هــي معاني نفسية روحية تنبثق من الذات ، من الروح ، مــن الفطرة ، واذا كانت الرجعية من العوامل التي تعوق كل تقدم ، وتفسد حوافز النهضة فمحاولة تقليدنا الاعمى

لاوربا هي محاولة رجعية جاهلة معكوسة تتسم بكثير من السطحية وحب السهولة والسير ! ! ومن شأن ذلك تعقيد المشكلة والتضليل عن العثور على حقيقة الداء وحقيقة الدواء

وتقوم المدنية على فضائل رائعة وقيم انسانية كريمة غير ان تلك القيم تنقلب اوزانها في عصور الانحطاط لتحل محلها النزعات التافهة وحيثما فقدت الروح كان السقوط والانحطاط ، ذلك لان كل من يفقد قوته التصاعدية لا بد له من الانحدار بتأثير ثقله الذي لا يقاوم ... ويفقد العلم قيمته وكذلك الفن ، ويزول العقل لان آثاره تموت في مجتمع لا يستطيع فهم هذه الاثار او استخدامها (15)



الاستاذ مالك بن نبي

وتلفظ المدنية انفاسها بتفسخ عناصرها الاساسية: الانسان ، التراب ، والوقت وتنعدم الرابطة الخلاقة بين هذه العناصر لخمود الروح ، وتصير تلك العناصر معطيات جامدة مجردة من كل قيمة ! !

وان الفرد في هذه المرحلة المنحطة يعيش في مجتمع منحل لا يمده في وجوده لا بالقاعدة الروحية ولا بالقاعدة المادية فيرتمي حينئذ في احضان نزعة المرابطين (التصوف الكاذب) او اي نزعة يفنى فيها . وليست هذه النزعات سوى صورة ذاتية لحالة الانهيار الاجتماعي (18)

وهذا الانسان الذي يتلقى ميراث الانحطاط من اجياله السالفة هو مركز المشكلة ، ويجب ان نبحث هذه المشكلة في نطاق هذا الانسان ، اي انسان ما بعد الموحدين ، واي محاولة للبحث في المشكلة خارجة ، انما هي محاولة عابثة تستهدف الفشل من اول الامر . وقد يبدو البعض من هذا الانسان انه لا يتقاسم الانحطاط ولم يرث عن اسلافه الجفاف الروحي ، والتفقير النفسي والعقلي ، قد يبدو كذلكبما لديه من ملايين او بما يحمل من شهادات ! ! ولكن اذا نحن سبرنا غور عاداته وعواطفه وافكاره تبين لنا بسهولة انه ليس سوى انسان ما بعد الموحدين اي الانسان المنحط . فانسان ما بعد الموحدين كيفما كان قدره ومركزه يحمل في ذاته المشكلة الاسلامية!! فيجب علينا ان لا ننسى هذا العنصر لا سيما في دراستنا لنشأة المشاكل التي تشغل اكثر فاكثر الضمير الاسلامي وما يعرض لهذه المشاكل من حلول (27)

ويحدد الاستاذ المجال الحيوي لكل من المدنية الاسلامية والاوربية ، فكان مجال المدنية الاسلامية صحراويا وقبليا انتقاليا ، في حين ان مجال الثانية زراعي . وعلى الرغم من انه كان للمدنية الاسلامية دور عظيم في سلسلة الحضارات العالمية فان اوربا لم تعترف بها ، وما زالت تحاول عمدا ولا شعوريا اخفاء الحقائق على الرغم من حرية الفكر التي يدعيها الاوربيون ويكفي ان هذه الحرية ــ كما يقول « غوستاف لوبون » تختفي لدى الاوربيعندما يمتد فكره الى بحث الشؤون الاسلامية ، فالمارد الصليبي الذي يعيش في اعماق نفسية الاوروبي يلوث نظرته نحو القضايا الاسلامية ويسحق كل محاولة حرة لاعطاء الاسلام ما يستحق في التاريخ والحياة ، ولذلك فان الدراسات الاسلامية التي تناولها الاوروبيون منحرفة ومشوبة بما ينافي العلم من الذاتية !!

وعند اتصال الحضارة الاوروبية بالعالم الاسلامي عن طريق الاستعمار في مطلع القرن الثالث لم يحمل معه الى البلاد المستعمرة الاخلاق المسيحية بل ان ذاته كانت مغلقة وذات اشعاع داخلي فقط ولم يفلت اي شعاع للخارج فالشخصية التي اتصلت بالعالم الاسلامي هي

شخصية استعمارية ، وان كانت للسر رسالة فان للاستعمار رسالة ايقاظ الشعوب المستسلمة للنوم والركود ، فعلى الرغم من شرور الاستعمار واحتقاره الشعوب المستعمرة ، فانه انقذ العالم الاسلامي من الفوضى التي كان يتخبط فيها هذا المجتمع لايمانه بالقوى الغيبية واحلاله لخيالاته الشخصية محل الروح ... وكان دور الاوروبي اشبه بدور الديناميت الذي يتفجر (ويفجر) في مكان استسلم للصمت والتامل (32)

وعند ما داهم الاستعمار انسان ما بعد الموحدين الذي تحللت عناصر حضارته وبقي اكداسا من البشر والاشياء لا تربط بينها رابطة ، عند ذلك استيقظ هذا الانسان وراح يتلمس لنفسه البقاء على وضع يحفظ له بعض كرامته ، واقل ما يمكن من الحياة في نظام اجتماعي . وتولد عن هذا حركتان :

1) حركة الاصلاح التي نفثت بلبان ابن تيمية

2) النزعة الحديثة

وقد كان جمال الدين الافغاني رائد الحركة الاولى ـ كما يلاحظ استاذنا ـ يجمع الى جانب ميزته كانسان طبيعي ثقافة فريدة ، وقد كان لحادثة (سيبايس) المذبحة المشهورة التي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين على يد الهندوس ـ كان لهذه الحادثة اثر شديد في نفس جمال الدين ، فثار ضميره وقام يدعو لتجديد العالم الاسلامي ، ويقاوم كل حركة ترمي للنيل من الاسلام كالحركة الطبيعية التي قامت بالهند والف في ذلك كتابه الرد على الدهريين غير ان جمال الدين بدلا من ان يتجه لاصلاح انسان ما بعد الموحدين مباشرة اتجه لاصلاح السياسة والحكم ، مرتئيا عدم صحة القول المشهور : كيفما تكونوا يول عليكم : وكان يرى العكس هو الصحيح ولا سبيل الى ذلك الا الاصلاح السياسي وجهاز الحكم ، فذلك وحده الكفيل بحل المشكلة . وهكذا فان جمال الدين بالرغم من انه كان رائد حركة الاصلاح وبطل الملحمة الحديثة الاسطوري فانه لم يكن هو نفسه مصلحا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة (36) ولعل هذا الحكم الذي يصدره استاذنا مالك خطير وفريد غير ان الاستاذ مالك مغرم بتحديد معنى الالفاظ والمصطلحات ويعاملها معاملة صارمة حتى يتجنب كل تورط فني قد يؤدي الى اختلال المقاييس كما نرى عند الكثيرين . ويعلل الاستاذ مالك حكمه ذلك بالتركيب النفسي لجمال الدين ومهما كان الامر فان دور جمال الدين لم يكن دور مفكر يتعمق المشاكل في البحث عن حلول لها ، وذلك لان مزاجه العنيف لم يكن يسمح له بذلك (35) ، ومن يتبع سلوك جمال الدين يتبين حقيقة قول استاذنا مالك ، فالمزاج العنيف لم يكن ليترك له الفرصة للتفكير الطويل من اجل ايجاد حل نهائي لامراض العالم الاسلامي ، وللاحداث المؤلمة المعاصرة لجمال الدين اثر في نفسية الرجل وفي قلقه ودفعه نحو القول بالقضاء على الحكم العثماني الظالم في صورته البشعة آن ذاك . ذلك النظام الذي كان يخنق كل حركة اصلاحية وكان غارقا في الرجعية الى اعمق ما يكون الغرق . وقد تبين ان تغيير صور الحكم في العالم الاسلامي لم ينقذه من القابلية للاستعمار وان كان اتاح له الفرصة لاصلاح نفسه في جو من الحرية نسبيا .

ومع ذلك فان جمال الدين العظيم يحتفظ في التاريخ الاسلامي الحديث بصفة الموقظ للعالم الاسلامي والمصدر لحركاته السياسية والدينية والاجتماعية وان كانت بعض تلك الحركات قد انحرفت الى اعوج طريق ، وما افلاس نهضة العالم الاسلامي وعدم نضجها الا نتيجة لانحراف بعض تلك الحركات وسطحيتها وها نحن نشاهد مآل الحركة السلفية بالمغرب ، فقد اختفت مظاهر الدعوة السلفية بل لم نعد نسمع حتى باسم السلفية ! !

واذا كان جمال الدين ذا مزاج حاد فان تلميذه الفلاح محمد عبده كان شديد الاحساس بالحقائق الاجتماعية (36) وكان على خلاف استاذه يرى ان الاصلاح يجب ان يبدا من الفرد .. من النفس حيث تكمن المشكلة ، ويلتمس ذلك المبدا من قوله تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم غير ان موقفه من هذه الآية كان موقف « مؤمن » حسب تعبير الاستاذ مالك اي انه ظن اصلاح الفرد يجب ان يكون على اساس اصلاح علم الكلام ليصحح عقيدته غير ان علم الكلام هذا سيكون مصيبة على حركة الاصلاح فينحرف بها رويدا رويدا ليقلل من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كالقول بالنزعة السلفية والعودة الى روح الاسلام الاول ، وذلك لان علم الكلام لا يتعرض لمشكلة النفس الا في ميدان العقيدة ، ولم يتخل المسلم ـ حتى مسلم ما بعد الموحدين عن عقيدته بل ظل مؤمنا او على الاصح « تقيا » وقد اصبحت عقيدته غير مجدية لانها فقدت اشعاعها الاجتماعي واصبحت ذاتية فهي عقيدة فرد قد انفصل عن بيئته الاجتماعية (37)

فالمشكلة اذن ليست في اعادة العقيدة ولكن في اعادة الاشعاع والفعالية لهذه العقيدة ، فنفس انسان

ما بعد الموحدين كانت ــ وما زالت ــ في حاجة الى بعث الشعور بالالوهية اكثر من حاجتها الى التدليل عليها ، وعلم الكلام يعجز عن بعث ذلك الشعور في الضمير . وقد شاهدت في الواقع بعض الجماعات الاسلامية تقوم على اساس التدليل على الالوهية بطريق علمي وفلسفي ،

غير ان الضمائر والنفوس تظل جافة لانها محرومة من الشعور بالالوهية ذلك الفيض النوراني الذي يعجز الفكر وحده عن مد النفس به ! ! ولذلك كان لابد من علم جديد يوصل للنفس هذا الشعور ويسميه الاستاذ تجديد الميثاق . وذلك كل من موسى والمسيح ومحمد لم يكونوا علماء كلام يصوغون النظريات المجردة بل كانوا مصدرا لهذه الطاقة الاخلاقية التي كانوا يمدون بها النفوس الساذجة (38) والدعوة الى اعادة تنظيم علم الكلام دعوة انفصالية من حقيقة الحركة السلفية لان المؤمن في تلك الدعوة « يتعلم » وجود الله فقط ولا يتعلم العودة الى السلف .

اذن فحركة الاصلاح لم تصادف النجاح المرجو للسببين السالفين

1) لانها ظنت ان السياسة او اصلاح الحكم هو الخلاص للعالم الاسلامي ، وان في النظام البرلماني يكمن سر الدواء . وقد كان يتزعم هذا الراي جمال الدين الافغاني .

2) وانها اتخذت علم الكلام ــ على يد الشيخ محمد عبده ــ اساس الاصلاح .

ويضيف الاستاذ اسبابا اخرى لانحراف الاصلاح ولعدم فعاليته وانتاجه الانتاج الذي ينقذ العالم الاسلامي من امراضه ، فمن تلك الاسباب

3) ما يسميه (جب) « بالاجبار » او الضغط على دعاة الاصلاح من جانب اعداء الاسلام . فقد تعرض الاسلام لهجومات عنيفة من طرف خصومه ، وكانت عامة ، ومركزة ، وعلمية متخذة وسائل جبارة للنيل منه والحط من سمعته، واحدث ذلك رد فعل في جانب رواد الاصلاح وكان لمدح الاسلام نصيب وافر في هذا « الرد » وهكذا تبدو لنا كتابات الشيخ محمد عبده الكلامية عبارة عن مديح للاسلام دفع اليه الضغط الاوروبي . . وما زلنا نرى اليوم هذه الظاهرة في معظم كتابات علماء الاسلام في مؤلفاتهم وعلى صفحات المجلات (!!!) وفي محاضراتهم وخطبهم .

4) النزعة الذرية .. اي النظر الى المشاكل نظرة جزئية دون ان يكون بينها اي رابط ، ودون ان يجمعها اساس واحد ، وبذلك تتكاثر المشاكل وتتعقد ، في حين لو نظرنا الى المشاكل على انها ذات وفرة متصلة لسهل علينا وصف الداء ووصف الدواء والا فاننا سنخضع الجمهور لمعالجات جزئية : فالفقر والتفرقة والمرض والدجل والخيانة والسياسة المريضة والعقم الاجتماعي والادبي والبطالة الى اخر قائمة امراضنا التي لا اظن ان لها نهاية كل اولائك مشاكل ذات اصل واحد وهو مشكلة الحضارة التي ان حلت فان تلك الظواهر تختفي حينا

5) ومن تلك الاسباب : نزعة .. المجادلة ولقد حافظ المصلحون بعد محمد عبده كل المحافظة على الاوضاع السائدة فاستمرت المجادلة مدة طويلة في المناقشات الادبية .. ولم يكن الادباء يبحثون عن الحقائق بل عن الحجج ولم يكونوا يستمعون لمعارضيهم بل كانوا يمطرونهم بسيل من الالفاظ (43) وهذا المرض ما يزال مستشريا في الطبقة المثقفة عندنا . فالهدف في اية مناقشة هو الغلبة باي اسلوب من الاساليب ولو على حساب الحق ، ولقد شاهدت اجتماعات ومناقشات في الشرق والمغرب فكنت ارى ــ غالبا ثانوية الحق والبحث عن الحجج والادلة للقضاء على الخصم لنصرة مذهب معين . كما ان نزعة حب الكلام والهذر ما زالت تحتل مكانا مرموقا في حياتنا الثقافية ، وما زال حب الانصات والاستفادة منزويا عن هذه الحياة ، واذكر هنا ان شخصية عالمة كانت تنام بل تغرق في النوم عند ما يكون المتحدث غيرها فما ان ياتي دورها في الكلام حتى ترى عنفوان اليقظة والانتباه والحماسة ! ! والغريب ان اصحاب هذه النزعة لا يتفطنون الى انهم لا يعالجون وانما هم يرضون عقدهم النفسية فقط !

ويعود الاستاذ مالك لنزعة المديح ــ تلك التي اصبحت فينا الى اليوم وازاء مختلف تكتلاتنا وافكارنا ــ فيقول : وهناك سبب اخر لعدم الفعالية التي طبعت بها نزعة المديح العمل الفكري ، حتى اذا ما اتجه المديح نحو الماضي اتخذت الثقافة طابع علم الآثار ، واتجه الجهد الفكري الى الوراء بدلا من اندفاعه الى الامام ومن شان هذه النزعة التقهقرية المغالية ان تجعل التعليم يتجه الى الماضي اتجاها لايتفق وضرورات الحاضر والمستقبل (44)

6) ومن الاسباب التي اراها معرقلة للاصلاح :

العقد النفسية التي تتحكم في اصحابه ، تلك العقد التي لا تدع مجالا للبحث في المشكلات الاسلامية بحثا موضوعيا . وقد اتيح لي ان احضر اجتماعا في عاصمة عربية لجماعة تريد المحافظة على القرءان الكريم فلم تثر مشكلة المحافظة على القرءان وانما اثيرت احقاد جاهلية قديمة وانتهت الجلسة بالاعتذارات وتقبيل الرؤوس على امل الاجتماع فيما بعد (! !) واني لالمس في كثير من اجتماعاتنا مظاهر تلك العقد التي تسبغ الذاتية على كل مشكلة قومية ! !

7) ومن تلك الاسباب : ذلك العبث الجدي الذي يبدو في دراسات فنية هزيلة في المشكلات الاسلامية ، وسبب هزالها انه يتصدى لمعالجتها اناس غير اختصاصيين فيخرجون دراسات ذات موضوعات قيمة ولكنها – أي المعالجة – ضعيفة لا تعطي المبرر الفني لنظرة الاسلام ، من ذلك ما نرى من بعض علماء الازهر الشريف يتصدون لمعالجة الاقتصاد الاسلامي ويقارنون بين الاسلام والاشتراكية معتمدين في كتابتهم على كتب بسيطة ومعلومات اولية سطحية ، وهذا ناشىء ايضا عن عقد نفسية في فقهائنا الاجلاء مع احترامنا لهم (4) .

ومن اسباب عدم الفعالية لحركة الاصلاح نزعتها الى « الكم » فالقيمة للشيء تكمن في كميته لا في كيفيته فالكتاب ذو الصفحات العديدة هو الذي يحتل من اعجابنا المكان الاول ، (5) ومن هنا نشأ غرورنا بالجماهير الغفيرة ، مع عدم اعتمادنا على الكيف ، وقد عرفت شخصية اسلامية واحدة في لبنان تهتم بالكيف تلك هي الاستاذ ابو عمر الداعوق المصلح الاسلامي ورائد جماعة عباد الرحمان فقد صرح لي بانه لا يحب في حركته الكثرة وانما يهتم بتربية افراد قلائل يكونون ركائز الدعوة الصامدة ! !

نستخلص من ذلك ان الحركة الاصلاحية لم تعرف السبيل الى تغيير النفس الاسلامية كما لم تعرف تطبيق فكرة وظيفة ... الدين الاجتماعية ولكنها استطاعت ان تنجح في القضاء على التوازن الثابت في مجتمع ما بعد الموحدين، وذلك باثارة الماساة الاسلامية القديمة في ضمير الامة الاسلامية من الناحية الفكرية (46) وما زالت هذه الماساة تقض مضجع كثير من الشباب الاسلامي وتدفعهم للبحث عن سبيل لانهاء هذه الماساة ولاستنشاق حياة اسلامية متحضرة وقد وجدت هذه الشبيبة متنفسا في بعض الجماعات الاسلامية غير ان القلق ما زال يساورها وقد لاحظت ذلك الشعور بالماساة وذلك القلق في الاقبال الشديد على استاذنا مالك بن نبي في القاهرة من جانب شباب العالم الاسلامي

ويرى الاستاذ مالك ان كل بناء جديد للحضارة الاسلامية يجب ان يقوم على العقيدة الصرفة وعلى العودة الى الاسلام ، وتطهير القرءان من الحواشي الكلامية والتشريعية والفلسفية (97) وهذا هو الطريق الذي سلكه حسن البنا الذي كان يستخدم القرءان في نفس الظروف النفسية التي استخدمه فيها سابقا النبي واصحابه ، فحسن البنا كان يؤثر في سامعيه لانه كان لا يفسر القرءان بل كان يوحيه الى الضمائر والنفوس كاشعاع فياض ياتي من السماء مباشرة للهداية ومصدرا للقوة يوحد بين الناس (140) .

ولكن هل الحركة الحديثة تريد ان تنهج بالعالم الاسلامي هذا المنهج ، انها تريد ان تقوده في طريق اخر غير طريق الاسلام كما حدث في تركيا على يد الحركة الاتاتوركية الكمالية .

وكان بودنا ان نتبع كتاب مالك هذا بالتحليل لولا خوف الاطالة ، ولذلك فاننا نكتفي بالاشارة – اليوم الى الخطوط الرئيسية التي يتناولها بقية الكتاب ..

وهي في الحقيقة تحتاج الى تحليل ونقد لانها تشتمل على كثير من الافكار الرائعة الدقيقة حول حياتنا الحاضرة .

فقد تكلم عن الحركة الحديثة التي تجسدت في السياسيين وابان عن سبب فشلها في تحليل دقيق كما تكلم عن العوامل الخارجية المسؤولة عن فشل الاصلاح في العالم الاسلامي وتناول حركة الاخوان المسلمين تناولا رائعا وابدى ملاحظات قيمة نحوها وابان عن عبقرية الامام حسن البنا في السبيل الاصلاحي الذي سلكه

والاستاذ متفائل في الاخير بان الفكرة الاسلامية خالدة وهي الان تشق طريقها نحو انشاء مجتمع متحضر

خطاب عميد الجامعات المغربية الأستاذ محمد الفاسي في حفلة افتتاح السنة الدراسية الثالثة للجامعة المغربية

احتفلت الجامعة المغربية بافتتاح سنتها الدراسية الثالثة يوم الثلاثاء 20 اكتوبر المنصرم بقاعة المحاضرات بكلية العلوم .

وقد اقيم الاحتفال تحت الرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي الامير الجليل مولاي الحسن ولي عهد المملكة المغربية ورئيس اركان القوات الملكية المسلحة .

كما حضره اعضاء حكومة صاحب الجلالة ، ورجال السلك الديبلوماسي ، وممثلون عن الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية ، وكان في الحقيقة حفلا لائقا بشرف المناسبة ، ودالا على المكانة الكبيرة التي يحتلها العلم والمؤسسات العلمية في هذه البلاد الفتية المتطلعة الى مستقبل احسن .

وافتتحت الحفلة بالكلمة القيمة التي القاها حضرة الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي عميد الجامعات المغربية ، والتي ننشرها فيما يلي : ثم تقدم بعد ذلك الى المنصة الاستاذ المحاضر بكلية العلوم السيد ارزيليس ، والقى باللغة الفرنسية محاضرة الافتتاح ، وكان موضوعها : «السفر عبر النجوم والنسبية»

ونحن نامل ان نتمكن في عدد ممكن من نشر الترجمة العربية لهذه المحاضرة العلمية القيمة .

دعوة الحق

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

مولاي صاحب السمو الملكي

سيداتي سادتي

ان من القضايا المسلمة عند كل الشعوب انه لاتتم انسانية الشخص الا بالعلم ، وانه بقطع النظر

عن كل اعتبارات الفوائد التي تنتج عن المعرفة ، فان مجرد العلم لذاته يجعل من الفرد العالم انسانا اكمل في انسانيته ، واقرب الى الصورة التي ارادها الله له.

وهذه النظرة الى العلم وقيمته المجردة لاتوجد عند الفلاسفة فقط ، ولكنها تكاد تكون فطرية عند الجماعات البدائية التي تنظر باكبار واجلال لعريفها او كاهنها او حكيمها ، حسب مختلف الاسماء التي تطلق عند هذه الجماعات على الشخص الذي يكون ارسخ معرفة بشؤون الجماعة من علاج ومن تنبوءات جوية ومن اخبار السلف واساليب حياتهم الى غير ذلك من الشؤون التي لايعرفها مطلق الناس ، والتي تضفي على العريف هذه الحلة من المهابة والقوة . ولذا جاءت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية مؤيدة لهذه النظرة ومثبتة لها ، مما جعل الانسان ينشد دائما المزيد من العلم والبحث عن اسرار الكون والتطلع الى اكتناه كل مجهول .

وجاءت المدنية الاسلامية فزادت عنصرا هاما في ضرورة اكتساب المعرفة ، لا لذاتها فحسب ؛ ولكن لما تقترن به من فوائد في اسعاد البشر . ومن ثم كانت الاكتشافات العربية والاختراعات في ميادين الصناعة والملاحة والارصاد الجوية والكيمياء والطب وغيرها مما هو معروف .

ثم جاءت المدنية الحديثة فابلغت هذا العنصر اقصى مداه ، اذ صارت التطبيقات العملية للعلم الغاية المهمة التي يتوخاها العلماء في ابحاثهم ودراساتهم ، وصار مصير الانسانية بيد العلماء لان تزايد سكان الكرة الارضية بالصورة التي تتراءى لنا ، سوف يحدث مشاكل ترجع للتغذية والاسكان وغير ذلك من حاجيات المجتمع البشري ، وحلها منوط بالنتائج التي سيتوصل اليها العلماء في دراساتهم وأبحاثهم . واذ نقول العلماء فاننا نعني بهم المشتغلين بكل فروع المعرفة سواء منها علوم الانسان او العلوم التطبيقية

ومن كل هذا تتضح المسؤوليات الملقاة على كاهل كل المواطنين فيما يرجع لتوسيع دائرة الدراسات العالية والابحاث العلمية .

ويعتقد الكثيرون ان هذه المسؤولية هي على الحكومة وحدها ؛ وهو غلط يتنافى مع واقع جل الامم المتحضرة ؛ ويتنافى كذلك مع تقاليدنا التعليمية وقت ازدهار المدنية العربية ، اذ كانت جامعة القرويين مثلا لا تعيش الا بمدخولها الخاص الذي تدره عليها الاحباس الموقوفة عليها من قبل المثرين من ابناء البلاد ، على غرار ما نراه اليوم في كثير من الامم ، وبالاخص منها الانكليزية السكسونية ، فمؤسسة عظيمة مثل جامعة (ستانفرد) بالولايات المتحدة مثلا ، بها عشرات آلاف الطلبة ، وميزانيتها عشرات ملايير الفرنكات ، لاتنفق عليها الدولة دولارا واحدا . واكثر الجامعات على هذا النحو ، وهي تملك المستشفيات العديدة والمتاحف الكثيرة ، والمطابع والمختبرات وحدائق الحيوانات الى غير ذلك من المرافىء العلمية والتجهيزات الراقية في كل الميادين، وما تم ذلك الا بمساعدة الافراد والشركات مما يجعل التعاون بين رجال الاقتصاد والجامعة تعاونا متينا مستمرا .

فهل لنا ان نرجع الى تقاليدنا ، وان نقتبس من عند غيرنا الاساليب التي جعلتهم يتقدمون ويترقون في مدارج العلم ، ونحن في حاجة امس الى تكوين الاطارات في سائر المناحي ؟ وهل لرجال المال والاقتصاد عندنا ان يولوا اهتمامهم لهذه الناحية من المجهود الوطني في سبيل ترقية البلاد ورفع مستواها العلمي ؛ وبالتالي الاقتصادي والمعاشي ؟ .



عميد الجامعات المغربية الاستاذ السيد محمد الفاسي يلقي كلمته في حفلة افتتاح السنة الدراسية بالجامعة المغربية .

يبدو في اقصى الصورة من اليمين الاستاذ المحاضر بكلية العلوم السيد ارزيليس الذي القى في الحفلة درس الافتتاح ، وكان عن السفر عبر النجوم والنسبية .

اذ كل هذه الشؤون مرتبطة بعضها ببعض ، فمتى نرى الشركات تؤسس كراسي بمختلف الكليات لدراسة ناحية خاصة من نواحي العلم ؟ ومتى نراها تؤسس المختبرات والمكاتب الجامعية ودور الطلبة وتعطي المنح وتساهم بكل الوسائل فى هذه السبيل التي يتوقف عليها نجاح كل المشاريع الاقتصادية فـي البـــلاد ؟

أما العناية التي يوليها صاحب الجلالة الى العلم والدراسات العالية ، فهي تتجلـى فى كثير من المناسبات ، بما يساعد عليه اعزه الله من المشاريع التعليمية التي تعرض على جلالتـه . ومـا جامعتنا الفتية هذه التي تحتفل اليوم بافتتاح سنتها الدراسية الثالثة الا نفحة من نفحاته ، وما تشريفكم اليوم ياصاحب السمو الملكي لهذه الحفلة الا عنوان عن هذا الاهتمام المولوي ، وعسى ان تكون هذه العناية قدوة لرجال الامة الذين يستطيعون مد يد المساعدة للجامعة، بل الذين يقدرون زيادة على الصالح العام مصلحتهم الخاصة ؛ اذ فى تقدم الدراسات الجامعية ضمان الازدهـــار الاقتصـادي .

وانني لا اريد ان اطيل عليكم باستعراض النشاط الجامعي فى السنة الماضية فذلك ماتم الاعلان عنه فى وقته ؛ وانما ينبغي ان نشير فى بضع كلمات وفي مستهل هذه السنة الدراسية الى المشاريع التي نريد انجازهـا في خلالهـا

فمن ذلك تأسيس مدرسة الطب التطبيقية التي سيدشنها صاحب الجلالة في اوائل نوفمبر ان شاء الله . وستضم طلبة السنتين الاخيرتين من الدراسة الطبية ، على ان تنضم اليهما السنون قبلهما بالتدريج حتى تتكامل سنو الدراسة كلها فتصير بذلك احدى كليات الجامعة الحديثة .

ومن ذلك تأسيس معهد التعريب استجابة لما تنشده الامة المغربية من احلال لغتها المقام اللائق بها ، واننا نعلق أملا كبيرا على هذا المعهد للمساعدة على ايجاد الحلول المناسبة لمشكلة التعريب .

ومن ذلك تأسيس قسم للدراسات الاجتماعية بمساعدة اليونسكو . ومعهد للدراسة السياسية بكلية الحقوق ، وان مشروعا لتأسيس معهد للدراسات الافريقية تحت الدرس الآن .

ويلذ لي بهذه المناسبة ان انوه بما تبذله وزارة التربية الوطنية من مجهود لاعانة الجامعة وتوسيع نطاق عملها .

ومن مظاهر نشاط الجامعة فى ميدان البحث العلمي ماتشارك فيه من اقامة المؤتمرات العلمية والمهرجانات الادبية . وبالبارحة افتتحت بكلية الاداب الندوة التي عقدتها بالمغرب هذه السنة الجمعية الدولية للجغرافية ، واني احيي اعضاءها الحاضرين فى هذه القاعة الآن ، وما حضورهم الا دليل على اهتمام المنظمات العلمية بجامعتنا الفتية .

وفي اوائل نوفمبر سوف يعقد كذلك بالمغرب المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية الذي تنظمه جامعة الدول العربية .

وان هذه السنة الدراسية تقترن بذكرى عظيمة فى تاريخ العلم ، وهي مرور مائة سنة والف سنة شمسية على تأسيس جامعة القرويين ، اذ بدا العمل فى حفر اسسها يوم فاتح رمضان سنة 245 هـ الموافق لسنة 859 م ومما يحق لنا ان نفخر به ان مؤسستها امراة هي فاطمة ام البنين الفهرية ، وان هذه المؤسسة التي تعتبر اقدم جامعة فى العالم منذ تم بناؤها وهي تقوم بنشر العلم فى هذا الجناح الغربي من العالم العربي . لذلك ينبغي ان يكون الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة يناسب عظمتها التاريخية ، ولنا كبير الامل فى ان حكومة صاحب الجلالة سوف تولي هذه الذكرى كل ماتستحق من عناية .

وقبل الختام اتوجه بالشكر الجزيل لكل الذين تفضلوا بتلبية دعوة الجامعة لهذا الافتتاح ، وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الملكي حفظه الله .

والآن اقدم لكم الاستاذ (ارزيليس) الذي سيلقي عليكم الدرس الافتتاحي هذه السنة ، وقد ارتأينا ان تكون لـه علاقة بالمجريات العلمية فى العالم ، اذ بمحاولات الاسفار عبر اجواء الدراري والنجوم تدخل الانسانية فى عهد جديد ، ويتعين علينا ان نساير هذا التقدم ونتعرف على معالمه . وموضوع هذا الدرس ـ اي السفر عبر النجوم والنسبية ـ مقدمة لمعرفة هـذه المحـاولات .

والسلام عليكم ورحمة الله .

المولى اسماعيل العلوي

للمرحوم العلامة محمد السايح

كان الحال بالمغرب اول المائة الحادية عشرة ، اشبه بحال ملوك الطوائف الذي قال فيه ابن الخطيب .

حتى اذا سلك الخلافة انتثـــر
وذهب العين جميعا والاثـــــر

قـام بكـــل بقعـــــة مليـــــك
وصاح فوق كل غصن ديـــــــك

فقد ظهرت به عدة طوائف ودعاة ، ولكنها غربت في برج مطلعها وخفت صيتها بفور الاستهلال ، لما كان يعوزها من العصبية التي لا يتم امر الملك الا بهـــا ، او لاصطدام عصبيتها باقوى، وكثيرا ماكان يعتمد هؤلاء القائمون على الصبغة الدينية ونحلة التصوف ، وكانت اذ ذاك فاشية بالمغرب ، ولكن مع ذلك كانت دولتهـم تجهض قبل التمام لضعف عصبيتهم ، وقد قرر ابـن خلدون ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ؛ فهذه دولة الفقيه المتصوف ابي محلي السجلماسي الــذي استولى على سجلماسة ودرعة ومراكش ، قام بنحلـة الامر والنهي ، وزعم انه الفاطمي المنتظر ، وكأنه اراد ان يتحدى مهدي الموحدين ، ولكن اعوزته عصبيــة كعصبية المصامدة التي كان يعتمد عليها المهدي ، فزحف اليه ابو زكرياء الحاجي اجابة لاستصراخ زيـــدان السعدي ذي الدولة يومئذ ، والتقى الجيشان بجبل (كليز) ولم يكن الا كفواق ناقة حتى التحقت دولة ابي محلي بمن غبر ، وذهب منه العين والاثر .

وهذا ابو زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحـــد المتصوف صاحب الزاوية بدرن (وهو المذكور انفا) نهض بالسوس واستولى على رودانة، ولكن طحنه الدهر ولم يتم له امر . وهذا ابو حسون السملالي ـ من ذرية الولي الشهير سيدي احمد وموسى ـ كان استولى على درعة وسجلماسة ولكن سوء سيرة اصحابه الجأت اهل سجلماسة لرفض بيعته وجمحوا الى بيعة المولى محمد بن الشريف وكانت مقدمة الفتح وامحت دولة السملاليين .

وهؤلاء الدلائيون انتهزوا فرصة انتثار سلك الدولة واستولوا على مكناس وفاس ونواحيهما وسلا واعمالها وزاويتهم كانت مشرق شمس العلم والدين ومطلع انوارهما الى ان حاربهم المولى الرشيد وشردهم. ولو انهم ساروا على خطتهم من نشر العلم والدين لكانوا من الفائزين ، ولكنهم غمسوا يدا في الرياسة فتكدر صفوهم وتفرق جمعهم وكانوا من المهلكين .

وهذا ابو عبد الله العياشي قام بنحلة الجهاد ، وقد دخلت في طاعته القبائل والامصار من تامسنا الى تازا ، فيهم اهل فاس ، وكان رحمه الله في نحلته مـن الصادقين ، ولكن فاته الشنب فان الخلافة في قريش ما اقاموا الدين .

وهذا الخضر غيلان صاحب اصيلا ــ وكان مقدم الغزاة من طرف العياشي ــ اوضع خلال البلاد الهبطية واقتحم القصر ، ولكنه من سيوف ابي النصر لم يكن من الناجين الى انتقاض الاندلسيين بسلا ، ومعلـوم

حالهم من الصرامة وصعوبة المراس ، زد على ذلك دولة الشبانات اخوال السعديين القائمين بمراكش ، الى ان اظلتهم سيوف المولى الرشيد فمحت دولتهم ونسخت دعوتهم ، اضف الى ذلك قيام ابي عبد الله الدريدي الهلالي بفاس الجديد وتسميه اميرا ، الى ان اقتحمه عليه المولى الرشيد وكان له مبيدا ، وهكذا كان المغرب طرائق قددا الى ما كان فيه من العراك المستمر تارة بين تلك الطوائف ، وءاونة لقمع الثوار ، واخرى لاخضاع المخالف ، وما سكنت تلك الهيجة الا باستقرار العرش العلوي الشريف ، وزادت قواعده استحكاما فى عهد ابي النصر المولى اسماعيل ، ذلك الهمام المحنك الذي مكن للدولة فى احشاء القبائل وشناخيب الجبال التي كانت تعتبر بحق منابع الفتنة ومنافذ براكين الثورة .

ادرك ابو النصر ان المغرب لكثرة عصائبه قل ان تستحكم فيه دولة ، شأن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب لاختلاف المنازع والاهواء ، حسبما قرر ذلك الداهية ابن خلدون ، ادرك ذلك حقا لذكائه ونكرائه ولانه ممن صاول تلك العصائب ، وعجم عودها ايام خلافته عن اخيه الرشيد ، وكان مرمى انظاره تأسيس ملك راسخ الاطواد رفيع العماد .

ومن جراء ذلك رسم لدولته خطة ذات قواعد متمكنة ، منها ان لا يستنصر بالقبائل التي قد تتاقل عنه فى وقت الحاجة او تجر عليه الهزيمة او تنسل عنه فى احرج المواقف ، كما وقع له فى وقعة وادي مثلف. ومنها ان ينشىء جيشا مرابطا ببابه ، يكون نتيجة تربيته ، وعليه يرتكز نفوذه ، وهو ما تم له فى جيش عبيد البخاري فى انشائه اولا واعتبار قصره مدرسة لتربية اولادهم وتدريبهم ، وهو جيشه النظامي المسجل . ومنها تجريد القبائل من السلاح والكراع حتى لا يطمح منهم الى الثورة طامح ، وكان هو اول ما يفعل اذا اخضع قبيلة من القبائل ولم يرخص فى حمل السلاح الا لجيش مخصوص ، منه الجيش المرابط على ثغر سبتة .

ومنها انشاء شبكة من الحصون والقلاع فى انحاء المغرب من اقصاه الى اقصاه ، ولا سيما فى احشاء القبائل وثغرة نحورها ، وقد شحن تلك الحصون بعدد من عبيد البخاري يرأسهم قائد منهم تلقى على كاهله مهمة حفظ الامن بمنطقته ، ومؤونة هذا الجيش المرابط من اعشار القبيلة التي ينزلها ، ويعرف هذا النظام عند الفتيين بانشاء العصابات المحافظة ، وكان قد فعله شارل مارتل فى جبال البرينات . ومنها تكليف القبائل بمعرفة كل من يمر بترابهم او تثقيفه حتى يعرف ، وهو من المهمات التي تقوم بها مصلحة حفظ الامن عندما يقتضيه الحال ، وبذلك استنزل البربر من صياصيهم ، والقى اليه المغرب الجران وتمددت فيه اطناب الامن وافرغ اهله ذرعهم للفلاحة وتربية المواشي والاتجار فعمهم الخصب والرفاهية .

حالة الاستعداد البحري والغزو على الاساطيل (القرصنة) فى عهد المولى اسماعيل

لقد انتقد اليوسي فى رسالته الشهيرة على المولى اسماعيل اعماله لعمارة الثغور واقامة مراسم الجهاد ، ولكن يظهر ان المولى اسماعيل كان مهتما بتمكين الامن فى داخلية البلاد قبل كل شيء ، لما كانت عليه الحال قبل من الفرقة والتخالف وكثرة التنطع والوثوب ؛ لا يغفل عن ذلك لحظة لان بادية المغرب لا يستقر لهم امر، وقد رد على اليوسي السلطان المولى عبد الحفيظ فى تاريخ المغرب (1) ردا مرا وقد قال الاسير مويط عن هذا الملك :

(كان صعبا على من عصاه ، ولا عجب فى ذلك لان عادة الاعراب تشوفهم دائما لنزع السلطان وتولية غيره ، ولهذا كان المولى اسماعيل شديدا عليهم ، وبهذا ثبت ملكه ، ولم يسترح مدة ملكه من مواصلة الحركات والغزو ستة اشهر متوالية) فلهذا السبب لم يتفرغ لدرس الشؤون البحرية ويهتم بالبحث عن العارفين بامر البحر على قدر ما كان مهتما بداخلية البلاد ، يدل على ذلك ماجاء فى كتابه الى جيمس ملك الانكليز — وهو يومئذ بفرنسا لنزاع جرى بينه وبين شعبه — ما صورته : (ووالله لولا اننا اناس عرب لا معرفة لنا بالبحر ، او كان عندنا من يحسن معرفته او نستوثق به فى الجيش ونطلقه فى يده ، حتى نكاتب الانكليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك)

1) يوجد هذا التاريخ بخزانة المرحوم المولى عبد الرحمن بن زيدان ، وهو كمذكرة له جمعها .

وذكر في الاستقصا عن المؤرخ منويل (ان لويز الرابع عشر كان اعان المولى اسماعيل على فتح العرائش بخمس فراقط حاصرها بها بحرا) ، وما كان من اهل العدوتين اذ ذاك انما هو صبابة مما بقي من عوائـــد الاندلس ، وقد ذكر ابن خلدون مبحث قيادة الاساطيل في اسباب تراجع قوة المسلمين في الاساطيل لعهــد الدولة الموحدية : (ان ذلك من ضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية) . فان تساءل بعض الناس : كيف لم يقم بطرد الاسبانيين من سبتة والبرتغاليين مــن البريجة ، فالجواب انه قد بــذل الجهود الجبــارة في اجلاء الاسبانييــن عن سبتة ، ولكن حصانتها حالت دون ذلك ، فاكتفى بالمرابطة عليها بل ادى الحال الــى اتهامه الغزاة بالتقصير في فتحها حذرا من ان يـساقوا اذا اتموا فتحها الى البريجة ويبعدوا بذلك عن ديارهم ، وفي وصيته التي كتبها يوم اشتد به المرض :

(واتركوا الجيش مقابلا لسبتة فان فيه ارهــاب الكافرين) اما البريجة فقد كانت ايضا من المناعة بمكان، فقد كان سورها يتركب من سورين والردم بينهما ، مع ارسال البحر حواليها في حدود عميقة ترسى بها السفن ، الا ما كان من جهة واحدة تنصب عليها قنطرة للعبور نهارا ثم ترفع بآلة فتستحيل بابا لذلك الحصن، زيادة على شحنها بالعدة والكماة المجربة والاحتيــاط للحصار بادخار الماء بالماجل الذي لا يزال ماثل العين لحد الان ، حتى تهيأت الاسباب ايام حفيده المولى محمد ، فحاصرها والح عليها بالقنابل الضخمة حتى اضطر اهلها للجلاء .

كما يلوح لنا ان المولى اسماعيل كان ــ لثقتــه بجيشه العتيد وسلاحه الموفور ــ لا يتوقع اي هجوم على بلاده ، وكذلك لم نسمع بحادث من هذا الشكل على طول ايام ملكه وكلهم يعلم ان من يسقط الى بلاده يقع في لهوات الاسد ، وقد ارهبهم بجلاء الانكليز عــن طنجة والاسبان عن العرائش واصيلا والمعمورة ، زيادة على عدد الاسرى التي كانت تعج بها سجونه بمكناس(2) وفيهم الرخاميون والنقاشــون والنجارون والحدادون بله المنجمين والمهندسين والاطباء ، وكانت عدتهم تنيف على الخمسة والعشرين الفا ، ولم تسمح نفســه بفداء اسير منهم بالمال ، وكان عدد الاسرى الذين اخذ مــن العرائش وحدها نحو ثلاثة آلاف ، فدي بمائة مــن عظمائهم الف اسير من المسلمين (3) ، ثم استقر هؤلاء الاسرى اخيرا بالحاجب واكراي قرب مكنـــاس ، واندمجوا في المغاربة وذابوا فيهم .

وفي عام 65 ايام المولى عبد الله ، ورد سفيــر الاسبان عليه بمائة الف ريال هدية ، وتحف من الملف والحرير والكتان ، فعلق الامر على فكاك اســرى المسلمين الذين عندهم من غير مال فكان كما اراد .

على ان القراصين بسلا في عهد المولى اسماعيل كانت تعمل عملها . فمن رسالة من ملك فرنسا لويز الرابع عشر في بدل الاسرى بالاسرى من الطرفيــن (اي الكل مما اسرتــه المراكب البحريــة بسلا) (4) . ولما كان عامل الثغور عمار بن حدو البطوي بالمعمورة ، اخذ مركب للافرنسـيين بعض مراكبه فاخذ آخــر في مقابلته ووجه اسراه الى الحضرة الاسماعيلية ثم انتهى الامر بفداء الاسرى بالاسرى . وذلك مما يؤذن بنفاق امر الاسطول البحري ، وقد قص في الاستقصا (5) نبأ وقوع المولى المستضيء على الخزائن الاسماعيلية التي وجد بها شيئا كثيرا من ملح البارود والشب والبقام وغير ذلك مما كان يجلب الى الحضرة من غنائم اجناس الافرنج ، فباع ذلك كله وذلك مما يبرهن على ما قلنا ، وكذلك في كتاب الاسير موبط ما يدل على انه كان له حرس بحري يترصد من يدنو من جوار ايالته مــن الاوروبيين ، فقد ذكر انه كان يرد على المولى اسماعيل من بلاد النصارى ــ الذين كانوا يعتنقون الاسلام والذين يطلبون خدمته بملء بطونهم مع بقائهم على دينهــم ــ اكثر مما تاسره عسس السلطان البحرية ، وذلك لمــا يلحقهم من ظلم كبرائهم والاجحاف بهم) انما الامر الذي لا شك فيه ان امر الاستعداد البحري ونشاط القرصنة انما تم في زمن حفيده المولى محمد ، فقد كان مغرمــا بذلك وكانت مراكب الجهاد تجوس خلال البحار فتاتي بالغنائم والاسرى ، وبذلك تغلغل نفوذ هذه الدولــة

---

2) انظر تاريخ الزياني والاستقصا
3) الجريري شارح الشمقمقية
4) انظر تاريخ الكونت دي كاستري ج 1 ص 434 ـ
5) ص 69 ـ

الشريفة في البحر وامتطى صهوة الامواج ، وكان ارصد لهذا العمل قسما من الخزينة المالية (6) ، وحصن ثغور المغرب وشحنها بالالات الحربية ، وشيد الابراج واسس مرسى الصويرة ليتاتى الخروج بالاساطيل منها في جميع فصول السنة ، لان مراسي العدوتين والعرائش كانت المياه ترسب في أفواهها وتضعف جرية الماء ايام الصيف بها ويتعذر خروج القراصين ، وقد استعان على عمله هذا بمهرة العارفين بصناعة الالات الحربية والمهاريس والكور والبنب (القنابل الثقيلة) والمراكب القرصانية والمعلمين الذين بعثهم اليه السلطان مصطفى العثماني ، كما استعان على ذلك باهل رباط الفتح ، فقد قص الضعيف في تاريخه ، حديث عزمه على اجلاء أهل الرباط الى الصويرة لما كان وقع منهم مع اخيه المولى احمد — وكان خليفة عليهم — فاخرجوه من القصبة تحت ظل سيوفهم ، وكان استفتى العلماء في شأن اخراجهم من الرباط فاجابه غير واحد بالمنع (انظر ج 9 من المعيار الجديد) ، ولكن راى انه ان اخرجهم لم يجد من يقوم مقامهم في البحر لكونهم من عناصر اندلسية مدربة على الجهاد وركوب أعواد البحر ، وقد ذكر في الاستقصا انه لما قدم الى العدوتين أمرهما بانشاء سفينتين . كما ان تجار اسفي من الاوربيين كانوا يتنافسون في شراء ما يحتاج اليه من اقامة المراكب يتزلفون اليه بذلك . وكذلك كان دول اوربا يبادرون الى امتثال امره (7) في شان ذلك ، وقد هيا له ذلك تحسين العلاقات مع الدول المجاورة له وغيرها ، فجدد عقد الصلح مع الافرنسيين وعقد الصلح مع البرتغال والاسبان ومع السويد والدانمارك (8) ، وكانت له علة محكمة مع ءال عثمان السادة الغطاريف ، ومع بلادمصر والحجاز وغيرهم ، بما كان يفك من اسراهم وما كان يفيضه على اشرافهم وعلمائهم من العطايا ، واخذ امر القرصنة يضعف بعد وفاته ، فقد ذكر متويل في حصار المولى اليزيد لسبتة ان عدة قراصين المسلمين الحربية كانت يومئذ ستة عشر قرصانا وبها من المدافع 306 ، وان كان الناصري في الاستقصا (137) قد انتقده وراى ان عدد القراصين كان اكثر ، وبقيت القراصين تجول في البحار ايام المولى سليمان كما بالضعيف ، وقد ورد عليه كتاب من بعض الرؤساء السلويين المجاهدين بغنيمة مركبين ، وصادف الحال قراءته لتفسير ووقوفه فيه على قوله سبحانه في الانفال (واعلموا) فسره ذلك واذن للشعراء في القول في ذلك ، وممن قال في ذلك علامة القطر الافريقي ابو اسحاق الرياحي الذي صادفه الحال هناك ، وقد أورد ذلك الجريري في شرح قافية ابن الونان ، ثم قص حديث غرق مركب بحري من مراكبه الكبار التي اعدها للغزو وكان فيه عسكر السلويين ، ورفع النبأ اليه وان ذلك من تفريط بحريته فامر بسجنهم بالمهدية والزمهم أداء عشرة الاف ريال ، فتوجه اليه أعيان المجاهدين من سلا والشرفاء والفقهاء والمرابطون والفضلاء وهو بفاس في شان الشفاعة في اولئك البحرية وكان فيهم الجريري فعفا عنهم . ثم انه في سنة 1233 اعرض عن الجهاد في البحر وفرق بعض قراصينه على الايالات المجاورة له كالجزائر وطرابلس وما بقي انزل منه مدافعه ولما كانت ايام المولى عبد الرحمان اراد احياء سنة الجهاد في البحر وامر بانشاء الاساطيل وضمها الى ما بقي من آثار جده سيدي محمد رحمه الله ، فلم يتم له في ذلك امر لاختلال امر التوازن البحري اذ ذاك ، وان كان قد غنم بعض رؤسائه من الرباط مركبا نمسويا تحدث على ما فيه مفصلا في تاريخ مكناس ص 135 ج 5 ولكن اعقبه من المشاكل ما أوجب تنازل المغرب عن القوة البحرية واضطر السلطان للاقتصار على التحصين والدلك انشأ البستيون بسلا (9) وبني أشبار الكبير بالرباط (10) ولا سيما لما وقع احتلال الجزائر ، وكان يحض على تعليم علم الطوبجية (11) ، فانظر الكلام على وقعة ايسلي ، ورمي الافرنسيين لطنجة والصويرة بالقنابل ، والمركب التجاري الذي ارتطم بسلا . ومما كان يجري بالرباط ان عامل المدينة كان يخرج بعد صلاة العصر من كل يوم جمعة بهيئته الرسمية الى خارج المدينة عند المصلى القديم قرب ضريح سيدي السعيدي ومعه باش الطوبجية ، لاجراء تمرينات على الرماية بالمهراس امامه عادة مقررة .

وكان به من شيوخ الرماة عشرة او احد عشر ، ولكل واحد عدة تلاميذ يدربهم على الرماية ويأمرهم

---

6) ذكر ذلك الجريري 7) انظر رحلة الغزالي

8) انظر ص 105 ج 4 من الاستقصا انعقاد الصلح بين السلطان سيدي محمد وبين الدانمارك والسويد وما كانوا يؤدون اليه من الاموال والمدافع . 9) الاستقصا ص 254 ج 4

10 الاستقصا ص 210 ج 4 11) الاستقصا ص 206 ج 4

ان يقولوا اول العمل ان ذلك بنية الجهاد في سبيل الله ، كما كان به فريق المصاقرية وهم المتمرنون على الضرب بالسيوف وذلك بواسطة عصي يتمرنون عليها، وكانوا يتقاضون مرتبا من الديوانة .

ولما كانت ايام المولى الحسن الذي درس الحالة عن كثب واهتم بنشر المدنية الجديدة ، اراد ان يرجع بالمغرب الى مركزه ويرفعه الى مستواه ، فقام بوسائل مهمة ، منها بعث البعثات العلمية الى الاقطار الاروبية (وكان ذلك في العهد الذي اوفدت فيه اليابان البعثات ايضا) ولكن لم يتم له في ذلك امر ولم تعقبه نتيجة مفيدة ، لان الشعب المغربي اذ ذاك لم يدرك ما كان يدركه سلطانه ، وما كان الناس يبعثون اولادهم لاروبا عن رغبة ، ولما مات المولى الحسن وخلفه ابنه المولى عبد العزيز على العرش قام بتدبير الملك حاجبه باحمد وذلك لصغر الملك ، وهذا الحاجب سياسي محنك ولكن في خصوص سياسة داخلية البلاد التي درسها من قديم على عتبة القصر ، اما المدنية الجديدة والتطور العصري فلم يكن نضج في فكره ، ولما ورد عليه بعض المتعلمين من تلك البعثات وقد أتموا دروسهم ، لم يجعل لهم قيمة ولم يقدر لهم قدرا والقاهم في زوايا الاهمال فضاعت معارفهم وخسرت صفقة المغرب ، وقد عرفت كثيرا منهم يستعين على معاشه ببعض الحرف ولله الامر من قبل ومن بعد .

الحالة التجارية والفلاحية في عهد المولى اسماعيل

بفضل التدابير التي اتخذها المولى اسماعيل لبث الامن في المغرب ، افرغ اهله ذرعهم للفلاحة وتربية الماشية والاتجار ، فكثرت تربية المواشي وتربية الخيل وعم المغرب الخصب والرفاهية ، ولما وفد عليه ءايت يدراسن من برابرة جبال فازازا ، شرط لتامينهم دفع السلاح والكراع والاشتغال بالحرث والنتاج ، ودفع لهم عشرين الفا من رءوس الغنم لرعايتها ، فكانوا يدفعون له كل عام صوفها وزبدها ويزيدهم الى ان بلغت ستين الفا . وقد غرس بجنان حمرية مائة الف قعدة من الزيتون ، وقد كان بالبستان المجاور لاصطبل الخيل من انواع الفواكه كل غريب ، ومعلوم ان اتساع مثل الزراعة والحيوان وما ينتجه من الصوف والزبد والاهاب مما يحرك اسواق المدن ويقع به التبادل مع ما عند اهلها من مصنوعاتهم ، زيادة على كون امر الفلاح يتوقف على عدة صناعات لاتوجد في البوادي ، وذلك ينبئنا بمقدار روجان التجارة والصناعة في عهده الى ما كان يروج في قصره من اعمال الفنانين فكان بذلك كمدرسة للصناعات والفنون ، ومن آرائه الرشيدة اتخاذ خزين للحبوب (الدكسيلوس) الذي تتخذه الدول الاوربية لهذا العهد ، انشاه بمكناسة الزيتون لما امتازت به من سلامة المخزون ، اتخذه للمسغبة ان كانت ، والحصار ايضا ان كان ، بدليل نصب المدافع هنالك ويظهر ان انشاء البركة العظيمة ثمة كان لفرض النزهة وللاحتياط للحصار ايضا ، كما احتاط بادارة السور على الاراضي الفلاحية ايضا بعاصمته ، بحيث لو حوصرت لكان عنده قوته من طعام وشراب واراضي الفلاحة التي تنتج ما يتوقف عليه وان طال امد الحصار .

اما حالة التجارة الخارجية فقد كان بايالته عدة مراس مفتوحة للتجارة وبها بيوت اموال ، وقد كان ولي على بيوت الاموال المتحصلة من مراسي العدوتين واسفي الحاج محمد بن ابراهيم معنينو (العائلة المشهورة بسلا) وقد ذكر في الاستقصا ان من الاسباب التي حملت المولى محمد بن عبد الله على تاسيس مرسى الصويرة ، ان يكون بمثابة لوسق السلع حتى لايتشوف الواردون على مرسى اكادير التي قد تكون احيانا في يد الثوار ، ولكونها وسط الايالة ، واسقط عن تجار النصارى الذين جلبهم اليها معلوم الجمرك ترغيبا في عمرانها ونفاق اسواقها ، واستمر ذلك الترخيص مدة ثم الحقها بغيرها من الثغور في الاداء ، كما أغلق مرسى ءانفا (الدار البيضاء) ورد تجار النصارى الذين كانوا بها الى الرباط ، الا انه يظهر ان حالة التجارة الخارجية في العهد الاسماعيلي لم تكن في المستوى المناسب لقطر يتدفق على شاطئه بحران ، وسبب ذلك ما كان يصدر من جيران المغرب من محاولة احتلاله الامر الذي يحمل ملوك المغرب على مناصبتهم القتال، ولذلك لما عرض الانكليز على المولى اسماعيل عقد الصلح ، وعقد مجلسا للنظر في طلبه ، ارتأى قائد الثغور اجابته لذلك لما فيه من تسهيل الابعاد في الغزو والبحر ، وتيسير أمر التجارة العائدة على البلاد بالثروة ، لولا ان قاضيه عارض في ذلك زيادة على عدم ثقته بعهود الاسبان لما سلف من غدر اسلافهم بأهل غرناطة وغيرهم كما يعلم من رسالته الى ملك الاسبان ، وسمعت من ذوي السن من بلدتنا الرباط ان أمر التجارة البحرية انما استفحل ايام المولى عبد الرحمان وانه هو الذي فتح البحر للتجارة ، ويظهر ان ذلك من نتائج اعراضه عن الغزو في البحر والقرصنة .

الحالة العلمية في عهد المولى اسماعيل

اما العلم في عهده فلاشك في انتشاره ، لان ذلك من نتائج الامن والرفاهية ، الى ما كان يقوم به من تنشيط الحركة العلمية باكرام اهلها ، يحدثنا الشيخ مرتضى في شرح الاحياء ان المولى اسماعيل دعا علماء عصره (12) وفيهم اليوسي وقدم اليهم الطعام ، فلما فرغوا صب على ايديهم الماء فامتنع اليوسي فغضب لامتناعه) وقد ذكر في نشر المثاني (ان المغرب في ايام المولى اسماعيل كثرت عمارته جدا ، وجدد الناس في ايامه للعلوم عهدا ، فكانت اسواق العلم في دولته عامرة ونجوم افلاكه نيرة زاهرة) وذكر ابن الحاج في تاريخه انه في ايامه كثرت العلماء وحفاظ القرءان ، فكم من رجل ولد وقرا وصار عالما من علماء المسلمين وولد له من صار عالما كل ذلك في ايامه المباركة) كما ذكر ايضا انه كان في وقته لاياخذ البيت بمدرسة الواد من فاس الا من يحفظ مختصر ابن الحاجب ، ومن اياديه البيضاء في نشر العلم بالرباط انه كان امر العلامة المحدث ابا الحسن العكاري بالمقام به لنشر العلم ، وتخرج عليه جماعة من اهله واليه تعزى النهضة العلمية .

انظر كتابنا : الفصن المهصور بمدينة المنصور .

العمارة الفنية في وقته

قرر ابن خلدون (13) ان آثار الدولة على نسبة قوتها في اصلها ، وان قوة البناء المشيد وعظمته تدل على عظمة الدولة .

ان البناء اذا تعاظم شأنه
اضحى يدل على عظيم الشأن

وذلك لانه يقضي بكون الدولة فسيحة الارجاء ، كثيرة الممالك والرعايا ، يمكنها ان تحشد من اقطارها ما يتم به العمل على اعظم هياكله ، واستشهد لذلك بديوان كسرى بالمداين وبلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة والحنايا التي جعلت لجلب الماء الى قرطاجنة وبناء الموحدين بالرباط وبرباط ابي سعيد بالمنصورة ازاء تلمسان وغيرها من المباني والهياكل ، ونحن اذا نظرنا الى المولى اسماعيل نجده من اعظم ذوي الآثار بين ملوك العالم ، وابنيته الضخمة ومساجده وقصوره وحياضه ورياضه ناطقة بذلك ، وهي وان غاب جلها عن رقعة مكناس فما غاب عن رقعة التاريخ ، وقد اسلفنا ان قصوره كانت كمدرسة للصناعات والفنون بما كانت تعج به من الفنانين من ذوي المهن المتعددة من الاوربيين وغيرهم ، وفيما كتبه الزياني وصاحب الاستقصا وصاحب الارتسامات العطاف وصديقنا ابن زيدان ، ما يقال في شانه لاعطر بعد عروس . وابدع عمارة للمولى اسماعيل يحدثنا عنها التاريخ هي مدينة الرياض ، ويظهر انه تحدى بها مدينة فرساي التي انشاها عصريه لويز الرابع عشر ، او حاكى بها مدينة سامرا (سرمن راي) التي بناها المعتصم لجيوشه . وسبب هدم نجله المولى عبد الله لهذه العمارة التاريخية هو تآمر رجال الدولة عليه بها ، كما كان سبب خراب سامرا هو ما كان بين امراء الاتراك من الاختلاف والتناقض ، فكان السبب قريبا من السبب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

---

12) يظهر ان هذه القصة وقعت يوم دعا المجاطي لختم التفسير في قصره .
13) ص 148 — 288 من المقدمة .

ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق

للأستاذ محمد الفاسي
عميد الجامعة المغربية

تعميما للفائدة ننقل هذا البحث عن مجلة (معهد المخطوطات) عدد مايو 1959 حتى يتاح للقراء في المغرب ان يطلعوا عليه، خصوصا وان المجلة المذكورة ليست واسعة الانتشار في المغرب.

وقد استأذنا حضرة الاستاذ السيد محمد الفاسي في ذلك، فأذن به سيادته مشكورا

دعوة الحق

امتاز العصر المريني الزاهر باقبال المغاربة على تدوين اخبار رحلاتهم، وكانت اقدم رحلة الفت في هذا العصر هي الرحلة المغربية للعبدري. وقد برز المغاربة في هذا النوع الادبي وبذوا غيرهم فيه حتى ان اشهر رحالة في العالم وهو ابن بطوطة كان من اهل المغرب. وحتى ان اعظم رحلة الفت في العربية الفها مغربي وهو الامام ابن رشيد الفهري.

ولد ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر الفهري بمدينة سبتة، سنة سبع وخمسين وستمائة، وكان من بيت عريق في المجد. وكانت مدينة سبتة في اوج عظمتها العلمية. فبدا دراسته بها واخذ عن مشايخها، وكان اعتماده في علوم اللسان على ابي الحسين بن ابي الربيع قرا عليه كتاب سيبويه واستوعبه وحصل على ثقافة واسعة الا انه مال من اول امره الى دراسة علم السنة وصناعة الحديث حتى تضلع منها، وصار له باع فيها طويل مما جعل ابن الخطيب يقول عنه: «كان رحمه الله تعالى فريد عصره جلالة وعدالة وحفظا وادبا وسمتا وهديا واسع الاسمعة عالي الاسناد صحيح النقل اصيل الضبط تام العناية بصناعة الحديث قيما عليها بصيرا بها محققا فيها ذاكرا للرجال (1)».

ولما بلغ السادسة والعشرين من عمره تاقت نفسه الى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق (2) ليكمل عليهم اختصاصه في علم الحديث ويحصل على اعالي الاسانيد وكانت له معرفة بالاديب الكاتب ابي عبد الله محمد بن حكيم الرندي، فاتفقا على السفر جميعا الى المشرق فغادر كل منهما بلده والتقيا بمرسى المرية في اوائل سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وكانت هذه القاعدة باب المشرق منها تبحر المراكب الكبيرة قاصدة مراسي افريقيا الشمالية ومصر والشام.

واننا نعلم تفاصيل رحلتهما هذه، بما كتبه ابن رشيد في مؤلفه العظيم الذي سنتكلم عنه بعد، وهو الموجود منه خمسة اجزاء بخزانة الاسكوريال باسبانيا حيث وقفت عليها ولخصتها؛ وقد ضاع منه جزآن الاول او بعضه وآخر في الوسط سنحقق امره بعد ايضا، فلذا لا نعرف هل ذهب المركب بهما قاصدا مدينة تونس حيث نجدهما في اول جزء عندنا من هذه الرحلة، ام رسا بهما أولا في احدى المراسي الاخرى كهنين او الجزائر او عنابة.

(1) الاحاطة، مخطوطة الاسكوريال 132.
(2) كما ذكره ابن الخطيب في ترجمة ابن الحكيم في الاسكوريال 43.

واقام ابن رشيد بتونس مدة قضاها فى التردد على مشايخها وتقييد الفوائد عنهم فى شتى الفنون خصوصا فى علم الحديث ؛ وقد ضمن كل ذلك رحلته الثمينة مع تراجم كل من لقيهم من العلماء والادباء وغيرهم .

ومن تونس سافر الى الاسكندرية ولا ندري هل كان ذلك على طريق البر أم البحر ام البعض برا الى طرابلس مثلا والباقي بحرا ؛ وذلك لان الجزء الذي تعرض فيه لسفره من تونس ومقامه بالاسكندرية مبتور الاول والاخر .

وقد اقام مدة بالاسكندرية مشتغلا بالبحث والتنقيب ، دائم التردد على كل من يشار اليه بمعرفة فى فن من الفنون ، مقيدا كل ما يسمع وما يرى ؛ ثم انتقل الى القاهرة وحل بها يوم سابع رجب سنة اربع وثمانين وستمائة وقضى بها مدة وهو مقبل على الدراسة والاستفادة ، ولا ندري كم اقام بها ، ولا متى حل بدمشق التي زارها بعد خروجه من مصر ، ولا المدة التي بقي فيها بدمشق كل ذلك لضياع جزء لاشك انه كان خاصا بهذه الاخبار .

وقصد بعد ذلك البلاد الحجازية فدخل المدينة اولا فى طريقه من دمشق ثم مكة ؛ وحج فى موسم سنة اربع وثمانين ، ثم رجع الى المدينة ومنها الى مصر فالاسكندرية ؛ وهو فى اثناء كل ذلك لا يفتر عن التقييد والبحث عن علماء كل بلد وادبائه والاخذ عنهم ونقل اخبارهم وافاداتهم وانشاداتهم .

وفى اليوم الرابع من ربيع الاول خمس وثمانين وستمائة ، غادر الاسكندرية مبحرا قاصدا طرابلس الغرب فقضى بها بضعة ايام ثم غادرها وسار حتى وافى مدينة المهدية ، وبحث فيها ايضا عن مشاهيرها على عادته فى التنقيب عن اهل العلم والادب ، ومنها سار الى مدينة تونس ، فدخلها يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني سنة خمس وثمانين وستمائة .

وكانت مدينة تونس فى ذلك العصر قد بلغت على عهد الدولة الحفصية الفتيه اعلى مدارج الرقي العلمي وصارت فى مصاف العواصم الاسلامية الكبرى كالقاهرة ودمشق وغرناطة وفاس ؛ وقد راينا فى حديثنا الاول عن الرحالة العبدري اعجابه بها وقد زارها سنتين بعد ابن رشيد وانما اخرنا الكلام على ابن رشيد لانه لم يتوف الا بعد اثنتين وثلاثين سنة من رحلة العبدري ، ولم يكن اعجاب ابن رشيد بمدينة تونس وباهلها وعلمائها ليقل عن اعجاب العبدري ؛ وقد برهن على ذلك بمقامه بها فى رجوعه سنة كاملة تفرغ فيها للاستفادة اكثر ما كان فى امكانه من مشايخها ؛ وقد فارقه بها صديقه ابن الحكيم ورجع لوطنه ، حيث كان ينتظره مستقبل زاهر اذ صار بعد ذلك كاتبا لمحمد الثاني النصري صاحب غرناطة ثم رقاه بعد ذلك الى منصب الوزارة .

اما ابن رشيد فانه بعد ان اقام تلك المدة كلها بمدينة تونس ، اشتاق الى وطنه فغادرها يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ست وثمانين وستمائة وقصد بلاد المغرب على طريق البحر ؛ ومما يلاحظ بهذه المناسبة انه بخلاف جل الرحالة المغاربة يؤثر السفر فى البحر ولعل ذلك لانه من ابناء المراسي وقد ربي بمدينة سبتة ، فهو لا يهاب ركوب المراكب واختراق لجج البحر لاعتياده رؤية ذلك ؛ وقد رسا به المركب ببونة قاعدة بلاد العناب المسماة اليوم عنابة فاجتمع بقاضي البلاد وبالوالي ، ثم ابحر ونزل بمراس اخرى الى ان وصل مدينة مالقة بالاندلس واليها كان متوجها المركب الذي ركب فيه ، ولم يقصد وطنه فى الحين بل ازمع السفر الى مدينة رندة لملاقاة صديقه ابن الحكيم ، وقد كانا تواعدا على ذلك لما كانا بتونس ؛ وقبل خروجه من مالقة بحث عن علمائها واخذ عنهم وذكرهم فى رحلته الجامعة وقضى بها اسبوعا ثم توجه الى رندة حيث التقى بصديقه ابن الحكيم وبحث ايضا عن مشاهيرها واخذ عنهم ، وقصد الجزيرة الخضراء ومنها ابحر الى مدينة سبتة « والشوق قد برح ؛ والغم قد صرح ؛ والديار قد تدانت والاعلام قد تراءت » كما قال فى آخر جزء من رحلته ودخل وطنه يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة ست وثمانين وستمائة بعد ان تغيب عنها ثلاث سنوات قضاها كلها كما راينا فى الاقبال على التزود من المعارف والبحث عنها فى مضانها البعيدة والقريبة حتى حصل منها على اكبر حظ واوفره .

وتصدر بعد ذلك للاقراء ببلده وبدا صيته ينتشر واقبل على تاليف الكتب المفيدة خصوصا فى الفن الذي تخصص فيه وهو علم الحديث ، وانا لا ندري بالضبط السنة التي بدا فيها تدوين اخبار رحلته ، حيث لم يرد شيء من ذلك فى الاجزاء التي بقيت لنا من هذه الرحلة ، وانما نعلم ان ذلك وقع قبل سنة عشرين وسبعمائة ، اذ قيد على آخر اجزائها سماع الاديب

الكاتب عبد المهيمن الحضرمي الذي سنتكلم عنه في العصر المريني الثاني وارخ ذلك السماع بشهر جمادي الثانية من السنة المذكورة .

ولكن يظهر لنا ، انه على عادة اكثر من يدونون حوادث رحلاتهم ، بدا ذلك وهو مسافر ثم لما رجع الى بلده اخذ في تنسيق تقاييده وترتيبها ليخرجها للناس للافادة اولا ثم للدلالة على مبلغ علمه وشهادة علماء الامصار له ، اذ كانت الرحلة بمثابة الاطروحات التي يكلل بها علماء وقتنا دراساتهم ، والتي تبرهن على تفوقهم وعلو كعبهم في العلوم التي تخصصوا فيها .

وبعد ان قضى بسبتة خمس سنوات وجه اليه صديقه ابن الحكيم يستدعيه وقد كان حصل على كبير الحظوة عند ملك غرناطة محمد بن محمد بن الاحمر ، وهو محمد الثاني ، فلبى دعوته وقصد غرناطة فحل بها سنة اثنتين وتسعين وستمائة فعين للخطابة والامامة بجامعها الاعظم ، واخذ يلقي دروسا ممتعة في المسجد المذكور فكان — كما قال ابن حجر في الدرر الكامنة — يشرح من البخاري حديثين يتكلم عن سندهما ومتنهما اتقن كلام (3) .

وكانت للوزير اللوذعي ابي عبد الله ابن الحكيم اكبر العناية بصديقه العلامة « فكان اذا فرغ من الخدمة يجيء الى ابن رشيد فيباشر خدمته بنفسه احيانا ويبالغ في اكرامه » وكان موضع احترام سائر أهل غرناطة لما راوه فيه من متانة الدين وعلو الكعب في سائر العلوم وحرصه على افادة طلابه .

وقد كانت له مع تخصصه في علوم الحديث مشاركة في غيرها وقد قال عنه ابن الخطيب بعد الفقرة التي تقدم لنا نقلها : « وكان متضلعا من العربية واللغات والعروض فقيها اصيل النظر ذاكرا للتفسير ريان من الادب حافظا للاخبار والتواريخ مشاركا في الاصلين عارفا بالقراآت » (4)

وكان يقرىء بغرناطة غير ما فن ويعقد مجالس للخاص والعام ، فصارت له بسبب كل هذا مكانة علمية ودينية لا تداني ، ولما توفى المحدث الكبير ابو جعفر ابن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة ، وقد كان قاضي المناكح بغرناطة ، اضيف هذا الوظيف ؛ لابن رشيد الا انه لم يبق فيه الا مدة يسيرة ، وذلك ان صديقه ابن الحكيم وقعت له نكبة فقتل سنة ثمان وسبعمائة وخلع سلطانه ، وقد حاولت اليد الآثمة ان تعتدي عليه ايضا بالسوء فحفظه الله وفر من غرناطة ولحق بحضرة فاس حيث كانت سبقته الشهرة والذكر الجميل .

فحل بها معززا مكرما ، واحتفى به سلطان المغرب ابو الربيع سليمان المريني اي احتفاء ، وخيره في المقام ابن شاء من مدن ايالته ، فاختار سكنى مدينة مراكش لانه كان تقدم له ان دخلها واعجبته فساعده على ذلك أبو الربيع وانتقل اليها فعين خطيبا واماما بجامعها العتيق واقبل على تدريس العلم بها وقضى بها مدة لا نعرفها بالضبط ، اذ ان كنا نقدر انه لم يقم بفاس الا يسيرا ريثما تم له امر الانتقال الى مراكش فانا لا ندري متى غادرها ، اذ يكتفي كل من ترجمه بالاشارة الى ان السلطان استدعاه بعد ذلك من مراكش الى فاس فلبى الدعوة وقصد مدينة فاس واستوطنها آخر ايام حياته .

ولا يقولون لنا متى وقع ذلك ولا من هو السلطان الذي استدعاه الا ان التاريخ يعيننا على تعيينه ، وذلك ان ابا الربيع توفى في آخر شهر جمادي الثانية سنة عشر وسبعمائة فلا يعقل ان يكون هو الذي استدعى ابن رشيد ؛ اذ لم يكن قضى اذ ذاك بمراكش الا نحو السنة فيكون الذي استدعاه هو السلطان الجليل احد مفاخر الدولة المرينية ابو سعيد عثمان بن يعقوب وقد بقي على عرش المملكة الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

ولما حل ابن رشيد بمدينة فاس اقتبله السلطان ابو سعيد بكل ما يليق بمقامه من الاجلال وصار من خواصه ، ولا يبعد ان يكون استدعاه في اول امره ، ولم يكن الاتصال المتين الذي كان له بالملك ليمنعه من الاقبال على تبليغ رسالته العلمية ، فكان يقضي جل اوقاته في نشر العلم وتاليف الكتب التي خلدت ذكره .

(3) ج 4 ص 2 من الدرر الكامنة .

(4) الاحاطة مخطوط الاسكوريال ص 42 .

وبقي على هذه الحال الى ان توفى بفاس في الثالث والعشرين لشهر المحرم سنة احدى وعشرين وسبعمائة ودفن خارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح « الجلة » المشتملة على العلماء والصلحاء والفضلاء من الغرباء الواردين مدينة فاس كما قال ابن الخطيب : « ومطرح الجلة هذا صار يقال له مطرح الجنة تفاؤلا » .

كان ابن رشيد قبل كل شيء اماما في الحديث وكان اكثر اشتغاله بالعلوم الحديثية وكان لذلك على مذهب اهل الحديث في الصفات يقبلها على ظاهرها ولا يبحث في تأويلها ، فاتهمه اعداؤه — على ما نقله ابن حجر في الدرر الكامنة عن سير النبلاء للذهبي — بانه لم يكن مالكيا . ولنورد نص ما قال الذهبي بالحرف :

« واخبرني ابن المرابط قال : كان شيخنا ابن رشيد على مذهب اهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول ؛ وكان يسكت لدعاء الاستفتاح ويسر البسملة فانكروا عليه وكتبوا عليه محضرا بانه ليس مالكيا فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة وبطل المحضر (5) » .

ولكنا لا ندري اين وقع هذا الاتهام ولا متى ؛ وعلى كل حال فهو يدل على تعصب كبير اذ لمن بلغ مبلغ ابن رشيد في العلم والتقوى أن يتمذهب بما شاء من المذاهب السنية .

وكان ابن رشيد خطيبا بليغا ينشىء الخطب البديعة وتارة يرتجلها كما وقع له مرة بمسجد غرناطة — على ما حكاه ابن الخطيب في الاحاطة المخطوطة — قال : « حكي عنه انه قام للخطبة يوما بعد فراغ المؤذن الثاني ظنه الثالث فلما قام نادى المؤذن الثالث ، فقال بديهة : ايها الناس رحمكم الله ان الواجب لا يبطله المندوب وان الاذان الذي بعد الاول غير مشروع الوجوب فتاهبوا لطلب العلم وانتبهوا وتذكروا قول الله تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : من قال لاخيه والامام يخطب انصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ، جعلني الله واياكم ممن علم فعمل وخوطب فقبل واخلص فتخلص . وذلك مما استدل به على قوة مطاوعة لسانه له » .

وكان ابن رشيد يقرض الشعر ايضا الا انه كانت تظهر على شعره آثار التكلف ومن شعره هذان البيتان قالهما في البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر ليلة البدر :

انظر الى البدر قد مدت أشعته
على خضارة حتى ابيض أزرقه

والريح قد صنعت درعا مسامرها
حباب برق بدا للعين رونقه

وله ايضا

تغرب ولا تحفل بفرقة موطن
تفز بمنى في كل ما جئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا
ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج

وقد اورد له ابن الخطيب في الاحاطة — كما بالجزء المخطوط منها الموجود بخزانة الاسكوريال — قصيدتين اخريين .

وبالجملة فقد كان ابن رشيد جامعا لفضائل جمة ، وقد وصفه الامام الذهبي في سير النبلاء فقال فيه ؛ كما نقله ابن حجر في الدرر الكامنة : « كان ورعا مقتصدا منقبضا عن الناس ذاهيبة ووقار ؛ يسارع في حوائج الناس ، يجلب المصالح ودرء المفاسد ؛ يؤثر الفقراء والغرباء والطلبة لا تاخذه في الله لومة لائم » .

اما تآليفه فجعلها كما قدمنا في الحديث ، واهمها رحلته التي طبق ذكرها الآفاق ، وان كانت لا يوجد منها اليوم نسخة كاملة .

بدا كتابة هذه الرحلة مدة غيبته واتمها بعد رجوعه، وقد ضمنها ذكر شيوخه الكثيرين الذين اخذ عنهم بامصار المشرق والمغرب ؛ ومن اشهرهم قطب الدين القسطلاني والحافظ عبد العظيم المنذري وشرف الدين ابن عساكر الدمشقي وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وقد اثنى على هذه الرحلة كل من ذكر مؤلفها فمن ذلك ماقاله ابن الخطيب في الاحاطة : « فيها فنون وضروب من

---

5) الدرر الكامنة ج 4 ص 112 .

الفوائد العلمية والتاريخ وطرق من الاخبار الحسان والمسندات الموالي والاناشيد وهي ديوان كبير لم يسبق الى مثله » وقال عنها المقري في ازهار الرياض : « اودع فيها ذكر اشياخه وجمع فيها من الفوائد الحديثية والادبية كل عجيبة وغريبة » .

وقد كانت اجزاء من هذه الرحلة توجد بمكة المكرمة حيث وقف عليها السيوطي كما ذكر ذلك في بغية الوعاة ، وذكر العياشي بعد ذلك في رحلته انه راى منها بمكة ايضا عند شيخه ابي مهدي الثعالبي عدة اجزاء ونقل منها فوائد كثيرة وانشادات عديدة وكان منها بفاس ايضا نسخة أو بعض الاجزاء الى القرن الحادي عشر حيث نرى شيخ الاسلام ابا السعود الفاسي ينقل عنها مباشرة .

ولكن اليوم لم يبق جزء واحد من كل هذه النسخ ببلد من بلاد الاسلام ، وكل ما بقي لنا منها هي الاجزاء الخمسة المحفوظة بخزانة دير الاسكوريال قرب مجريط باسبانيا ، وهذه الخزانة تحتوي على ذخائر ثمينة جلها من مؤلفات أهل المغرب الاقصى والاندلس ، وقد كانت التآليف التي تتركب منها هذه الخزانة ملكا للسلطان السعدي زيدان ابن المنصور وكانت محمولة في سفينة سقطت في ايدي قراصين اسبانيين اخذوها وذهبوا بها الى بلادهم وقدموها هدية لملكهم فامر بجعلها في الدير ، الذي كان امر ببنائه وهو دير الاسكوريال على نحو ستين كيلو مترا من شمال العاصمة الاسبانية .

وقد وقفت عليها بهذه الخزانة في احد ترداداتي عليها ، بقصد دراسة ما فيها من الرحلات وغيرها من المؤلفات التي تهم تاريخ بلادنا الادبي ، وكان ذلك في شهر شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة والف .

اختلف المؤلفون في عدد الاجزاء التي تتركب منها الرحلة فمنهم من ذكر انها اربعة كالمقري في ازهار الرياض ، ومنهم من جعلها خمسة وهو قاسيري مؤلف برنامج الاسكوريال ، وتبعه في ذلك العلامة بروكلمان ومنهم من جعلها ستة كالسيوطي وغيره وبتحليلنا للاجزاء التي وقفنا عليها بالاسكوريال تظهر الحقيقة .

اجزاء الاسكوريال خمسة اشير الى كل واحد منها بحرف من حروف الجمل : الف ، با ، جيم ، دال ، ها . منها ثلاثة بخط المؤلف وهي الف ، جيم ، دال .

واول الاجزاء التي كانت تتركب منها النسخة التامة مفقود ، وكان يشتمل على المقدمة ، وذكر السفر من سبتة الى المرية ثم الابحار منها الى ان وصل الى تونس وذكر دخوله لهذه الحاضرة . والجزء الثاني وهو الاول من الاجزاء الخمسة الموجودة بالاسكوريال ، والذي نشير اليه بحرف الالف يبتدىء بقوله : « وممن لقيناه بتونس مقدمي عليها من بلاد المغرب برسم الوجهة الحجازية يسر الله مرامها » ودعاؤه هذا يدل على انه بدا كتابة رحلته أثناء سفره . وكل هذا الجزء فيمن لقيهم بتونس من الفضلاء والعلماء والكتاب مع استطرادات مفيدة وقد كان هذا المجلد في ملك الامام المنجور ثم صار لولده عبد السلام وهو يقع في ست وستين ورقة « عدده 1736 »

والجزء الثالث وهو المشار اليه بحرف باء ، مبتور الاول ويبتدىء ما يوجد منه : « وممن لقيناه ايضا بثغر الاسكندرية » وعلى هذا ينقصه ذكر الخروج من تونس الى ان وصل الاسكندرية بحرا او برا مع ذكر عدد ممن لقيهم بها من الفضلاء . وهذا الجزء يحتوي على وصف مشاهد الاسكندرية ومن ذلك قوله في وصف مناره ، وقد كان من اشهر آثار الدنيا وما مر كاتب بذلك المرسى ولم يتعرض له في رحلته قال فيه ابن رشيد رحمه الله : « ومن عجائب الاسكندرية منارها الذي يعجز عنه الواصف ويحار فيه الراصف وضخامته من داخله اكثر مما هي من خارجه، وهو من عجائب المصنوعات وغرائب المرئيات : قاس احد اصحابنا جانبه البحري فوجده مائة ونيفا على عشرين قدما ، وذكر لي بعض الاصحاب أنه اخذ ارتفاعه بالاسطرلاب فالفى القاعدة ستين قامة والفحل الوسط اربعين والفحل الاخير عشرين والله اعلم » وفي هذا الجزء ذكر سفره الى القاهرة والكلام على من لقيهم بها وهو مبتور الآخر ايضا وقد كان في ملك الفقيه ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار ثم لحفيده محمد بن عبد الرحمان ثم للمنجور وقد كتب على ظهر اول ورقة من هذا المجلد ـ الثالث من رحلة ابن رشيد « عدده 1739 »

الجزء الرابع مفقود وهو الذي كان يحتوي على ذكر سفره من القاهرة الى ان وصل الى دمشق مع وصف المقام بالعاصمة الاموية وذكر من لقيهم بها من الفضلاء الى ان غادرها ، ودليل ذلك ان الجزء الذي يليه يبتدىء بقوله : ذكر توجهنا من دمشق حماها الله تعالى الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم .

الجزء الخامس من الاجزاء الثلاثة التي بخط المؤلف ، ونشير اليه بحرف جيم وهو يبتدىء بما ذكرنا من سفره من دمشق ويحتوي على وصف الطريق الى

المدينة ثم وصف المدينة المنورة وذكر من لقيهم بها من الفضلاء ثم وصف الطريق بينها وبين مكة المكرمة ، ثم وصف الحج ومناسكه وما يتعلق به ، وذكر من لقيهم بمكة ومنى وعرفات ، ثم خروجه من مكة ورجوعه الى المدينة المنورة ثم مغادرتها وقد اهل عليه هلال محرم سنة خمس وثمانين وستمائة في الطريق وسار الى ان وصل القاهرة وذكر ايضا من لقيهم بها في هذه المرة الثانية ثم قصد الاسكندرية وذكر من لقيه بها في الصدور ممن لم يكن لقيه في الورود ، وبذلك ينتهي هذا الجزء وقد كان ايضا في ملك الونشريسي والمنجور ، عدده 1680 وقد كتب عليه انه الخامس من رحلة ابن رشيد والجزء السادس هو الجزء الثالث من الاجزاء التي بخط المؤلف ونشير اليه بحرف دال يحتوي على ذكر سفره من الاسكندرية بحرا الى ان وصل طرابلس فتونس حيث اقام سنة كما قدمنا وذكر في هذا الجزء عددا كبيرا ممن لقيهم بتونس في رجوعه او تجدد له لقاؤه مع استطرادات مفيدة وايرادات لطيفة تنم عن ادبه وذوقه » عدده 1737 » .

الجزء السابع ونشير اليه بحرف هاء هو الاخير وفيه بقية الكلام على تونس وادبائها وعلمائها وخبر رحلته عنها الى أن وصل مسقط راسه » عدده 1735 » وهذا الجزء من الجزءين » الف ودال » من اهم المصادر عن تاريخ الادب العربي بتونس في القرن السابع

ومما تقدم يتبين ان رحلة ابن رشيد واسمها » ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة » كانت تتركب من سبعة اجزاء لا من ستة ولا من اربعة كما ذكر ، وسبب هذا الاختلاف هو ما يقع كثيرا في مثل هذه الكتب ذات الاجزاء الكثيرة من تصرف النسخة في تقسيمها فمنهم من يجعل الاجزاء صغيرة فيكثر عددها ومنهم من يجعلها كبيرة فيصغر ؛ ولكن يظهر من ذلك انها كانت تتركب في الواقع من ستة أجزاء الا ان الاول كان ينقسم هو بدوره الى جزءين والدليل على ذلك ان الجزء » الف » كتب عليه هذه العبارة ـ الثاني من الاول وعلى هذا فلا ينقص نسخة الاسكوريال الا نصف الجزء الاول والجزء الرابع وبعض أول الجزء الثالث وآخره .

ولابن رشيد مؤلفات اخرى منها اثنان لا يزالان محفوظين بخزانة الاسكوريال ايضا وهما » السنن الابين والمورد الامعن في المحاكمة بين الامامين في السند المعنعن» وقد الفه في مدرسة سبتة سنة خمس وسبعين وستمائة والنسخة التي بالاسكوريال عليها خط المؤلف بالمقابلة على النسخة وتاريخ ذلك سنة اثنين وسبعمائة

والثاني كتاب الافادة النصيح بالتعريف باسناد «الجامع الصحيح» وقد ذكر فيه عددا من المحدثين والنسخة التي بالاسكوريال بخط ابي عبد الله محمد ابن هانيء اللخمي السبتي وسنتكلم عنه فيما بعد ان شاء الله وعليها خط المؤلف ايضا بتاريخ سنة ست وسبعمائة .

وله دون ذلك مؤلفات لم يبلغنا الا اسماؤها ومنها ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة ـ تراجم البخاري لما تحتها مما ترجمت عليه . ومنها » المقدمة المعروفة لعلو المسافة والصفة » ومنها » احكام التاسيس في احكام التجنيس » ومنها » الاضاءات والانارات في البديع » وكتاب » وصل القوادم بالخوافي في ذكر امثلة القوافي » شرح فيه كتاب القوافي لشيخه ابي الحسن حازم وغير ذلك من التآليف في شتى الفنون .

ويحسن قبل ان نختم هذا الحديث ان نشير الى وهمين منتشرين حول ابن رشيد الفهري احدهما ان بعض من ذكره من المعاصرين قال عنه انه سافر مرتين وقد راينا انه لم يرحل الى المشرق الا مرة واحدة . والوهم الثاني أعظم من الاول وهو ان كثيرا من المستشرقين يجعلون من ابن رشيد شخصين وذلك ان احدهم ظن أن الونشريسي الذي يرد اسمه على الاجزاء التي كانت في ملكه هو المؤلف لها ، ووهم في اسمه جاعلا له الونشريسي وكذا نجد في كثير من كتب تاريخ آداب اللغة العربية في باب الرحلات ـ رحلة ابن رشيد ورحلة الونشريسي .

ونرجو في الختام ان يوفق احد العلماء ممن يشتغلون بهذا الفن الى نشر اجزاء رحلة ابن رشيد المحفوظة بخزانة الاسكوريال .

التعليم في الولايات المتحدة
أهدافه ومراحله

للأستاذ
محي الدين المشرفي

– 2 –

التعليم الجامعي

وفي امريكا تعليم جامعي منظم يمكن اعتباره من ارقى مراحل التعليم في العالم ، اذ لكل ولاية جامعة او اكثر تقع في ضاحية العاصمة ، وتتوفر على عدة كليات زاخرة بالطلاب الذين يعدون انفسهم في مختلف ميادين الحياة ؛ وقد يأخذك العجب عندما تعلم ان جامعات « سان فرانسسكو » في ولاية كاليفورنيا تضم ما يزيد على 45 الف طالب وطالبة يدرسون الطب والهندسة والتشريح والمحاماة والزراعة والصيدلة والكيمياء والفيزياء وعلمي التربية والنفس والتاريخ والجغرافيا وغيرها من شتى العلوم والفنون ؛ ويمكن ان تعتبر كل من هذه الجامعات مدينة واسعة الارجاء باحيائها ومرافقها ومستوصفاتها واوراشها ومساكنها ، يجد فيها الطلبة كل ما هم في حاجة اليه من اسباب الراحة والاطمئنان .

نذكر على سبيل المثال ان جامعة هافارد بواشنطن، وهي خاصة بالزنوج ، تحتل قطعة من الارض تقدر مساحتها بمساحة مدينة سلا ، ويشرف عليها الدكتور « مورد كاي دجينسون » بمساعدة عشرين رجلا وامرأة احرزوا كلهم درجة عليا في العلوم والمعرفة ؛ ومدينة « سان فرانسيسكو » تتوفر على جامعة دافس وجامعة باركلي الواقعتين على مقربة من تلك المدينة الجميلة . وفي كل هذه الجامعات وغيرها يتابع الطلبة دروسهم بحماس منقطع النظير مقتنعين تماما بخطورة المهمة التي يقومون بها الى درجة انك اذا دخلت عليهم ، وهم يشتغلون ، لا يتزحزحون عن اماكنهم نظرا لاستغراقهم في العمل . وغني عن التوضيح ان التعليم في الجامعات يكتسي هو الآخر صبغة عملية ترمي – زيادة على تزويد الطلبة بالعلوم النظرية المفيدة – الى تدريبهم بالجامعة نفسها على مزاولة المهنة التي يستعدون لها : فكلية الحقوق بجامعة هافارد مثلا تشتمل على قاعة كبرى للمرافعات يتدرب فيها طلبة الحقوق على ممارسة مهنة المحاماة تحت اشراف ابرز اساتذة القانون بحيث لا يترك الطلبة الجامعة حتى يدركوا المهارة اللازمة التي تؤهلهم لمزاولة تلك المهنة بصورة تبعث على الاطمئنان ، كما ان كلية علم الاسنان متوفرة على قاعة كبرى خصصت فيها عدة شقق ، في كل واحدة منها جميع ما يحتاجه طبيب الاسنان من ادوات وآلات وعقاقير لممارسة مهنته اعتمادا على المعلومات التي يتلقاها الطالب في الجامعة . وهكذا يكتسي التعليم الجامعي في الولايات المتحدة صبغة عملية غايتها اكساب الطلبة المهارة الكافية التي تمكنهم فيما بعد من تسخير جهودهم ومواهبهم لخدمة الصالح العام .

ومما هو جدير بالذكر ان كل جامعة تشتمل على مركز للتربية الاساسية ، والوسائل السمعية البصرية تستغلها الجامعة لتدريب المعلمين على الانتفاع بها حتى تكتمل بذلك خبرتهم ويتم اعدادهم بصفة جدية بعيدة الفائدة والاثمار ؛ ولا سبيل لاي معلم متدرب ان يحصل على اجازته من الجامعة ما لم يعط البرهان القاطع على انه قادر على استعمال الافلام والسينما وغيرها من الوسائل السمعية البصرية التي تلعب دورا اساسيا هناك في ميدان التربية والتعليم .

وغني عن البيان ان اجهزة التلفزيون مركزة في امريكا بكل مكان ، تجدها في المنازل الخاصة والفنادق والمحلات العمومية بحيث يستفيد من برامجها الكبير والصغير والوالدة والطفل ؛ فتلهيهم تلك البرامج المفيدة عن الخروج الى المقاهي او الجلوس في محلات الفرجة ، كما ان التلفزيون تمكن الطلبة عموما من الاستفادة من بعض الدروس القيمة التي يقوم بها اساتذة موهوبون في جامعة خاصة دون ان يكلف الطلبة ذلك مشقة الارتحال الى تلك الجامعة المحظوظة . ويكفي

لاظهار الدور الخطير الذي تلعبه الوسائل السمعية البصرية في التعليم الامريكي ان نشير الى ان مصلحة التربية الاساسية بجامعة بركلي بكاليفورنيا تسعى الآن سعيا حثيثا لاعداد افلام حية يشارك في اخراجها كبار المفكرين والفلاسفة والقادة السياسيين امثال الرئيس نهرو ووستن تشرشيل كي تقدم للجمهور العالمي ؛ ويعتقد ان اذاعة هذه الافلام ستساعد بلا ريب على ايجاد جو ملائم يفضي في القريب او البعيد الى ايجاد فرصة التقارب بين الامم ونشر الوية السلم في العالم اجمع .

وبالاضافة الى ذلك كله تبدي الجامعات في كل مكان نشاطا ثقافيا كبيرا لاصدار مجلات ونشرات شهرية او اسبوعية ، لها أثرها البعيد في الميدان الثقافي ؛ وبها كذلك مكتبات ضخمة تحتوي على مآت الآلاف من الكتب يستغلها الطلبة واولياؤهم على حد سواء .

واذا كان التعليم في الجامعات الامريكية يكلف الطلاب نفقات باهضة قد لا يستطيع دفعها الا ابناء العائلات الثرية ، فان هذه الجامعات تتمتع بميزانيات ضخمة لا تساهم فيها الحكومة عادة الا بالقليل ؛ ذلك ان معظم هذه الجامعات تعتمد ماديا على التبرعات التي تتوارد عليها من مختلف الشركات والهيآت التجارية ؛ وتلك ظاهرة اخرى من مظاهر روح التعاون التي تمتاز بها الاوساط الامريكية ؛ فالامريكيون عموما يفضلون الاعتماد على انفسهم قبل الالتجاء الى معونة الحكومة لتحقيق المشاريع التي يعولون على انجازها ؛ والامريكي حريص على التمتع بما يوفره عليه نشاطه من تقدم مادي ؛ فلا يقتصد شيئا من ربحه اليومي ولكنه يفضل المساهمة في الشركات التعاونية التي تمهد له سبيل الحياة ؛ فيقتني بواسطتها البيت الذي يسكنه والآلات الضرورية التي تستخدمها زوجته كادوات الطهي والكي والتنظيف ، وبنفس الطريقة يستطيع شراء السيارة الضرورية بالنسبة لعموم الامريكيين نظرا للمسافة التي تباعد عادة بينهم وبين مقر اعمالهم ، وآلة التلفزيون التي لا يكاد يخلو منها منزل واحد .

وقد تولد عن هذا النظام الاقتصادي الراسمالي عدد لا يحصى من الشركات التعاونية والهيآت التجارية او الصناعية التي يمتد نشاطها الى ميدان الثقافة بصورة تثير الاعجاب والاستحسان .

فالشركات تمد بالمساعدة المالية المدارس الابتدائية والثانوية ؛ لذلك يستطيع الطلبة المعوزون او الموهوبون متابعة دراستهم بفضلها ؛ لكن معظم تلك الشركات لا تهتم الا باعانة طلبة التعليم العالي الذين وقفوا انفسهم على البحث العلمي ؛ ومن جملة هذه المؤسسات الخيرية الكبرى مؤسسة روكفيلير التي لها فروع في مختلف المدن الامريكية . ومن الملاحظ ان هذه المؤسسة مستعدة لتقديم اعانتها لا للاشخاص والهيآت فقط ، بل تقدمها احيانا للحكومات ، بقطع النظر عن الجهة التي يشتغل فيها الباحثون او البلاد التي يودون الالتحاق بها او لغة الدراسة التي يعتمدونها في ابحاثهم . يضاف الى ذلك ان الحكومة الامريكية تعمل جاهدة على تشجيع تلك المشاريع باسقاط بعض الضرائب المترتبة عن الشركات والمؤسسات التجارية او الاشخاص المتمولين الذين يقدمون قسطا من اموالهم في سبيل نشر العلم والعرفان ؛ ومعلوم ان هذه الضرائب ثقيلة جدا على المواطن الامريكي بوجه عام والشركات التجارية بصفة خاصة ؛ وعليه ، فمن الممكن ان نقول ان المتمولين في امريكا محمولون ، بحكم القوانين المفروضة على الراسماليين على انفاق قسط من ثرواتهم في سبيل الخير والمعرفة ؛ ويتفق احيانا ان تفضل بعض المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد مثلا ارصاد قسط من مالها في احد الابناك لتاسيس جامعة قائمة بذاتها متكفلة بجميع ما يتطلبه تسييرها من نفقات تتصل بالاساتذة والمعيدين والخدم وما تحتاجه من اثاث وادوات ، وذلك بفضل الارباح التي تدرها عليها المبالغ المالية الموضوعة في البنك ؛ ولقد استفادت الجامعات حقا من تلك التبرعات استفادة كبرى حتى ان جامعة نيورك ، وهي اعظم مؤسسة علمية في الولايات المتحدة ، لا تتوقف في مليم واحد على مساعدة الحكومة ؛ بل اصبحت هذه التبرعات من الاهمية والكثرة والتنوع بحيث اضطرت جامعة سان فرانسيسكو الى احداث مكتب داخل بناياتها تنحصر مهمته في تسلم التبرعات والاعانات من الاشخاص والهيآت والعمل على انفاقها في سبيل الطلبة طبقا لرغبة المتبرعين .

اعداد المعلمين والاساتذة

وتؤدي الجامعات الامريكية مهمة ثقافية كبرى بالاضافة الى وظائفها الاخرى ، هي اعداد المعلمين والاساتذة ؛ ويشترط في الطلبة المعلمين ان يقضوا بعد تخرجهم من المدارس الثانوية اربع سنوات بالجامعة اذا كانوا يستعدون لمزاولة التدريس في المدارس الابتدائية؛ وتمتد تلك المدة الى خمس سنوات بالنسبة لاساتذة

المعاهد الثانوية ؛ ويتخرج المعلمون بعد احرازهم على شهادة باكالوريوس الآداب ؛ اما الاساتذة فينالون درجة ماجيستر قبل ان يسمح لهم بمزاولة مهمتهم . هذا وليس هناك فرق كبير بين طريقة تهييء المعلمين وطريقة اعداد الاساتذة الا ان الاولين يقضون ربع اوقاتهم في دراسة علوم التربية وعلم النفس ، بينما تصرف بقية المدة في دراسة العلوم النظرية الاخرى ؛ اما المرشحون لخطة التدريس الثانوي فانه يخصص لهم سبع الحصة تقريبا لدراسة علوم التربية وما بقي من الوقت ينفق في تنمية ثقافتهم العامة .

هذا ، وفي استطاعة المعلم الابتدائي ان يرقى الى درجة استاذ على شرط ان يساهم في الدروس الليلية او الصيفية التي تنظمها الجامعات ؛ ومن الممكن كذلك ان يحصل على رخصة استيداع لمدة سنة كاملة تمكنه من الالتحاق بالجامعة استعدادا للتدريس بالمعاهد الثانوية ؛ ومعلوم انه ليس هناك تخصص بالنسبة للمعلم الابتدائي الذي يطالب بتدريس كل المواد ؛ على انه لابد للذين يرشحون انفسهم للثانويات من ان يتخصصوا في المادة التي تناسبهم على اساس ان يضيفوا اليها مادة اخرى : فاستاذ الانجليزية مثلا يدرس معها مادة التاريخ ، واستاذ التاريخ يقوم في نفس الوقت بتدريس الجغرافيا بينما يشترط في صاحب العلوم ان يضيف الى هوايته مادة الكيمياء او الفيزيا ؛ ولا يكون التخصص ممكنا في المادة الواحدة الا بالنسبة لمدارس المعلمين العليا .

ومن الملاحظ ان المبادىء البيداجوجية التي يعتمدها المربون في الولايات المتحدة مزيج من شتى الفلسفات والآراء العالمية في التربية والتعليم .

هذا ، ولا يستطيع المعلم او الاستاذ ان يتحقق بمقر وظيفته حتى يعطي البرهان على انه قادر على القيام بواجبه : ومن اجل ذلك توجد بجانب كل جامعة مدرسة ابتدائية تطبيقية يذهب اليها الطلاب ليتدربوا على طرق التعليم الحديثة وتدريس المواد المختلفة بما في ذلك الموسيقى والرسم والفنون الجميلة والاعمال اليدوية . وفي كل مدرسة من هذا النوع من الكتب ما يروي غليل المعلمين والتلاميذ على السواء ؛ ويشترط في كل معلم ان يرافق تلامذته الى مكتبة المدرسة ؛ ولا يجوز له ان يتدخل في شؤونهم الا اذا ايقن انهم لم يحسنوا اختيار الكتب المطلوبة . وملاحظة اخرى تستحق الاعتبار فيما يرجع لتكوين المعلمين هي ضرورة اتصال المتدربين بأندية الاطفال المنبثة هنا وهناك ، يشاركونهم في احاديثهم والعابهم ومناقشاتهم حتى يتعرفوا مباشرة على نفسية الاطفال المعقدة وتكتمل تجاربهم بالنسبة لمشاكل الطفولة ، اما مديرة المدرسة التطبيقية ، فتسهر على تسيير مدرستها بمساعدة المعلمات كلهن بمعنى انها تكتفي بمراقبة سيرها من بعيد ـ كما تفعل المشرفة على التعليم الابتدائي نفسها ـ دون أن يتعدى عملها الى مراقبة المعلمات مباشرة او تفتيشهن ؛ ذلك ان التفتيش بالمعنى المعروف في بلادنا لا وجود له في الولايات المتحدة ؛ وليس هناك الفاظ تثير اشمئزاز الامريكيين اكثر من كلمة مدير ورئيس ومفتش لانها كلمات في اعتقادهم تحمل في طيها سوء الظن ، اذ يفهم منها تدخل اجنبي مباشر في شؤون الغير ، لا مبرر له بالنسبة للمواطنين الامريكيين الذين يباشرون الاعمال المنوطة بهم بمنتهى اللباقة والاخلاص ؛ نعم ، يوجد في امريكا مراقبون على التعليم او بالاحرى « مرشدون » تطلق عليهم كلمة « سوبر فايزر » يحضرون المدرسة كلما دعت الضرورة لذلك ، وباستدعاء من المشرف او المعلمين ؛ فيوجهون ويرشدون من كان في حاجة الى الارشاد والتوجيه دون ان يكلفهم ذلك تحرير التقارير المطولة وابداء احكامهم القاسية على المعلمين .

هذا ، وان الامانة في الرواية تحملنا على القول بان الولايات المتحدة تقاسي اليوم ازمة شديدة فيما يرجع للمعلمين الاكفاء رغم تعدد الجامعات ودور المعلمين ؛ ويعود ذلك الى عدة اسباب منها ان الحرب العالمية الثانية استأثرت بكثير من الشبان كان من الممكن اعداد اغلبيتهم بمهنة التدريس بينما ازداد عدد المواليد بصورة استثنائية عقب الحرب المذكورة ؛ وان هناك المصانع والشركات الاقتصادية التي فتحت امام الطلبة ميادين واسعة للعمل تدر عليهم بالطبع ارباحا زائدة ، وتمنح الشبان فرص الكسب اكثر مما تمنحهم اياها مهنة التدريس ، اما في التعليم الثانوي فالازمة خاصة باساتذة العلوم والرياضيات .

هذا ولو اردنا ان نستقصي هذا البحث لوجب ان نقول كلمة قصيرة عن أحوال المعلمين وأجورهم : فالمعلم في امريكا ليس موظفا بالمعنى المتعارف في البلاد الغربية، اذا ما حصل على تسميته في اطار المعلمين ادركه الفتور وراح يفكر في الترقية والحصول على تعويضات زائدة اكثر مما يفكر في الاساليب التي يعتمدها في ميدان المهنة التي اعتنقها عن طيب خاطر ، مطمئنا على وظيفته التي لا يغادرها عادة الا اذا ادركته سن التقاعد ؛ بل المعلم

الامريكي على خلاف ذلك الوضع البالي القديم موظف متعاقد لمدة محدودة مع ارباب الولاية التي تستخدمه ؛ فهو بالتالي دائم النشاط مستمر فى العمل الجدي همه البحث عن كل مامن شانه ان يرقي به عمله ، فيتمكن من الحصول على عقدة جديدة من الولاية ؛ فكأن الاستقرار والاطمئنان اللذين يتمتع بهما الموظف عندنا آفة وضرر على الانتاج الثقافي .

اما فيما يخص الاجور ، فالمعلم الامريكي يتقاضى اجرة شهرية تتراوح بين 150 و 250 دولار ، يستطيع ان ياخذها فى آخر كل اسبوع او بعد اسبوعين او فى آخر كل شهر تبعا لنوع العقدة التي امضاها مع هياة التعليم ؛ ويخصم من هذا القدر 6 فى المائة ليدفع اليه عندما يبلغ سن التقاعد ، وضريبة عامة لفائدة الولاية وضريبة ثالثة اقل اهمية من الاولى .

ويختلف النظام الخاص بالمتقاعدين بحسب وضعيتهم الادارية واقدميتهم وسنهم ؛ ومهما يكن من امر فلابد من مراعاة الشروط التالية قبل احالة الموظفين الامريكيين على المعاش .

الحالة الاولى :

ان يكون الموظف قد بلغ 55 سنة من العمر وقضى 25 سنة فى التعليم على الاقل .

الحالة الثانية :

ان يبلغ 60 سنة من العمر ويكون قد عمل فى ميدان التعليم مدة 10 سنوات بلا انقطاع خلال السنوات الثلاث الاخيرة .

الحالة الثالثــة :

ان يقضي الموظف 36 سنة فى ميدان التعليم بدون اعتبار اي شرط آخر فى السن

هذا ، وللمعلم الحق فى ان يتمتع برخصة استيداع اذا اراد على شرط الا يطالب باية اجرة او تعويض خلال تلك الرخصة ، اللهم الا اذا طلبها لمرض او سبب قاهر؛ وله كذلك ان يعود للوظيف عقب انتهاء الرخصة التي حصل عليها .

الامتحـانـات :

هذا ، وان الحديث عن الوظيف والموظفين يجرنا بالطبع الى الكلام عن الامتحانات التي نقيم لها فى بلادنا اعتبارا اكثر مما تستحق ؛ وذلك معناه ان الامريكيين لا يعيرون اهتماما للشهادات التي يحملها الشخص بقدر ما يهتمون باستعداد هذا الشخص لمزاولة العمل الذي يرغب فيه ؛فهم يقدرون الكفاءة القيمة الشخصية قبل كل شيء بقطع النظر عن الاوراق الرسمية التي تمنحها هذه المدرسة او تلك الجامعة : اولا لانهم يعتقدون بحق ان تلك الشهادات لا تعطي دليلا واضحا عن قيمـــة الاشخاص ، ثم لانهم يعتبرون نظام الامتحانات على ما هو عليه فى البلاد الاوربية وما شاكلها ، مرهقة بالنسبة للاحداث، لا فائدة كبرى من ورائها. فالظروف والسرعة التي تمتاز بها الامتحانات بوجه عام قد تساعد الكثيرين من الطلاب على اجتيازها رغم عدم اكتمال ثقافتهـــم واستعدادهم للحياة العملية ؛ بل يرى معظم الامريكيين انها مضرة بالاحداث لانها تعودهم الحفظ والاستظهار، وذلك يكون دائما على حساب المواهب والقرائح التي نحن فى امس الحاجة الى تقويتها وانمائها . فالمسالة ، بالنسبة للانكلوسكسوكيين عموما ليست مسالة حفظ واكتناز للمعلومات ، تنظم من اجلها الامتحانات آخر السنة الدراسية ليتعرف على مقدار ما اختزنه الطفل فى ذاكرته منها ، ولكنها مسالة استثمار لتلك المعلومات واكتساب للتجارب اللازمة التي تجعل من ذلك الطفل فى المستقبل انسانا عمليا ، يفكر بنفسه ويشعر شعورا يحمله على العمل لفائدته وفائدة مواطنيه ؛ ولذلك فلا اثر للامتحانات هناك بل هناك اختبارات تسمى تيست يقع اجراؤها على التلاميذ بانتظام للتعرف على ذكائهم ومقياس تطوره ، ومقدار ما اكتسبوه طيلة حياتهـــم الدراسية من الخبرات والمهارات الضرورية .

واحسن ما فى ذلك النظام المعقول ، فى نظرنا انـــه يحفز التلاميذ الى العمل الجدي المفيد ، ويمكن الاغلبية الساحقة من الالتحاق بالمعاهد الثانوية والجامعات كل بحسب استعداداته ومواهبه .

الاتجاهات الجديدة فى التعليم بامريكا

ان الذين سنحت لهم الفرصة بزيارة بعض المعاهد الثقافية الامريكية وكان لهم حظ الاهتمام بدراســـة تاريخ تطور تلك المؤسسات يرون ان التعليم خطـــا فى امريكا خطوات واسعة منذ القرن الثامن عشر ، وهو

التاريخ الذي نشأت فيه المدارس الابتدائية الاولى ؛ وقد فهم الامريكيون ان المعلومات التي يتلقاها الاطفال قد تختلف كثيرا بحسب المناطق او العصور التـــي يعيشون فيها ؛ ولكن الشيء الذي يؤمن به اليوم معظم المربين بامريكا ويعملون كذلك على تطبيقه هو اعـداد الطلبة بكيفية عملية للحياة العصرية ، ولا يتحقق ذلك بالطبع الا بمدادهم بالوسائـل اللازمـة وحثهم على توسيع دائرة المعارف التي ورثوها عن آبائهم .

ولم يقنع الامريكيون بتنظيم هذا التعليم بحيـث يستطيع شبابهم الاستمرار فى البحث والتنقيب، ولكنهم يحرصون ايضا على ان يكون هذا التعليم دائما ممتازا يمكنهم من تزعم الحركة العملية حتى لا تتقدمهم دول اخرى كروسيا فى عالم الاكتشاف والاختراع .

ويشير كثير من المربين نظرا للرجة التي احدثها القمر الصناعي الروسي الى ضرورة اعادة النظـر فى البرامج التعليمية وذلك برفع مستوى العلوم النظرية التي تدرس فى المدارس على اختلافها لانهم يعلمون ان الزعامة ستكون لا محالة للامم التي تعطى تعليما صحيحا مناسبا لروح العصر .

وقد انعقد سنة 1955 مؤتمر ثقافي بالبيت الابيض ، تحت رئاسة الرئيـس ايزنهاور شارك فيه ما يزيد على ثمانمائة والف مواطن امريكي ممن لهم اهتمام بشؤون التربية والتعليم كان الغرض منه تحديد الاهـداف البعيدة من التعليم بسائر انواعه ومراحله فى امريكا ؛ وقد اتفقوا على ان الاهداف التي يجب ان ترمي اليها تربية صحيحة سليمة فى الولايات المتحده هي : تزويد الاطفال بالمعلومات الضرورية كالقراءة والكتابة والمحادثة والحساب والاعمال اليدوية مع العمل على تنمية مواهبهم بحيث يصبحون فى حالة يقدرون معها قيمة الميـراث الثقافي الذي ورثته امريكا عن العالم المتمدن ، شاعرين بالمسؤوليات ، محترمين لكرامة الانسان اينما كان ، متمسكين بالاخلاق الفاضلة ، عاملين فى سبيل مصلحة الوطن العليا ؛ ويمكن ان يلخص الهدف الرئيســـي للتربية ، بالنسبة للامريكيين ، فى كلمة واحدة هي اعداد الطفل بحيث يستطيع فى جو مليء بالحرية والكرامة ، ان يعمل لنفسه كما يعمل لغيره .

وتلك هي صفات الرجل الكامل الذي قال فى حقه النبي صلى الله عليه وسلم : (لايكون المومن مومنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)

الخــلاصــة :

يستخلص من هذا العرض الطويل ان امكانياتنا فى المغرب كثيرة ومتنوعة ؛ وانه باستطاعتنا استثمـار خيرات بلادنا ان نحن صممنا العزم على الخروج مـن الطرق البالية التي الفناها ، وعرفنا كيف نستغـل التجارب التي سبقتنا اليها كثير من البلدان فى ميـدان الثقافة والاقتصاد .

ومن الواجب ان نلاحظ قبل كل شيء ان النظـام الاداري والتعليمي التي تسير عليه مؤسساتنا ومنظماتنا بكيفية عامة لا يتلاءم وحاجيتنا ، ولا يناسب وضعيتنا باعتبارنا امة فتية حديثة عهد بالاستقلال لا يـزال مستوى معيشة اهلها عموما دون المستوى الموجود بين الامم العصرية المتقدمة اقتصاديا . فواجب علينـا ان نشعر باديء ذي بدء ان نظام المركزية الذي ورثناه عن غيرنا فتمسكنا به مضر الى حد بعيد بمصالحنـا الادارية لما يتصف به هذا النظام من بطء فى الحركـة والانجاز ؛ ثم ما دمنا بصدد وضع تصميم ثقافي لخمس سنوات نرجو الله ان نتمكن بفضله من نفخ روح جديدة فى معاهدنا الثقافية على اختلافها نرى من الضروري المؤكد رسم خطة جديدة لطلبتنا وتوجيههم من الآن فصاعدا توجيها عمليا متصلا بالحياة لان المدرسة عندنا فى واد والحياة الاجتماعية المحيطة بها فى واد ؛ هذه هي الحقيقة التي يجب ان نفتح عليها اعيننا ؛ ولن نستطيع تلافي عواقب هذا الوضع القديم حتى نحمل الاكثرية من ابنائنا على توجيه انظارهم لتعلم الحرف والصناعات التي يتوقف عليها ازدهار الحياة الاقتصادية .

لكن ذلك لا يتيسر حتى نتعرف على حاجيــات المغرب من الوجهة الاقتصادية عموما والصناعية بصفة خاصة ؛ واذا كانت بلادنا غنية بمعادنها وموادها الاولية وهذا هو الواقع الملموس فلا بد من اعداد السواعـد والعقول اعدادا خاصا كي تعمل على استثمار هـذه الخيرات ؛ وواجب بالتالي ان نشرع من الآن فى تصنيع البلاد ، والتصنيع عملية تقتضي منا العدول عن تعليم نظري صرف والتفكير جديا فى اقامة تعليم مهني مكانه، يستعد الفتيان والفتيات بمقتضاه لمزاولة مختلف المهن والصنائع الرائجة التي تفتح امامهم طريق الحياة وتمهد لهم سبل النجاح .

هذا ويتعين علينا كذلك اذا كنا نرغب فعلا فى اعطاء ابنائنا تربية صالحة تتناسب وروح العصر ان نضع رهن اشارتهم الوسائل التي يحتاجونها فى ميدان التربيـة

والتعليم ، فنعدد المكتبات ونعد برامج للمعلميــــــن والمعلمات بحيث يصبحون قادرين بــــل ملزميــــن باستخدام الوسائل السمعية البصرية كالافلام الثابتة والمتحركة والآلات المسجلة وغيرها من وسائل الايضاح المستعملة في المدارس الراقية حتى يكـون تعليمنـا في مدارس المعلمين على الاقل تعليما نافعا مجديا وذلك في انتظار تعميم هذه الوسائل في سائر المعاهد الاخرى .

ولا يغيب عن الاذهان ان نظام الامتحانات كما نفهمه نظام عقيم يحتم علينا، بناء على التجارب التي اكتسبناها في هذا المضمار ، اعادة النظر فيه من الاساس ؛ اذ ليس من المعقول في شيء ان نضع الطفل تحت رحمة لجنة تمتحنه في يوم واحد لتحكم بسرعة على صلاحيته او عدم صلاحيته لمتابعة دراسته في مؤسسة أرقـى مـن التي كان منخرطا فيها .

نحن مقتنعون بانه ليس من الممكن ولا من المرغوب فيه ان تنقل الى بلادنا كل الانظمة المعمــــول بها في الولايات المتحدة او غيرها من البلدان التي بلغت رقما قياسيا في التطور الصناعي والتقني ولكننا نعتقد مع هذا انه في استطاعتنا استغلال الزمان المخصص للدراسة في بلادنا اكثر من ذي قبل ، وذلك بتسخير الاماكن التي تظل فارغة خلال الصيف كالجامعات والمعاهد الثانوية لتدريب صغار الموظفين والمعلمين كما نستطيــــع الاستفادة من الاوراش والمعامل والحقول الملحقــــة بالمدارس الفلاحية او المزارع الخصوصية ليستكمل بذلك صغار المحترفين تدريبهم على الاعمال الصناعية والفلاحية بكيفية منظمة حتى تزداد كمية الانتـاج في البلاد .

واذا اقتنعنا من جهة اخرى ان اعداد الصنــــاع والمحترفين والعمال الاختصاصيين لا يتوقف ، كمـــا يتوهم الكثيرون ، على ثقافة واسعة تتصل بكثير مـن المواد التي تدرس عادة في المدارس الثانوية وجب ان نفكر في احداث مدارس ثانوية متوسطة تقتصر برامجها على تقديم قليل من المعلومات للطلبة بينما يكون مـن الضروري ان تشتمل هذه المدارس المتوسطة على عدة اوراش ومعامل مجهزة تجهيزا عصريا يمكن الفتيان والفتيات من الاقبال على مختلف الحرف والمهن الرائجة في السوق الاقتصادية المغربية .

ويلاحظ في الاخير ان الخطة التي نسير عليها في تعليم اللغات الاجنبية عقيمة في المدارس الثانوية عندنا ، فالشبان يدرسون الانجليزية مثلا مدة ست سنوات ولا يستطيعون مع ذلك التحدث بها ؛ والغريب ان هؤلاء التلاميذ يحفظون الكثير من القواعد والمفردات الغريبة ويكتبون احيانا الصفحات الطوال عن مختلف المواضيع في اللغة الاجنبية التي درسوها ، ولكنهم لا يقبلون مع ذلك على استعمالها بكيفية عملية ؛ وما قيل في تعليم اللغات الاجنبية يقال عموما في تعليم الفيزيا والجغرافيا والحساب وغيرها بالنسبة للمدارس عموما وتعلـم الحرف والصنائع بالنسبة للمدارس المهنية خاصة؛ ذلك لان تعليمنا تعليم نظري او سطحي لا يحقق الاهداف البعيدة التي ترمي اليها تربية حقيقة عملية متصلـــة بالحقل والمعمل والورش ، ولا يستجيب لرغبات امة كامنة تعلم ان استقلالها السياسي متوقف الى حـــد بعيد على تطور حياتنا الاقتصادية تطورا يفتح امـــام الاغلبية الساحقة من السكان ابواب الربح والارتزاق .

المؤتمر الثقافي العربي الرابع

المنعقد بدمشق فيما بين 5 - 16 شتنبر 1959

بقلم : عبد الهادي التازي
رئيس الوفد المغربي للمؤتمر

ماهو المؤتمر الثقافي ؟

لقد كانت الجامعة العربية فكرت منذ ايامها الاولى ان تعنى بالمناحي الثقافية عنايتها بالجهات الاخرى ، ولما كانت فكرة الجامعة تتلخص في اعداد جيل عربي متفتح ، فقد وجه الاهتمام الى «المدرسة العربية» باعتبارها اللبنة الاولى في سبيل تحقيق هذه الفكرة ؛ وعلى هذا الاساس كان المؤتمر الثقافي الاول الذي انعقد بلبنان سنة 1947 والذى تناول مناهج القدر المشترك في مواد الدراسة القومية ... ثم كان المؤتمر الثاني في الاسكندرية سنة 1950 ، وقد عالج موضوعا مماثلا في التعليم كذلك ، وبعد هذا كان المؤتمر الثالث الذي انعقد ببغداد عام 1957 وكان يدور حول مادة الجغرافية والتاريخ في المدارس الثانوية .. وكان على المؤتمر ان ينعقد في المرة الرابعة بالاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة وذلك ليعالج موضوعا جديدا ولكنه كان اهم تلك المواضيع جميعا واعني بـه مادة التربية الوطنية في مختلف مراحل التعليم العام ...

نـواة البحث : لقد استكتبت الادارة الثقافية للجامعة العربية بعض كبار رجال التربية والتعليم من اجل اعداد بحوث في الموضوع ، وطلبت في الوقت ذاته الى الدول المشاركة ان تهيء تقارير ضافية عن المادة المذكورة في البلاد التي يعنيها الامر ، وان تشفع هذا التقرير بنماذج من الكتب التي ظهرت في هذا الباب ، وفعلا فقد استجاب كثير من الاساتذة والدكاترة لنداء الجامعة العربية وهيئت عشرة بحوث كانت من اجل ما كتب في الموضوع ، والى جانب هذا وصلت تقارير ثمانية كانت مادة يرجع اليها المتناقشون والمتدخلون . .

الدول المشاركة : ولقد كانت الوفود المشاركة تتألف من : وفد الامانة العامة لجامعة الدول العربية ـ الاردن ـ السودان ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ الجمهورية اللبنانية ـ المملكة الليبية ـ الحكومة الجزائرية ـ المملكة المغربية ـ قطر ـ وفد المكتب الدائم للوحدة الثقافية ـ وفد الجامعة الامريكية في بيروت ـ وفد نقابة المهن التعليمية للاقليم الجنوبي ـ وفد اليونيسكو . وقد اعتذرت بعض الدول العربية عن الحضور بينما اسهم في المؤتمر اعضاء مشتركون على حسابهم الخاص .

مساهمة الفتاة العربية : ومما هو جدير بالذكر ان المعلمة العربية اسهمت في هذا المؤتمر بنصيبها .. وهكذا نرى السيدة احسان فهمي من مصر ، والاستاذتين بلقيس عوض وفتحية الطرابلسي والاوانس رشيقة العمرى وادية صبان ورجاء شركس الخ كل هؤلاء كن يسهمن بالحديث والنقاش وفيهن من تتولى مهمة ادارة مدرسة المعلمات كما ان فيهن من اختصت بتدريس المواد الاجتماعية بمدارس البنات الثانوية ، وجلهن شاركن بصفة شخصية مما يكشف عن تفهم الفتاة العربية لمهمتها ، وشعورها بالعبء الملقى على كاهلها وكم كنا نتمنى ان لو اتاحت الاقدار للفتاة المغربية ان تفتح عيونها على هذه المجامع النقية الراقية . .

اللجان الاربعة : وكان برنامج المؤتمر يتلخص ـ بعد الجلسة التحضيرية التي تمت بين رؤساء الوفود ـ في ان يجتمع الاعضاء للتعارف وتسلم الشارات صباح يوم السبت خامس شتنبر ، ثم في سلام الرؤساء على بعض الجهات المختصة : وزير التربية والتعليم ، رئيس المجلس التنفيذي ، الرئيس شكري القوتلي . .

وفي السادسة من مساء اليوم المذكور كانت حفلة الافتتاح الرسمية في مدرج جامعة دمشق حضرها رئيس المجلس التنفيذي السيد نور الدين كحالة ، وقد قدم فيها عميد كلية الآداب الدكتور نور الدين حاطوم رئيس المؤتمر الدكتور امجد الطرابلسي وزير التربية والتعليم بالاقليم السوري ، ثم تكلم اثره رؤساء الوفود : وفد الامانة العامة للجامعة العربية ـ الاردن ـ السودان ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ لبنان ـ ليبيا ـ اليمن ـ المملكة المغربية ـ الجزائر ـ فلسطين ـ قطر ـ تكلموا في احاديث مختصرة معبرين عن آمالهم في نجاح المؤتمر ، وعن عواطف بلادهم نحو اخوانهم بني العروبة . . وبعد ان انتهت حفلة الافتتاح وانصرفت الهيئات الرسمية والمدعوون اجتمع الاعضاء لتكوين اللجان الاربعة :



احدى الجلسات العامة للمؤتمر في مدرج جامعة دمشق

1) لجنة اهداف تدريس التربية الوطنية (الرئيس الدكتور عادل العوا) وتبحث في الموضوعات الآتية : اهداف تدريس التربية الوطنية في مراحل التعليم العام ، التوجيه القومي العربي لمناهج التربية الوطنية ، التربية الوطنية بين القومية والعالمية وموقف الدول العربية من هذه القضية .

2) لجنة مناهج التربية الوطنية (الرئيس الاستاذ محمد مشبال) وتبحث في الموضوعات الآتية : مناهج التربية الوطنية ، أسسها ، تنظيمها مع التعرض لمناهج بعض الدول الاخرى غير العربية ، القدر المشترك في مادة التربية الوطنية بين جميع البلاد العربية في مراحل التعليم العام : القرارات السابقة بشأنه ، مفاهيمه ، موضوعاته ، اهدافه وكيفية تحقيقه .

3) لجنة طرق تدريس التربية الوطنية والوسائل التعليمية (الرئيس الاستاذ فايز الفول) وتبحث الموضوعات التالية : طرق تدريس التربية الوطنية : الطرق النظرية ، الطرق العملية ، طريقة دراسة البيئة ، ربط التربية الوطنية بغيرها من المواد، الوسائل التعليمية في التربية الوطنية ، الكتاب المدرسي في مادة التربية الوطنية .

4) لجنة مدرس التربية الوطنية (الرئيس الاستاذ كمال الحاك) وتبحث في الموضوع الآتي : مدرس التربية الوطنية ـ اعداده ـ تدريبه ـ مؤهلاته التعليمية والخلقية والقومية وقد توزع اعضاء الوفد المغربي على مختلف اللجان .

الجلسات العامة : وصباح يوم الاحد سادس شتنبر عقدت الجلسة العامة الاولى برئاسة الجمهورية العربية المتحدة (الاستاذ محمد سعيد العريان) وانصبت في هذا الاجتماع لعرض عن التقارير الثمانية المقدمة من لدن الدول العربية ، وقد كان تقرير المغرب في مقدمة التقارير التى اشيد بها .. كما عرض في هذا الجمع بحثان للدكتور ابي الفتوح رضوان ، عقبتهما مناقشات ممتعة ومجدية .. وبعد فترة استراحة عاد المجتمعون للجلسة العامة الثانية ، وقد ترأسها شرق الاردن (الاستاذ محمد نوري شفيق) وتعرض في هذه الجلسة لبحث الاستاذين محمد خيري حربي، ثم محمود الخفيف .. وغداة الاثنين كان الاجتماع العام الثالث وقد ترأسه لبنان (الدكتور نزار الزين) وقد القى فيه حديث للدكتور جميل صليبا ، وحديث للدكتور عبد اللطيف فؤاد ابراهيم ، وحديث للاستاذ عبد الحميد ياسين ورابع للدكتور عبد الحميد السيد .. وبعد فترة راحة عاد المؤتمرون للمدرج حيث عقدت الجلسة العامة الرابعة التى تراسها المغرب (عبد الهادي التازي) وقد القى فيها البحث التاسع وهو للدكتور محمد الهادي عفيفي ، كما اثير فيه الانتباه لبحث مماثل للدكتور نزار الزين ..

اعمال اللجان : وقد تفرغ الاعضاء بعد هذا الى العمل على ضوء البحوث والمداولات التى استغرقتها الجلسات العامة الاربعة .. وان زورة واحدة لاية قاعة من هذه القاعات التى ضمت هؤلاء الرجال كانت تدل في صدق على روح طيبة بناءة اشبع بها المؤتمرون الذين كانوا جميعا ـ في اغلب اللجان ـ ممن مارسوا مهنة التعليم سنين عديدة في مختلف المراحل ، وممن

يتوفرون على تجربة صحيحة ودائبة فى هذا المضمار . . لقد استمرت اعمال اللجان ـ فى اعداد التوصيات ـ مساء الاثنين ، وصباح يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس.

معرض الكتاب : ولا ننس ان نذكر ان «الشق الثاني» من نشاط المؤتمر كان يتمثل فى هذا المعرض الكتبى الذي نظمته الادارة الثقافية للجامعة العربية ؛ وهو يحتوي على سائر الكتب التي الفت فى مادة التربية الوطنية بمختلف البلاد العربية ، وكان يوجد بغرفة من غرف مكتبة الجامعة السورية . . . وهكذا كان فى الامكان ان تقف على نماذج من الكتب المؤلفة فى الموضوع هنا وهناك . وهكذا ايضا قدمنا كباكورة من الانتاج المغربي فى هذا الصدد كتبا فى التربية الوطنية للاساتذة محمد الكتاني وابراهيم حركات ويحيى المتقي . .

استقبالات ورحلات : ولقد اقامت خلال هذه الايام كل من وزارة التربية والتعليم ، ورئاسة المجلس التنفيذي والامانة العامة للجامعةالعربية مئادب فاخرة على شرف المؤتمرين كان يسودها الود والاخاء والحديث الصفي ، كما قام الاعضاء بزيارة المعرض السادس الدولي لمدينة دمشق حيث شاهدوا عرضا مسرحيا جميلا من «النادي الموسيقي للهواة» كما زاروا الجناح المغربي فى المعرض حيث قدم لهم الاستاذ قاسم بن حيون رئيس الجناح وثائق طريفة عن بلاد المغرب ، هذا الى الرحلة الهامة التى نظمتها لجنة الاستقبال لزيارة «الجبهة» حيث الحدود التي تفصل بين الاقليم العربي وبين الوطن السليب ، وحيث اقيمت ايضا مأدبة غذاء بدعوة من قيادة الجيش الاول . . ورحلة ثانية لمناطق الاصطياف فى دمر وبلودان والزبداني ونبع بردى . . ورحلة ثالثة كانت امتع الرحلات من دمشق الى حمص الى طفطوس ثم اللاذقية فمدينة حلب ثم معرة النعمان وحماة . . وقد كان اعضاء المؤتمر فى كل بلدة وعند كل مرحلة محل استقبالات حارة وندية كذلك . . .

الجلسة الختامية : وصباح الاربعاء سادس عشر شتنبر كان موعد الاجتماع العام لقراءة التوصيات بعد ان صدرت من لدن «لجنة الصياغة» طيلة اجتماعين متواليين . . كانت جلسة الاربعاء هذه بارزة لما اشتملت عليه من تدخلات ومناقشات ، ولقد كان رئيسها الاول هو الدكتور عبد العزيز القوصي الذى كان قد تماثل للشفاء بعد وعكة عاقته عن نشاطه كوكيل للمؤتمر . . . استمرت الجلسة من العاشرة صباحا الى مابعد الثانية ظهرا . . ادار جزءها الاول الاستاذ عبد القادر اوكير (السودان) بينما سير جزءها الثانى الاستاذ صالح ابو سدرة (ليبيا) ، وفي كل مرة كان يتقدم المقرر فى كل لجنة ليلقي التوصيات التي صدرت عن لجنته ، وهكذا استمع الناس الى سائر المقررين . . واستمعوا ايضا لاكثر من خمسين تدخلا واستفسارا واعتراضا الا ان روح البناء والانسجام التى كانت تعلو جو المناقشات كانت حقيقة مما يرفع شأن رجال التربية والتعليم بالبلاد العربية.



رئيس المؤتمر الدكتور امجد الطرابلسي وزير التربية والتعليم بالاقليم السوري يلقي كلمة الافتتاح

التوصيات : والحقيقة ان «نجاح المؤتمر» يتجلى أولا واخيرا فى هذه التوصيات الهامة والهامة جدا فهي اولا تعني بالهدف العام من التربية والتعليم . وثانيا بصفات المواطن العربي المستنير . . وثالثا بمجال التربية الوطنية ، ورابعا باهداف هذه التربية . . ثم خامسا بمنهج التربية الوطنية ، وسادسا بطرق تدريسها فى المدارس وتعني سابعا بمعلم التربية الوطنية : خصائصه ، ومؤهلاته ، واعداده وتدريبه . . وثامنا واخيرا تاتي التوصيات العامة التي تتوجه للادارة الثقافية مقترحة عليها بعض الوسائل التي تراها كفيلة لدعم الكيان العربي . . وكان فى آخر هذه التوصيات ان يكون موضوع المؤتمر الثقافي الخامس هو «الكتاب المدرسي» فى معاهد التعليم العربية

حفل الختام : وانفض الجمع العام على ان يعود المؤتمرون لحفل الاختتام الذي ابتدأ من السادسة عشية في مدرج جامعة دمشق .. لقد زينت القاعة برايات الدول العربية .. وانتصب الدكتور نور الدين حاطوم فقدم الدكتور ابا الفتوح رضوان الذى تلا عرضا عن اعمال المؤتمر .. ثم كلمة رئيس وفد الامانة العامة للجامعة العربية الاستاذ سعيد فهيم ، ثم الاردن ، السودان ، الجمهورية العربية المتحدة ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، اليمن ، الجزائر ، فلسطين ؛ وبعد ان القى الشاعر محمود الخفيف قصيدة من وحي دمشق تقدم الى المنصة رئيس المؤتمر الدكتور امجد الطرابلسي وزير التربية والتعليم .. هذا الى كلمة المكتب الدائم للوحدة العربية الثقافية .. كانت حفلة الختام اشادة بالنتائج التي وصل اليها المؤتمر .. ولقد وصفه الدكتور امجد بانه «مؤتمر ناجح» وانه خطوة مهمة في سبيل اعداد النشء العربي .. والحقيقة ان المؤتمر الثقافي هذا كان في كل خطوة من خطواته مظهرا من مظاهر يقظة الفكر العربي .. وكان بصدق خير معبر عن مدى الاهتمام الكبير الذى يتملك رجال التربية والتعليم من الذين يقدرون جدوى مادة التربية الوطنية بمدارسنا .. وفي كل المناقشات .. وفي كل التعقيبات وفي كل الاستدراكات كان المرء يلمس ان «الصالح العام» و «المصلحة الكبرى» هي التي تحدو بهؤلاء للعمل .. وحبذا لو تتاح الفرصة لمثل هذا المؤتمر ان ينعقد ببلاد المغرب فى هذا الوطن القوي بآمال ابنائه وتحفزهم وطموحهم ، هذا الوطن الذى يستمد قوته من شعوره بالفتوة وانه فى بداية طريق عليه حتما ان يجتازها ليلتحق بالركب ولكن فى خطوات مطمئنة ، وليصل الى الهدف المنشود ولكن عن اقتناع وايمان وحكمة ..

وبعد فلقد بقي علينا هنا ان ننوه اجل التنويه بضيافة الجمهورية العربية المتحدة ... وبالعناية الفائقة التي اغدقتها وزارة التربية والتعليم على المؤتمر ثم بهذا الكرم الكبير الذى وسع قلوب رجال جامعة دمشق الذين فتحوا مكاتبهم وبيوتهم للمؤتمر ، وان سر نجاح المؤتمر يرجع للمكتب الذى كان «الجهاز الدائم» للعمل بما فيه لجنة الاستقبال وقسم الصحافة والنشر الذى كان دوما على صلة تامة بالصحافة العربية والاذاعة يوفيها بنشاط المؤتمر وتنقلاته بدءا ونهاية .



الرباط ـــ

لعبت الجامعات العلميـة فى مختلف الاقطـار ـ وخاصة الجامعات الشهيرة ـ دورا هاما فى خدمة الثقافة القومية ، الى جانب خدمة الثقافة الانسانيـة والعلم والمدنية ، وذلك بما يـسرته من سبـل البحث والدرس والتنقيب ، وبما اتيح لها من اسباب ووسائل للاستنباط والابتكار فى نطاق واسع من الحرية وتقدير جهود الباحثين والعلماء .

ومن الجدير بالذكر ان الجامعات التي يقـترن اسمها دائما بالاجلال والاحترام قـد خدمت الثقافـة القومية للبلاد التي تقوم فيها خدمة كانت من اسباب ابراز شخصية هذه الاقطار من الوجهة الانسانيـة والمادية ، واعطائها مكانا ممتازا بين اقطار الارض .

ولا جدال فى ان رسالة الجامعة الاساسية هـي خدمة الثقافة القومية ، وبالتالـي الثقافة الانسانية ، لا مايفهمه البعض ان رسالة الجامعـة ومهمتهـا الجوهرية هي ايجاد الاطارات وتخريج الموظفين الذين تجمدهم مكاتب الوزارات والمصالح . فقـد يشغـل خريجو الجامعات ـ عن جدارة ـ المناصب الحكومية ويسدون فراغا فى هذا الباب ، ولكن الرسالة الحقيقية للجامعة ليست ـ بكل تأكيد ـ «انتاج» الموظفين ، بل ان مهمتها الاساسية هي خدمة الثقافـة ، وترقيـة المستوى الفكري والعلمي للامة ، واشاعة المعـارف فيهـا . ووسيلتهـا الـى ذلك ، الـدرس والتنقيب والبحث العلمي المنظم .

اسوق هذه المقدمة لاوضح بعض الاهداف التي ارى ان تخدمها جامعتنا الناشئة وان تسعـى الـى تحقيقها خدمة لثقافتنا القوميـة .

لقد نص المرسوم الملكي الذى صدر اخيرا على ان مهمة الجامعة تنحصر فى :

1 ـ تلقين التعليم العالي فى جميع انحـاء المملكة .

2 ـ القيام بالبحث العلمي فى جميع اشكاله .

وطبيعي ان البحث العلمـي يجب ان يرمي قبل كل شيء الى خدمة الثقافة المغربيـة ، وان يعنـى بالدراسات التي تمس هذه الثقافة من قريب او بعيد.

ان بين ايدينا عناصر ثقافة تنتظـر الاحيـاء والصقل والتشذيب والتجديد : هي ثقافتنا القومية ، وتراثنا الفكري ؛ وامامنا ايضا ثقافـة يجب ان نأخذ منها ونسـاهم فى دعمها وانمائها هي الثقافة العصرية : التراث الانساني المشترك . ومهمة الجامعة الاساسية هي خدمة هذه الثقافة وبعثها والعمل على تطهيرهـا من شوائب التعصب والركود ، وجعلها ثقافة حيـة نامية ، وعاملا فعـالا من عوامـل اسعاد مجتمعنـا وترقيتـه .

ان جغرافيـة بلادنـا لم تكتب بعـد ، وكذلك تاريخنا ، ولم توضع لهما الى الآن الحدود والمعالـم فالكتب التى بين ايدينا من جغرافية المغرب وتاريخه اما كتب اجنبية لايخلو معظمها مـن غـرض او تجـاه لايطابق حقيقتنا القومية وكياننا الانسـاني والتاريخي؛ او كتب وضعها مواطنون ، بعضهـا يتسم بالطابـع المدرسي المختصر الذى يهتم ببسـط معلومات تكـون فى متناول التلاميـذ الصغـار ، بحيث لايشفي غلـة الباحث او الراغب فى الاطلاع واستقصاء الحـوادث واستنباط الحقائق ؛ وبعضها اعتمد المصادر الاجنبية

من غير تمحيص ولا غربلة ، بينما اتسمت كتب اخرى فى الجغرافية والتاريخ بفقدان روح البحث الحديث ، والدراسة المنهجية المركزة ، وذلك اذا استثنينا بعض المؤلفات التي عني فيها اصحابها بفترات ومراحل من تاريخنا .

والخلاصة اننالانستطيع ان نتوفر على معلومات مفصلة ودقيقة عن جغرافية بلادنا وتاريخها . أن معلومات الطلبة والقراء على السواء ، مضطربة ومتباينة عن حدود المغرب الطبيعية والسياسية ، وعن عدد السكان ، واصلهم السلالي ، واختلاطهم وتفاعلهم مع الاجناس الاخرى ، وعن مدى مشاركة المغرب في الحضارة والثقافة البشريتين .

كذلك القول فى لغتنا القومية ، انها لاتزال في حاجة الى دراسة وعناية ، وتطوير وتبسيط حتى تصير ـ بالتعاون مع ما يبذله فى هذا السبيل علماء الاقطار العربية الشقيقة ـ لغة العلم والثقافة والادارة والمدنية كما كانت فى عصورها الذهبية الزاهرة .

كل هذا يتحتم ان يكون فى مقدمة ماتعنى به جامعتنا الى جانب توجيه الشباب ، توجيها علميا رشيدا يتجلى فى تنشيط البحوث ، واحداث المختبرات والمعامل ، وتبادل نتائج الابحاث العلمية مع الامم الاخرى .

لذلك يجب ان يوجه شبابنا الجامعى فى مجال البحث والدراسة لاحياء تراثنا الثقافى ، وايجاد ثقافة عصرية حية ، اساسها العلم ، وقوامها التجديد الدائم ، وهدفهابناء مجتمع متعلم نشيط ومنظم يعي تمام الوعي حقيقته القومية والانسانية .

المجتمع والأخلاق عند «برجسون»

للأستاذ :
محمد المصطفى المغنى
معهد الجمهورية العربية المتحدة - الرباط

هل يتطلب المجتمع اخلاقا مغلقة ؟

لابد لنا من نظرة طائرة تحيط بذلك الذي يوجه الفيلسوف اتجاها معينا . ثم يثبت لديه هذا الاتجاه فيصبغ به حياته وفلسفته ويلون باضوائه ما يراه من معالم الكون والناس والاشياء .

لا نقول ان ذلك الاتجاه ينبعث من شيء واحد او حدث واحد يجيء كالصاعقة فيندفع فى ارجاء النفس والعقل . لا ينى حتى ينتظمها جميعا فى وحدة واحدة هي وحدة الغناء بهذا الامر الصاعق — لا نقول هذا لاننا نؤمن بالطفرة او على الاقل لا نؤمن بها على انها طفرة بالمعنى الذي تتداوله بعض الافهام من انها شيء غير مسبوق وغير منطقي مع ظروف الزمان والمكان والامكان ومن ثم شيء يجيء على غير توقع ويؤدي ما ليس متوقعا فان الصاعقة نفسها امر له مقدماته وان كانت بطيئة وئيدة منثورة المعالم متباعدة الآثار ثم هي ايضا امر محدد معالم النتائج اذا انفسح للعقل من النطاق والادوات ما يتيح له ان يقف على محصلة المقدمات : قوة واتجاها وطبيعة وتفريعا . وليس من شان هذه المجالة ان تخرج عن موضوعها وتستهدف برجسون نفسه بالبحث والفحص والتعمق والعيش معه وفى باطنه وبين ملابسات حياته وشؤونه قبل ولادته فى لامارتين بباريس فى 18 اكتوبر عام 1859 الى ان عاجلته ذات الرئة فى 4 يناير عام 1941 . لكي نقف على نتف الاحداث والانفعالات والافكار التي كونت اتجاهات فيلسوفنا الراقد فى مقبرة جارش والذي انتظمت موجة حياته 41 عاما من القرن التاسع عشر و 41 عاما من القرن العشرين .

ويكفينا ان نزعم هنا ان العامل الاول والاكبر فى اتجاهات برجسون هو النفسية الانطوائية التي نلمسها فى مدارج حياته وفى اطواء كتاباته — تلك النفسية الانطوائية التي عكفته عن الاختلاط بزملائه فى قسم الفلسفة بمدرسة النورمال حتى قالوا عنه مازحين انه رجل بغير روح .

قل انها ترجع الى نشاته او الى علته او قل انها تصدر عن وراثته او عن ديانته او قل انها تتفرع عن نقص او عن امتياز — قل ماشئت وكيف شئت فانه على كل حال ولد هزيلا ومات عليلا . جاء زهيدا وذهب قعيدا وعاش مع نفسه اكثر مما عاش مع الناس واحس بخلجات باطنه اكثر مما استمتع بحركة الناس والاشياء .

وان نذكر النفسية الانطوائية فاننا نلمس شيئا آخر يتوافق معها بل يتلاصق . فالانطوائية تستتبع النرجسية وقد كان لابد لبرجسون ان يكون نرجسيا بظروف حياته كلها دون ان نحتاج الى النظر فيها قطعة قطعة وتفصيلا تفصيلا .

ومن خلال هذه النفس الانطوائية الفريدة استطاع برجسون ان يخرج كل هذه الكنوز التي اوجدت فتحا جديدا فى عالم الفكر ونشاطا موصولا فى دنيا الفلسفة .

نقرا فى اكثر من تعليق ان برجسون كان من فلاسفة الاثنينية ويستدلون على اثنينيته ببعض الشواهد من سياق حديثه وتفصيل كتاباته وبعض هذه الشواهد صحيح فى دلالته غير انها دلالة ثانوية . اما الشواهد الاخرى الجوهرية فانها لا تشير الى اثنينية فى واقع امرها وانما تشير الى شيء آخر يبعد عن الاثنينية بعدا قل او كثر .

بل ان شئت التعداد رايت الثلاثية واضحة عنده فى معنى من المعاني : الزمان والمكان والدهر الكيف والكم والديمومة ، التجربة والنظر والكشف .... فهو لا يهدم الاثنين الموجودين فى سوق الآراء ويسلم لها بمنطقة اختصاص ولكنها منطقة اختصاص لا تمتد الى المطلق وانما تقف عند حدود المنفعة والنشاط العملي والقشرة السطحية . اما اللباب والاعماق وما تحت السكون الظاهري من حركة لا تنى فلها شيء ثالث لمحه برجسون فى طيات نفسه وفكر فيه على مدى ما تصل اليه اماده وابرزه سبيلا الى المطلق وراى فيه الطريق الى تفسير مشكلات الحياة والكون والله .

فيلسوفنا اذن انما بحث عن الثالث المجهول واتى بالثالث المجهول ليصحح به الاوضاع وينظم به نطاق المطلق وقد استخرجه من باطن نفسه فبحث عن سر عبقريته وعن جوهر كيانه فنادى به هذا الى انه قد وهب شيطانا مريدا طويل الباع والذراع لا تقف دونه عقبة ولا تعتور طريقه اشواك . فهو يصل بهذا الشيطان الفريد الى الفهم مباشرة والى الوقوف وجها لوجه امام الحقيقة في عريها الجميل .

فالعلم محدود بادواته والعقل محصور في اعتباراته وكلاهما ينغمس في عوالم ميتة او شبه ميتة او على الاقل مقطعة الاوصال مفككة الروابط موقوفة عن الحركة وعن الصيرورة . فهي اذن ليست على نفس المعالم لانها تنظر في غير مدارها ومسارها وفي حالة اخرى هي حالة الوقوف والتقطيع والتجريد في كلمات تنتظم كل شيء ثم تنجلي عن لا شيء كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

فما هذا الذي يدرس الامور في حركتها وفي مدارها . وهو من ثم لابد ان يعيش معها وفيها انه ليس العلم وقد اخطأ ولا مناص من ان يخطيء . وليس العقل وقد ضل ولا مناص من ان يضل . وانما هو « الحدس » هو العيان المباشر . العيان الباطني الذي لا تحده ادوات الحس في قصورها وسكونها . ولا توقفه قواعد الاستدلال في تيهها وشطحاتها . انه الاشراق بالمعرفة . انه الكشف الصوفي . انه التغلغل في ذرات الاشياء والتجاوب معها . انه اتحاد بالطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة معا ان صحت استعارتنا لكلمتي سبينوزا . انه العلم الذي ما ان وقف عليه الحلاج حتى قال : انا الله .

كيف يتأتى هذا الحدس وما هي مقدماته والعوامل عليه ؟ هي المشكلة الثانية التي تممت منهج برجسون واعطته الصورة النهائية فبقيت معه حتى آخر حياته . ان برجسون نفسه يعترف بعجزه عن تعريف الحدس وتشبهه بشيطان سقراط . فهو شيء لا نخلقه ولا نوجده وانما هو يأتي فجأة ويحصل طفرة ويصل اليه الموهوبون . عن طريق هذا الحدس المتغلغل في صميم الاشياء . وصل برجسون الى « لازم » جديد هو اكتشافه الاكبر . وهو « الديمومة » التي هي تغير متصل وتجدد دائم . هي صيرورة مستمرة وحركة تنتظم الماضي والحاضر والمستقبل معا .

وانك لتسمع الى برجسون وهو يتحدث عن نشأة الحدس في بدايته عنده او عند الفيلسوف فكانك تقرأ سيرة الغزالي في منقذه . فالشيطان الذي يهمس عند برجسون بالنفي وبكلمة مستحيل هو نفس حالة الغزالي حين انهارت ثقته في العلم وفي الفكر وفي المنطق وكانت هذه هي الفاتحة الى اتجاهه لطريق الصوفية وقد كان لبرجسون من حياته وعزلته وانطوائه مما يجعله على صلة وثيقة بالحركة الهائلة التي تدور في باطن النفس الانسانية — حركة لا تقف ولا تنقطع . حركة ذات نزوات وبدوات يحسها من خلال نفسه فترة طويلة من الزمن ويقل الاحساس بها في غمار حركة العالم الخارجي التي تشغله عن رؤية الحركة الباطنة في كامل قوتها .

وليس لنا ان نعرض لكل ماتعرض له فغمره ولونه بالوان الحركة الدائبة والتطور المتداخل الذي يأتي دائما بجديد في وثبات حيوية مفاجئة . وانما الذي اردنا ان نمهد له بكل هذه التوطئة المجهدة فهو ان برجسون قد سار في كتاباته جميعا على هذا المنهج وتطبيقه واتى الاخلاق والدين بنفس المنهج فبحث عن الثالث المجهول حتى ابدعه وادخل في حسابه الحيوية الديناميكية بصورة او باخرى .

*

ولدنا وفينا عادة الشعور بضغط المجتمع او على الاقل تعتبر هذه العادة اقدم ما في ذاكرة البشرية وتبص على الفور ان هناك امرا ونهيا من جانب وطاعة وانصياعا من الجانب الآخر .

والمجتمع يتكون من تجمع ارادات فردية مثلما يتكون الكائن العضوي الطبيعي من تجمع خلايا . والارتباط والتماسك بين الارادات في الاول يعدل ما بين الخلايا في الثاني . اذ تلعب العادة نفس الدور الذي تلعبه الضرورة في الكائنات الطبيعة .

ولكن هل تمحي الارادة الفردية امام سلطان العادة وضغطها ؟ الواقع ان هناك صراعا مركوزا بين العادة والارادة . فكل من عادات الطاعة تحدث ضغطا على ارادتنا وتستطيع التملص من عادة ما غير اننا اذاك ننجذب اليها ونعود من جديد كما يعود البندول اذا ابعد عن الخط الراسي — ومن ثم نحس اننا مجبرون على الرضوخ للعادة . فاذا كان هذا هو شأن العادة فما هو شأن الضغط الاجتماعي والالزام الاجتماعي ؟ انه

شيء ضخم جدا فى سلطانه اذا قيس بسلطان العادة حتى ليعتبر سلطان العادة الى جانبه كما مهملا . ومع ذلك فان من بين العادات تكاملا يجعلها تندمج اندماجا تاما فى الالزام فى عمومه بحيث ان الكل يمنح لكل جزء سلطته الشاملة الكاملة ولا يمكن ان ينظر الى تلك العادات منفصلة على انها الزامات صغيرة تتضام تضاما اضافيا . والقوة التي يستمدها الالزام فى الجزئي من جميع الالزامات اقرب شبها بنشقه الحياة التي تنشقها كل من خلايا الجسم الواحد فهي تنشقها كاملة غير منقسمة من اعماق الكائن العضوي الذي هي عنصر من عناصره .

واذا كان من فعل هذا الاتحاد الاجتماعي ما نرى من اجماع الناس على امتداح بعض الافعال واستهجان البعض الآخر فمن فعله ايضا تلك المسحة التي يحافظ عليها الجميع والتي من شانها ان يبدو المجتمع فى صورة المتكامل المتبع فى قواعده حتى حين تكون تعاليمه الخلقية غير متبعة . فالشر يخفي نفسه والسر يحافظ عليه الجميع بحيث ان كل انسان يكون ضحية للاخرين . ومن ثم نعتقد فى قرارة نفوسنا ان الناس خير منا . وعلى هذا الوهم السعيد يرتكز جانب كبير من الحياة الاجتماعية .

من اين ياتي الالزام لاوامر المجتمع ؟ الواقع ان القوانين التي يصدرها المجتمع والتي تصون النظام الاجتماعي تشبه من بعض النواحي قوانين الطبيعة وتقول تشبيها لئلا يختلط الامر بين قانون وقانون . يقول الفلاسفة ان هناك قانونا يقرر وقانونا ينظم . وهما امران متغايران . الاخير يلزم ولا يتطلب ضرورة فهو يمكن تفاديه . اما الاول فلا محيص عنه تخضع له الوقائع والاستثناء منه لايمكن ان يكون قاعدة مثل القوانين الفيزيائية ومبادىء الميكانيكا . وهذه الحالة تخلع على مثل هذه القوانين الصفة الآمرة عندما تبلغ درجة معينة من التعميم وكذلك الصلة الآمرة التي توجه الى العالم كله تتمثل لدينا كقانون من قوانين الطبيعة . وحين تتقابل هاتان الفكرتان فى العقل يقوم بينهما تبادل . فالقانون الطبيعي ياخذ من الاوامر ما فيها من الزام والاوامر تستقي من القانون الطبيعي ما فيه من لا محيصية وبالتالي فان مخالفة النظام الاجتماعي تكتسي صفة مضادة للطبيعة وهي حينما يطول تكرارها فانها تتخذ طابع الاستثناء وهو للجمتمع بمثل المسخ فى الطبيعة .

وعلى كل حال فان كل شيء فى العالم يساهم فى جعل النظام صورة محاكية للنظام الذي تتبعه الاشياء فى الطبيعة وكل منا اذ يلتفت نحو نفسه يحس احساسا واضحا بانه قادر على اتباع ذوقه ورغبته او نزوته . وانه مستطيع عدم التفكير فى الآخرين من الناس ولكن ما ان تساوره هذه الرغبة حتى تنبعث قوة معارضة قوامها جميع القوى الاجتماعية مجتمعة . والاحساس بهذه الضرورة مصحوبا بالشعور بالقدرة على التملص منها هو نفسه ما نسميه الالزام . فهو بالنسبة للضرورة كالعادة بالنسبة للطبيعة .

ولكن ليس مؤدى هذا ان الزام الكلي قادم من الخارج ومفروض على الانسان بدون رضاه وان هذه الاجتماعية ليست كل ما فى الانسان فان له صلة بنفسه كما له صلة بالمجتمع . ومن ثم فان الفرد لا يضيع فى غمار تماسك المجتمع وتكامله وترابطه والزامه فالتماسك الاجتماعي لا يوجد الا بوجود « انا اجتماعي » مضافا الى الانا الفردي . وتنشئة هذا الانا الاجتماعي هو جوهر التزامنا نحو المجتمع . والمجتمع انما يسيطر علينا بايغاله فى باطننا فهو فينا حيثما نكون .

ولنحلل الآن احساس الندم فى نفس احد عتاة المجرمين . اننا فى باديء الامر قد نخلط بينه وبين الخوف من العقاب ويدفعنا الى هذا الخلط ما يجهد فيه الآثم من احتياطات دقيقة فى اخفاء جريمته وعدم كشف امره وما يقلقه من تصور ان تفصيلا من تفاصيل الاحتياط قد اهمل فتمسك العدالة بدليلها الكاشف . ولكن نظرة اخرى عميقة فاحصة تبدي لنا شيئا آخر مغايرا — ان الامر لدى الرجل ليس امرتجنب العقوبة بقدر ما هو محو للماضي وازالة لآثار الجريمة كما لو لم تكن قد ارتكبت . والجهل بالشيء يقرب من عدم وجوده فعلا . غير ان الآثم اذا كان قد نجح فى الغاء جريمته فى نظر الناس فان ضميره هو يظل عالما بالجريمة وياخذ فى ابعاده عن المجتمع الذي ود بمحو آثار الجريمة ان يرسخ قدمه فيه فما زال الناس يبدون احترامهم لشخصه كاته ولم يعده وبالتالي لم يعد المجتمع يخاطبه هو وانما يخاطب به شخصا آخر فكيف يعود الى اللحاق بالركب ؟ انما يعود حين يخاطبه المجتمع هو فيكون له كيانه من جديد . انه يقر من التجاهل لشخصه بان يعترف بجرمه وهو فى هذه الحالة سيعاقب وسينال ما يستحق ولكن المجتمع سيخاطبه هو اذ ذاك وبعد ذلك سيعود الى حظيرة المجتمع . وقد يحدث احيانا ان لايذهب الآثم الى هذا

الحد فيعترف لصديق او لاي انسان محترم ويكون بذلك قد عاد الى حظيرة واقعة عند بعض الناس ان لم يكن عند المجتمع كله وهو على كل حال لم يعد غريبا تائها عاطل الشخصية وعلى العموم فان المجتمع هو الذي يرسم للفرد برنامج حياته اليومية . فاذا ما واجه الفرد اختيار ما فى لحظة معينة فانه يختار بالطبع ما يطابق القاعدة المرعية دون وعي وبدون جهد ويسير فى الطريق الذي خططه المجتمع . ومن ثم تتم الواجبات آليا او بما يقرب من الآلية وطاعة الواجب هي فى اغلب الاحيان سير مع الطبيعة واستسلام .

الا ان الطاعة تبدو احيانا على العكس كانها حالة توتر ويبدو الواجب نفسه شيئا قاحلا جامدا جافا . ذلك لان طاعة الواجب فى بعض الحالات تتضمن مجاهدة للذات ولو انها حالات استثنائية . الا اننا نلاحظها بما يصحبها من شعور حاد ونظرا لتماسك التزاماتنا فيما بينها ومهما بدا طبيعيا ان يقوم الانسان بواجبه فانه يمكن ان يلقى فى ذاته بعض المقاومة . والتمرد الطبيعي لدى الطفل وضرورة التربية برهان قوي على هذا .

واننا لنرتكب خطأ سيكلوجيا كبيرا اذا قلنا ان طاعة الواجب هي قبل كل شيء مجاهدة للذات وحالة توتر وشد . فالالتزام ليس واقعة موحدة لا تضاهي بالاخريات . فكل عادة انما تتضمن فى الواقع اتحادا خاصا من العادات ولا تفهم من غير هذا الاتحاد ولا يشار اليها الا فى هذه الحالة الشاملة .

ومن هنا نشات المشكلة التي اضلت الفلاسفة اذ اعتقدوا ان الالزام ينحل الى عناصر معقولة فادخلوا العقل خصما ثالثا فى الدعوى وراوا ان المجاهدة التي تقوم فى وجه طاعة الواجب آتية من العقل الذي يبرر لنا العمل لكي نثبت على الطريق المستقيم عندما تثنينا عنه الرغبة او العاطفة او المصلحة وحتى اذا عارضنا الرغبة اللاشرعية برغبة اخرى . فان هذه الرغبة الاخيرة وقد استثارتها الارادة لم تصدر الا بناء على نداء فكرة .

غير ان الميل الطبيعي او المكتسب شيء وشيء آخر هو المنهج المعقول بالضرورة الذي يستخدمه كائن متعقل ليهب للميل قوته ولكي يكافح ما يعارضه . والواقع انه حيث يكون الواجب مرسوما كله فنحن نلقي عليه شيئا من الظلال عند ما نؤديه الا ان السير على الطرق كما رسمها المجتمع بدون عنت ولا مشقة هو اتجاه الاغلبية الساحقة للناس . والارجح انه عام فى المجتمعات المنحطة وهناك قوة تتوطد نسميها الالزام الكلي وهو مستخرج مركز عن آلاف العادات الخاصة التي تعودناها في طاعة الآلاف من متطلبات الحياة الاجتماعية . وهذه القوة انما هي شيء يسيطر بدون وعي « ينبغي لانه ينبغي » ولا يفعل العقل فيما يوجده من حجج ومسلمات ومبادىء الا انه يوجد انسجاما منطقيا اكبر فى سلوك هو خاضع للاحتياجات الاجتماعية التي لابد منها . والانسان فى ساعات الاغراء لا يمكن ان يضحي بصالحه وعاطفته وكبريائه لمجرد الحاجة الى الانسجام المنطقي . غير ان العقل انما يقيم عملية تنظيم لدى كائن معقول لتوطيد الانسجام بين قواعد او مسلمات الزامية ولذلك رات فيه الفلسفة مبدا الزام والاحرى ان نرى فيه العملية الموجهة التي تدير الجهاز ولا تسيره .

ان الالزام ليتخذ صورة الامر المطلق وان كان يتعسر علينا ان نجد امثلة لهذا الامر فى الحياة الجارية. فالامر العسكري الذي هو امر عسكري وبالتالي غير مسبب ولا يناقش – ينبغي لانه ينبغي لا يعتبر امرا مطلقا . فعبثا لا يعطي للجندي سبب من الاسباب . ومع ذلك فانه يتخيل سبب هذا الامر . اما صورة الامر المطلق حقا فاننا نتصورها فى حالة نحلة يختطها شعاع من التفكير فحكمت بانها على ضلال فى انها تعمل بلا انقطاع من اجل الآخرين . ان ما ينتابها اذ ذاك من الكسل لا يدوم الا لحظات هي التي يبرق فيها بارق العقل ثم يصبح للغريزة اليد العليا . وتعود النحلة الى عملها بجد ونشاط . وينظر ذلك العقل آسفا ويقول « ينبغي لانه ينبغي »

فالامر المطلق اذن ذو طبيعة غرزية والنشاط العاقل يتجه نحو تقليد الغريزة ونسميه العادة . واقوى العادات هي تلك التي تتفوق فى حسن تقليد الغريزة .

فالنموذج الطبيعي للجمتع هو النموذج الغرزي والصلة التي تربط نحلات الخلية فيما بينها كثيرة الشبه بالصلة التي تربط خلايا الكائن الحي بما هي متحدة ومتماسكة ومتساندة تخضع احداها للاخرى واذا اردنا تصور ان الطبيعة قد ارادت الحصول على مجتمع فيه فسحة للاختيار الفردي فانها اذ ذاك تجعل العقل يحصل على نتائج تضاهي فى انتظامها نتائج الغريزة فى حدتها وانتظامها وهذا هو ما سميناه الالزام الكلي .

فالعقل والفريزة كلاهما صورة للشعور وكان لابد ان يتداخلا في الحالة الاولى للخلية ثم ينفصلا فيما بعد على خطين رئيسيين — الخط الاول غريزة الحشرات والخط الثاني يقوم على طرفة العقل الانساني . المثل الاعلى لفعل الغريزة نراه في خلايا النحل ومساكن النحل اما فعل العقل فنجده خالصا في المجتمعات الانسانية . والفرد في الحالة الاولى ملتصق لوظيفته بحكم تكوينه نفسه وبحكم تنظيم ثابت نسبيا . بينما المدينة الانسانية ذات صورة متغيرة ومفتوحة لكل انواع التقدم . والالزام الكلي كان يمكن ان يكون من الغريزة لو ان المجتمعات الانسانية لم تكن في شكل ما مكللة بالتنوع وبالعقل والمجتمع الحديث ايضا انما هو مجتمع مغلق شانه شان مجتمع الحشرات والمجتمع الانساني البدائي . ولا عبرة بما تتطاير به الاقوال والفلسفات من حديث عن الانسانية جمعاء وعن واجبنا نحو الانسان بما هو انسان . فالواقع اننا حين نقول ان واجب احترام حياة وملكية الآخرين حاجة اساسية للحياة الاجتماعية لا نتكلم عن مجتمع يضم الانسانية كلها والا جابهنا ما يقع زمن الحرب من قتل وتدمير وغش وخداع وكذب واحتيال مما يصبح موضع المدح والتقدير . بل ان الحرب امر عادي طبيعي كالمرض تماما . وما الصحة الا جهد مستمر لتوقي المرض او ابعاده وكذلك السلام هو استعداد للهجوم والدفاع بل استعداد للحرب ومن ثم فان الغريزة الاجتماعية التي المعنا اليها في صميم الالزام الخلقي تهدف دائما الى مجتمع مغلق مهما كان متسعا ولا يمكن ان تستهدف الانسانية كلها لان بين الامة مهما كبرت وبين الانسانية مسافة كبيرة كالتي بين التناهي واللا متناهي وبين المغلق والمفتوح .

وواضح ان التماسك الاجتماعي راجع في جزئه الاكبر الى ما لدى المجتمع من ضرورة الدفاع عن نفسه ضد الآخرين . واننا في مبدأ الامر حين نحب الناس الذين نعيش معهم فانما يكون ذلك ضد كل الناس الآخرين وهذه هي الغريزة البدائية وهي ما زالت موجودة كامنة تحت ما جاءت به المدنية . واننا حتى اليوم نحب والدينا ومواطنينا بصفة طبيعية ومباشرة بينما حب الانسانية انما هو مكتسب وغير مباشر عن طريق الله وفي الله يحض الدين الانسان على حب الجنس البشري وعن طريق العقل وفي العقل الذي نشترك فيه جميعا يجعلنا الفلاسفة نتطلع الى الانسانية لترينا المكانة الكبرى للشخص الانساني هي حق الجميع في الاحترام ولسنا في هذه الحالة ولا تلك نصل الى الانسانية على درجات عن طريق الاسرة والامة .

يجب ان ننتقل بقفزة الى ابعد منها وتبلغ اليها دون ان نتخذها كغاية وذلك بتعديها . اما الاخلاق الكامنة او الاخلاقية التامة المطلقة فانها لا تتجسم الا في اناس استثنائيين انبعثوا على مدى الازمنة وعرفتهم الانسانية في حكماء اليونان وانبياء اسرائيل وارهاطات البوذية وقديسي المسيحية ومتصوفة الاسلام وغيرهم . ويجب ان تتجسد هذه الاخلاق في شخصية ممتازة تصبح مثلا يحتذى .

لماذا كان للقديسين مقلدون ومريدون ؟ ولماذا كان رجال الخير الكبار يجرون خلفهم الجماهير ؟ انهم لا يطلبون شيئا ومع ذلك يحصلون على كل شيء . ان وجودهم في ذاته دعوة بينما الالزام الطبيعي هو ضغط ودفع . ففي الاخلاق الكاملة توجد دعوة وطبيعة هذه الدعوة لم يعرفها في تمامها الا اولئك الذين وجدوا في حضرة شخصية خلقية عظيمة غير ان كلا منا مرت عليه لحظات ظهر له فيها ان مبادئه العادية في السلوك غير كافية فتساءل عما كان يتوقعه منه فلان او فلان في مثل تلك المناسبة . هذا الفلان قد يكون والدا او صديقا وقد يكون شخصا لم يسبق ان قابلناه وانما حكيت لنا قصة حياته وبالمخيلة سلمنا سلوكنا الى حكمه خاشين لومه فخورين بتاييده . بل قد يكون شخصية تولدت فينا منتزعة من صميم النفس على ضوء الضمير وهي شخصية نحس بها قادرة على ان تجتاحنا تماما فيما بعد ونريد ان نرتبط بها في الوقت واللحظة كما يرتبط المريد بالشيخ .

وقصارى القول انه يوجد نوع من الابداع الخلقي يبتدىء بين الوقت والوقت لدى بعض الوجدانات الاستثنائية الرقة واللطف والتضحية بل البطولة المصحوبة بحماس خارق وبافعال تحدد الخطوط الايجابية لما يسمى بالعدالة والخير في تاريخ معين وبلد معين بحيث تلمع في الافق لمعانا وهاجا وبحيث ان اولئك الذين يمارسونها يضربون بانفسهم امثلة تعتبر عدوى متنقلة .

عند ما يتخذ الخلق هذه الصورة فانه لا يكون موجها الى حماية مجموعة انسانية ضد مجموعات انسانية اخرى كما تفعل الاخلاق المغلقة : انه ينظم للانسانية كلها انواع الدفاع والحب . والبطولة لا يوعظ فيها بل هي تظهر فقط ومجرد ظهورها ووجودها يمكنه ان يحرك الآخرين لانها هي نفسها عود الى الحركة وهي تصدر عن انفعال — يعدي ككل انفعال — قريب من فعل

الخالق . والدين يعبر عن هذه الحقيقة بطريقته الخاصة عندما يقول اننا فى الله نحب الناس . وكبار المتصوفة يقررون انهم يحسون بتيار يذهب من روحهم الى الله ثم ينزل من الله الى الجنس البشرى واننا لنحس دائما اننا نستقي قوة حب الانسانية من الصلة بالبدا المولد للنوع الانساني .

والطبيعة بوضعها النوع البشري على مدار التطور ارادته اجتماعيا كما ارادت مجتمعات النمل والنحل .

ولكن طالما ان العقل موجود فقد كان لابد ان يوكل توطيد الحياة الاجتماعية الى ميكانيزم شبه عاقل فهو عاقل فى ان كل قطعة يمكن للعقل الانساني اعادة تشكيلها وهو غرزي مع ذلك فى ان الانسان لم يكن ليستطيع ـ دون أن يظل انسانا ـ أن يرفض مجموع الاجزاء وان لا يقبل ميكانيزما حافظا . وحفظ المجتمع هو الضرورة الوحيدة وهذه الضرورة تجلب الغريزة معها .

والانسان عندما خرج من الطبيعة كان كائنا عاقلا واجتماعيا واجتماعيته كانت مهيأة للتادي الى مجتمعات صغرى وعقله كان مقدورا لتحبيذ الحياة الفردية وحياة المجموع ولكن العقل فى تمدده بجهده الخاص قد اتخذ نورا غير منظور فحرر الناس من العبوديات التي متنهم بها تعقيدات طبيعتهم . فى هذه الحالة لم يكن مستحيلا لبعض الناس الموهوبين بصفة خاصة ان يعيدوا فتح ما كان مغلقا وان يفعلوا لانفسهم على الاقل ما يستحيل على الطبيعة ان تفعله للانسانية . والمثل الذي ضربوه قد انتهى الى جذب الآخرين ولو بالخيال على الاقل .

والارادة لها عبقريتها كالفكر وبواسطة هذه الارادات العبقرية فان نزوة الحياة اذ تتخلل المادة تحصل منها لمستقبل الجنس على وعود لم يكن لها محل عند ما كان الجنس آخذا فى التكون . وفى ذهابنا من التماسك الاجتماعي الى الاخوة الانسانية نقطع علاقتنا مع طبيعة معينة ولكن ليس مع كل طبيعة أي اننا ننفصل عن الطبيعة المطبوعة لكي نعود الى الطبيعة الطابعة .

فالفرق بين الاخلاق الاولى والثانية كالفرق بين السكون والحركة . الاولى ثابتة واذا تغيرت فسرعان ما تنسى انها تغيرت او لا تعترف بالتغير . والصورة التي تتبدى فيها فى اية لحظة تزعم انها الصورة النهائية اما الاخرى فهي دفعة واحتياج للحركة . انها حركة من حيث المبدأ .

هذا عرض موجز مستقى من كتابات برجسون نفسه عن المجتمع والاخلاق ومن ثم نرى فيه سكونا وثباتا وانغلاقا من جانب وحركة وانفتاحا وتمددا من جانب آخر . والجانبان مختلفان فى الطبيعة لا فى الدرجة فمن اين اتى هذا التوقيف ؟ لقد كان الاولى ببرجسون ان يلتزم النتائج التى اتى بها فى كتاب التطور الخالق حين قال انه لا يوجد اختلاف جوهري بين الانتقال من حالة الى حالة وبين البقاء فى نفس الحالة وكل ما هنالك اننا اذ نغمض العين عن التغيير الدائم لكل حالة سيكلوجية سرعان ماتفجؤنا ضخامة التغيير فى لحظة فنضطر الى القول بان حالة جديدة قد جاءت الى جانب الحالة السابقة . ثم ننظر الى الحالة الجديدة كما لو كانت تبقى ثابتة بدورها وهلم جرا . . . . وهو اذ يهاجم فى هذه النصوص وغيرها الانفصال بين الحالات . يفصل بين الاخلاق المفتوحة والاخلاق المغلقة هذا الفصل العنيف الذي يغلق الباب بينهما ويجعل كل واحدة منهما من طبيعة مغايرة ولا يسعنا الا ان نرى فى هذا اثرا للنرجسية ومن مؤداها ان العالم الذي انفتح لبرجسون فى باطنه وفى حدسه المباشر لا يمكن وربما لا يجب ان ينفتح لسائر الناس ولذلك فان الانسان قد خلق لمجتمع مغلق . اما المجتمع المفتوح فلا سبيل اليه الا للبطل . وكان الاجدر ان نرى فى الاجتماعية شبيها فى المادة فى انها حركة منقضة ومن ثم تكون الانسانية هي الفعل الذي يسير وهي الاصل حتى يتجمد فى انقلاب الحركة الى ما هو اجتماع مغلق .

ومما يزيد الامر خطورة ان برجسون قد اقام النسيج الاصلي للعالم على الكره والتربص والتناحر والحرب وجعل السلام العالمي امرا بعيد المنال وقال صراحة « ان المجتمع المفتوح بصفة دائمة والاخلاق المفتوحة باستمرار من ضروب المحال .

ولعل غرامه بمثال النمل والنحل واعتبار مجتمعاتها مجتمعات نموذجية هو الذى ادى به ان يتمنى ان يكون النوع البشري على غرار النمل والنحل . ثم يقرب المجتمع الحديث من البدائي وينظم الجميع فى غريزية مغلقة ويرى فى ثورة المستعمرات رغبة فى الانغلاق الطبيعي بلفظ الدخيل الفاتح كما يرى فى الحروب بين المجتمعات صورة طبيعية غرزية .

ان الاصل فى كل شيء هو التمدد ولا يحصل الانكماش الا عند الخطر او عند الشعور بالخطر . والمجتمع المغلق الذي تأمله برجسون ما هو الا انكماش

اقتضاه خطر ما وهو اما ان يغلو فى الانكماش فيموت او ينقرض واما ان يعود بالتدريج الى حالته الطبيعية وهي التمدد والتفتح . فلا تأخذ الانكماش حالة طبيعية ونسيجا اصليا للمجتمع . فما بدأ منكمشا ولا انتهى منكمشا .

ان فينا حنينا نحو حالة معينة. فهل هذا الحنين متجه الى تآخي الانسانية جمعاء ام يتجه الى ان يرى المجتمعات يحارب بعضها بعضا وتعيش على كسره وتربص ؟ فاذا كان الحنين متجها الى الناحية المفتوحة فهل هو حنين الى ما يخالف الطبيعة الانسانية ؟ .

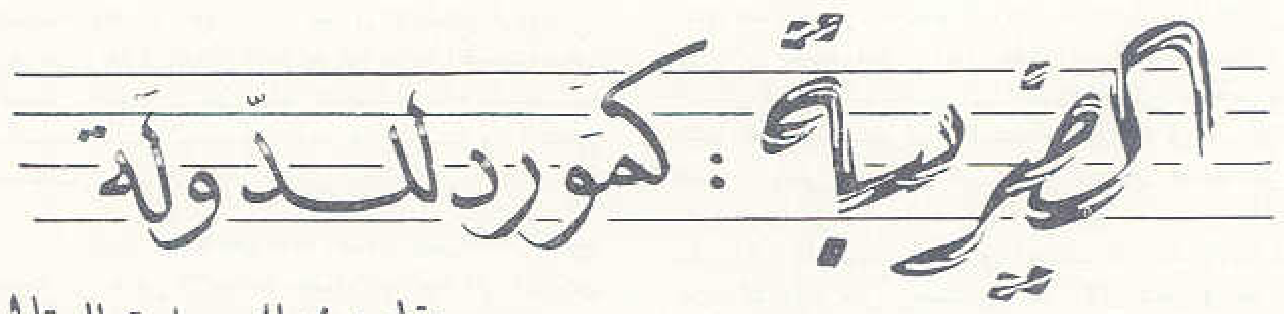
والبطل الذي انفرد به برجسون واقام عليه ذلك التطور الطافر الذي يأتي على غير توقع ويتجه الى غير ما يتكهن به احد انما هو وليد المجتمع والملابسات الاجتماعية . وهو لا يأتي فى غير اوانه وفى غير زمانه ولو اتى فى غير المكان والزمان لما انقاد اليه احد بل لحورب اشد المحاربة من الجميع انما هو بمثابة البلورة الاولى فى سائل مشبع فما ان تكون هذه البلورة حتى يتسارع السائل فى بلورات تنضم الى البلورة الاولى وتتجمع عليها بحكم التشبع اي الاستعداد الموجود فى السائل نفسه . وعلى ذلك فان كان معظم الابطال الانفعاليين كانوا قوم خير وانسانية ودعاة مجتمع مفتوح واخلاق مفتوحة ، وانبعثت دعوتهم فى مختلف الازمنة والامكنة فان ذلك دليلا على برجسون لا له . لان البطل فى هذه الحالة ان هو الا صورة صارخة لحنين المجتمعات جميعا الى الحالة المفتوحة وتوثبها الى الرجوع بالانسان الى انسانيته قبل ان تدهمه الاخطار والمخاوف بتلك الاجتماعية المغلقة .

محمد المغني

خريج قسم الفلسفة بجامعة الاسكندرية
ومدرس الفرنسية بمعهد الجمهورية العربية المتحدة

« ... لا عجب ان يعتبر علماء النفس والاجتماع فرض لغة اجنبية على شعب من الشعوب جريمة خلقية ؛ وتفسيخا لانسانية الانسان . ان الذي يتنازل عن لغته ، يتنازل عن جوهره وكماله . والتربية الصحيحة لا تتساهل مطلقا فى هذا المجال ، بل تسهر بحذر على ان تتبوأ اللغة الام مركزا يليق بها . هذا المركز اللائق هو الاول فى سلسلة المراكز ... »

من كتاب «فلسفيات» للدكتور كمال يوسف الحاج . ص 58



بقلم: محمد الصادق البقالي

ما من دولة الا وكانت الضريبة المورد الاهم لميزانيتها .. اذ بها يساهم الافراد لرفع اعباء الخدمات العامة، وفقا للاغراض التي تسعى الحكومة الى تحقيقها بسياستها المالية .

وهذه الضريبة نوعان :

1) مباشرة . 2) وغير مباشرة .

فالضريبة المباشرة تفرض على الشخص الممول نفسه او على دخله او راسماله .. ومنها : الضريبة على جميع فروع الدخل ، كضريبة المباني ، وكسب العمل ، والارباح التجارية والصناعية .

اما الضريبة غير المباشرة فهي تفرض على بعض العمليات التي يقوم بها الافراد : كعملية الاستيراد من الخارج ، او التصدير ، او انتاج السلع ، او نقل الاموال من يد الى اخرى .. ومن امثلة ذلك، الرسوم الجمركية، ورسوم الانتاج ، ورسم تسجيل العقارات، ورسم أيلولة الشركات ..

ونلاحظ ان هذا النوع الثاني من الضرائب لو فرض على كل السلع الشائعة الاستعمال والضرورية لدر ايرادا وفيرا على الدولة .. غير ان السياسة الحكيمة التي تراعي العدالة الاجتماعية ، توجب عدم اخضاع كثير من هذه السلع لمثل هذه الضرائب ، حتى تكون في متناول ذوي الدخل الصغير المحدود .

ولا يخفى علينا ان عبء الضريبة غير المباشرة يتحمله دائما المستهلك ، بينما التاجر لا يتاثر البتة بها . في حين نجد الضريبة المباشرة يتحمل عبئها الشخص الذي تفرض عليه .

من هذه النظرة الموجزة نستخلص ان الضريبة تقتطع جزءا من دخل الفرد ، سواء عند حصوله على دخله ، وفي هذه الحالة تكون الضريبة مباشرة ، او عند قيامه باتفاق هذا الدخل او عند التصرف في بعض ممتلكاته ، كما هو الحال في الضرائب غير المباشرة ؛ ومعنى هذا ان مقدرة الفرد على **الانفاق** او **الادخار** تنقص .

ويتأثر دخل المجتمع بدوره ، لان دخل المجتمع – كما نعرف – ما هو الا مجموع دخل الافراد .

فاذا فرضت الضريبة على اصحاب الدخل الصغير ، قلل ذلك من مقدرتهم على شراء حتى السلع الضرورية وحد من قوتهم الانتاجية ، مما يؤدي الى نقص في دخل المجتمع ؛ واذا ما حدث نقص في دخل المجتمع انخفض مستوى المعيشة في البلاد ، وضعفت مقدرة المجتمع على الانفاق .

وكذلك الحال فيما اذا فرضت ضرائب عالية على اصحاب الدخل المرتفع ، اذ لو غالت الحكومة في ذلك لحدت من مقدرة اصحابها على الادخار ، ولا يخفى ما للادخار من فائدة على تنمية الانتاج القومي .

لهذا عند فرض الضرائب تقف الحكومة الحازمة دائما عند هذين الامرين ، بحيث توجب اعفاء الحد الادنى للمعيشة عند فرض الضرائب المباشرة على الدخل ، كما توجب عدم فرض ضرائب غير مباشرة على السلع الضرورية : كالاغذية والملابس الشعبية ، اما بالنسبة لذوي الدخل العالي ، فهي تتوخى عدم المغالاة في فرض الضرائب وتضعها عند حد مناسب .

والملاحظ ان الضريبة على الدخل ، اي الضريبة المباشرة في البلدان المتاخرة لا تدر الا حصيلة ضئيلة . اذ معظم افرادها من ذوي الدخل الصغير الذي يجب اعفاؤه . كما انه نظرا لرغبة البلاد في النهوض باقتصادياتها ، فهي لا تفرض رسوما جمركية على الآلات والخامات المستوردة من الخارج ، وتبقى معظم ايرادات

الدولة من حصيلة الضريبة التي تفرض على الكماليات. وهذا يعني اطلاقا ان الدول المتخلفة ليس في مقدورها ان تعتمد على الضرائب فقط في مواجهة نفقاتها المتزايدة لضرورة قيام حكومة بالمشروعات الكفيلة برفع مستوى رفاهية الشعب وتنمية موارده . لذلك تعتمد على القروض بنوعيها الداخلية والخارجية .

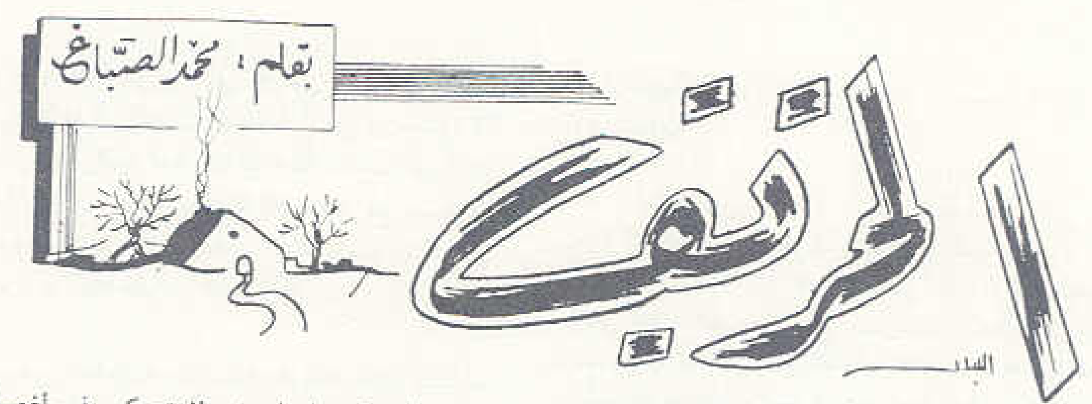
والقروض الداخلية محدودة بطبيعة حالها بسبب قلة المدخرات ، فلا تلجا اليها الحكومة الا للحصول على الموارد الطبيعية المتوافرة داخل الدولة .

ولما كانت هذه القروض غير كافية ، كان لزاما على الحكومة ان تلجا الى القروض الخارجية التي تمكن من شراء الآلات والمعدات اللازمة للتنمية ، من البلاد الاجنبية التي تنتجها .

وهذه القروض الخارجية ، من نوعين : يتسم الاول منها بصفته السياسية ، ويتسم الثاني بصفته الاقتصادية .

فالقروض الدولية السياسية : هي التي تمنحها دولة لدولة اخرى بغرض توسيع نفوذها ، او تعزيز التحالف بينها وبين الدولة المقترضة ، ومن المحتمل ان تؤدي هذه القروض الى منازعات وخلافات وقت السداد ؛ اما القروض الدولية الاقتصادية ، فتعقد بين منشئات خاصة قائمة في دول مختلفة ، ولا تشوبها اغراض سياسية ولا تسبب المشاكل التي يسببها النوع الاول .

ونحن اذا كنا نريد ان نتجنب ما تعود به القروض المشوبة بصفة سياسية من منازعات وخلافات ومساس بسيادة البلاد ، علينا ان لا نتسرع بالاندفاع نحو القروض الدولية المعروضة علينا دون ان نفرق بين النوعين ، حتى لا نقع في ورطة ربما كانت وبالا علينا وعلى سلامة مستقبلنا .



وشي وشي بالغمام ياريشة الفضاء سمائي ، وهبي يارياح وخاصري الاغصان والاعشاب وارقصي مع الاشجار ، وانسجي ياشمس على الحقول كفنها ، ودعي القمر يكتب على ضريحها :

«ماتت شهيدة الجمال وضحية الربيع
ومن يمت فداء للربيع ، يولد كل ربيع»

وانت يا أمطار قد طالت عطلتك في المصايف ، على الشواطيء وفي قمم الجبال . فهلا عدت الى غدرانك وانهارك وسواقيك تحمل لها اوتارها ، ونضارة سحرها ؟ وهلا خلعت عن نفسك حلة السراب التي كنت تكتسين بها في هجير الصيف وقيظه ، ورجعت الى بذورك وجذورك واعشاش ترابك ؟

اتيت وقد كان رشاشك على موعد مع سقوط الاوراق ؟

ها هي الاشجار تذهب الحقول ، وتوشي شاسعات الربى والمزارع بمناديل اوراقها .

اوراق ، واوراق ، واكداس اوراق ، ولا ارى الا الاوراق منتثرة مبعثرة على بساط الارض ، ولا اسمع كذلك الا خشخشة الاوراق . وكان الوجود ، وكل مايتوفر عليه الوجود شجرة تهزها عاتية الرياح فتسقط اوراقها على الارض هامدة ، ثم تحملها الى قبرها المولول .

هبي هبي يارياح ، وثوري وولولي ، واعصفي في لحمي ، ودمي ، وعروقي ، وافكاري ، وخيالي . فانا كذلك شجرة من اشجار الخريف نابتة في ملاعبك ومفانيك اليائجة .

هزي بانامك الثائرة جذعي واغصاني ، تساقط على الارض اوراقي التي افسدتها الانانية الجامحة ، والنيات الفاسدة ، والافكار والمطامع الجشعة ، واذبلها الغرور ، والعدو وراء الشهرة والمال وحب الظهور .

اعصفي يارياح ، ولا تتركي في اغصاني ورقة واحدة من اوراقي التي اذبلتها الشهوات والنزعات السود .

تناثري تناثري عني يااوراق الحقد ، والبغض والكراهية ، والخطايا والبلايا والآثام ، وعريني كذلك من اوراق النفاق ، والبهتان ، والذل والخضوع ، والمين ، والعبودية ، والخوف ، ودعيني هكذا :

جذورا ثابتة صامدة في جوف الارض غير سقيمة ، ولا هزيلة ، ولا متعفنة ، وجذعا قويما ، مستقيما ، صحيحا ، واغصانا ندية مثمرة ناضجة ، تطعم وتروي طيور الجبال والاعالي والنجوم بحاتمية وسخاء ، وتوزع النسائم المطيبة في الاصباح والامساء على ساكني السهول والاوداء ومجنحاتها .

هذا هو فصل الخريف ، فصل الرياح المطهرة ، ورذاذ الإمطار المحيية ، والنسمات الرقيقات اللطيفات الظريفات .

اخرجوا من مساكنكم ايها الناس ، وافتحوا ابوابها ، ونوافذها وشبابيكها لهوج الرياح لتعصف باوراق نقوشها وزخرفتها الكاذبة ، ومراياها الخداعة المنافقة ، واسرتها ومخداتها ذات النوايا المبيتة ، والشهوات الزائفة ، وموائدها المرتفعة بالجشع والنهم .

افتحوها على مصراعيها للرياح لتصوح باوراقها الزائفة ، وتجنح بها مع اوراق هذا الخريف الى دون رجعة . اخرجوا وسارعوا الى مطهر الرياح ، وافتحوا لها صدوركم ، واعرضوا عليها اجسامكم كيما تسقط اوراقكم الذابلة .

اخرجوا ولا تتأخروا ليلا يدخل عليكم فصل الشتاء ، واجسامكم مازالت تحمل اوراقها المريضة الصفراء .




القضية الجزائرية في شهر

بقلم المهدي البرجالي

الوضع السياسي :

هل هناك بالفعل اتجاهات عملية وحاسمة لتصفية المعضلة الجزائرية ؟

لقد انقضت الآن ستة اسابيع متكاملة منذ ان تم الاعلان الرسمي فى 16 شتنبر الماضي عن تصريح الجنرال دوكول ، وانصرمت بعد ذلك بضعة اسابيع اخرى حينما اذاعت الحكومة الموقتة الجزائرية جوابها العلني ، المحدد لموقفها من هذا التصريح (28 شتنبر)، لقد تم كل ذلك بالفعل ولكنه ــ مع ذلك ــ لم يخلف ــ باعتبار الواقع السياسي ــ الا اصداء موصولة لاتزال بقاياها تتلاحق فى اذهان المراقبين الدوليين ، لقد اعلنت الجمهورية الخامسة ــ علنا ــ عن تقديرها لمبدا تقرير المصير كمبدا اساسي لحل المشكل القائم ، ويعني هذا الاعتراف لا «بالشخصية الجزائرية» فحسب بل بوجود شعب ذي كيان وسيادة وامة ذات اهلية تامة لممارسة حقها فى تحديد المصير الذي يتسجم مع ارادتها الحرة المطلقة ، وهذا يعني ايضا انهسيكون على فرنسا «ان تبادر الى مغادرة البلاد فورا ــ فى حالة ما اذا وقع الاختيار على الانفصال ــ حيث يمكن للجزائريين حينئذ ان يتولوا تنظيم القطاع الترابي الذي يعيشون فيه ، والموارد التي يتوفرون عليها والحكومة التي يرغبون فيها ...» (1)

ولم تلبث الحكومة الجزائرية بعد ذلك ان اعربت عن الاستعداد للعمل على تصفية المعضلة طبقا لروح هذا المبدا المقبول ، وذلك على اساس الدخول مع الحكومة الفرنسية فى محادثات ، تستهدف مناقشة «.. المقتضيات السياسية والعسكرية التييتم بموجبها توقيف اطلاق النار وتحديد الشروط والضمانات التي يطبق على اساسها مبدا تقرير المصير» (2)

ولكن اتخاذ المواقف هذه لم يساهم ــ بالرغم من ذلك فى تعديل ملامح الوضع المتأزم الذي لايزال يجثم على العلاقات الفرنسية الجزائرية بصورة خاصة وعلى الاتصالات الفرنسية الافريقية بوجه عام ، فالموقف العسكرى الجزائرى مافتىء ــ بعد اخفاق حملة «جيميل» تزداد تعقدا واشتباكا ، اما في باريس ومجموع القطر الجزائري فالجو السياسي لايزال مشحونا بأعنف الامكانيات الانفجارية كما ان دوائر الامم المتحدة ماانفكت توالي مزيد الاهتمام بهذا المشكل المزمن ، بعد ان الف المندوبون مايثيره من مشاهد التوتر بين الوفد الفرنسي والوفود الدولية الاخرى . والذي يبدو عند استقراء الظواهرالسياسية القائمة ان نظرة الجنرال دوكول الى وضعية الحكومة الجزائرية قد تكون العامل الرئيسي فى نشوء هذه الحالة السلبية التي اعقبت الاعلان عن تصريح 16

---

1) من تصريح 16 شتنبر

2) من بيان الحكومة الجزائرية .

شتنبر ، فلا يزال الرئيس الفرنسي مصرا ـ كالعهد به سابقا ـ على اغفال القيمة التمثيلية التي تنعم بها حكومة الرئيس عباس وتجاهل الوضع الطبيعي الذي يخولها ـ بحق ـ صلاحية الدفاع عن المصالح الوطنية للشعب الجزائري .

ان النهج الدوكولي لايقصي ـ حسب مفهومه ـ امكانية الالتقاء «الحر» مع الممثلين الرسميين للثورة الجزائرية بل ان الاتجاهات الاخيرة التي تعكس موقف الحكومة الفرنسية الرسمي ـ كما عبر عنه مندوبها في الامم المتحدة ـ قد اخذت تشتط كثيرا في الالحاح على ضرورة التعجيل باعداد هذا الالتقاء ، وذلك «... لمناقشة الكف عن اطلاق النار مع جميع المحاربين بما فيهم طبعا عناصر جبهة التحرير...»(3) الا ان كل ذلك لا يجب ـ كما يعكسه هذا التصريح ـ ان يجاوز حدود «المباحثات» العسكرية ذات الصبغة الفنية البحتة ، على اساس التسليم ـ من جانب آخر ـ بارجاء البث في المشكل السياسي الى مابعد اجراء الانتخابات ، والواقع ان هذه النقطة بالذات هي من اهم النقط التي مافتئت تثير اشد المصاعب في طريق اعداد الحوار الفرنسي الجزائري .

والامر في هذا المجال لاينحصر في حدود الاعتبارات النفسانية وما في نوعها ، اذ انه يتصل بالقاعدة الاساسية التي ينهض عليها مبدأ الحق الطبيعي في تقرير المصير ، والا فكيف يجوز التوفيق بين الامكانيات التحررية التي يخولها هذا الحق وبين الرغبة الفرنسية التي تقتضي وضعه في اطار من القيود والتحديدات .

لقد كان من الممكن ـ مبدئيا ـ اجتناب اللجوء الى مثل هذه الطريقة ـ طريقة الاستفتاء ـ في حل المشكل القائم اذ انها ـ في واقع الامر ـ تبدو غير ذات موضوع ، والا فهل لايزال من الضروري ـ في عهد التحرر العالمي الاكبر ـ اقامة الخيار بين التبعية والاستقلال ؟ وكيف جازت اذن تصفية العديد من المشاكل التوسعية المعقدة دون لجوء الى مثل هذا النهج الملتوي ؟ واذا ما افترضنا ـ جدليا ـ امكانية الاعتماد على اسلوب من هذا الصنف فهل يتعين بالضرورة ايثار الطريقة التي يحددها المشروع الفرنسي تلك الطريقة التي تستوجب اقصاء القيادة السياسية للشعب كشرط اساسي لتخويله حق التمتع بتقرير المصير .

ان تاثير «الجو» السياسي والاداري في بلد ما له اعمق الاثر على توجيه الاستشارات الشعبية في ذلك البلد ، ولهذا فقد كان من ابسط المواضعات القانونية الاولية استقصاء طبيعة الاوضاع التي تسود العمليات الانتخابية ذات المدلول الواسع ، حتى يكون من الجائز تقبل النتائج التيتسفر عنها تلك الانتخابات، والانظمة التي تقرها ، وهذا ما استباح الجنرال دوكول لنفسه حق الاغضاء عنه بشكل يدعو الى الاستغراب . وعلى اساس هذا الاعتبار فانه يبدو مؤكدا ان التجربة الفرنسية الجديدة ستبقى قاصرة عن اصابة مكامن المشكل مادام ان التجارب المماثلة التي سبقتها لم تفض الا الى نتائج سلبية وعديمة ، ومثال استفتاء 1958 هو من بين الشواهد على ذلك .

لقد كان تصريح 16 شتنبر الماضي اقبارا للمدلول الذي كان يفترض لذلك الاستفتاء ، وهذا يعني ان الاوضاع التي كانت قد نشأت عنه لم تعد ـ واقعيا ـ ذات اساس مشروع ، الامر الذي يمكن من التاكيد بان الوضع فيالجزائر ـ كما تراه السلطات الفرنسية ـ لم يبق له اي رداء قانوني ، وهذه احدى النتائج التي كان من شأنها ان تنشأ عن مقاطعة الحكومة الجزائرية لذلك الاستفتاء الموؤود . فكيف يغدو من الجائز اذن اجراء عمليات استشارية اخرى داخل نفس النظام السياسي الذي كان يحوط الاستشارة السالفة ؟ ام ان ذلك سيتم مرة اخرى تحت تاثير الواقع التوسعي الذي قد يمارس صلاحيات مطلقة فيالاعداد والتوجيه؟ وحينئذ لايكون هناك اي مسوغ لتجربة من هذا النوع مادام انها قد تغدو تكرارا نمطيا لتجارب 1947 و 1958 وقد اكدت هذه الحقيقة الصحيفة البريطانية المستقلة (الايكونومست) وذلك حينما اشارت الى «انه في حالة ما اذا استمر الجنرال دوكول في الاغضاء عن الحكومة الجزائرية فان برنامجه سوف يبقى قاصرا عن حل العقد العسيرة التي تاخذ بتلابيب فرنسا في الجزائر منذ خمس سنوات...»

كما ابان عن نفس الراي السيد كاستون ديفير العضو في مجلس الشيوخ الفرنسي حيث اكد «ان رفض التباحث مع الوطنيين الجزائريين يعني ايصاد

---

3) من حديث ادلى به السيد كوف دوميرفيل وزيرالخارجية الفرنسية الى احدى الشركات الاذاعية في الولايات المتحدة .

الباب نهائيا امام كل امكانيـة للسلم قبـل سنـوات عـديـدة ...»

ان القاعدة الجدية لتطبيق مبدا تقرير المصير يجب ان تستوعب جميع مفاهيم هذا الحق بما يكفله ذلك من وجوب التحرر من الخوف وما فى نوعه ، وهذا هو الاساس الذي كانت ترتكز عليه استشارات مماثلة كتلك التي جرت فى السودان العربي وغيره من الاقطار، وعلى هذا فما هو السبيل الذي سيتم سلوكه عند تطبيق مبدا تقرير المصير بالنسبة للجزائر ؟ هل سيتم اللجوء الى مبدا الاشراف الدولـي ؟ واذا كـان ذلك ضروريا فهل من الواجب ان يتم عن طريق الوساطـة الافريقية (المغرب وتونس مثلا) او عن طريق الامـم المتحدة ؟ والى اي مدى سيذهب هذا الاشراف ؟ وما دور السلطات الوطنية الجزائرية بالنسبة الى ذلك ؟.

ان نقطة الضعف الاساسيـة فى تصريـح 16 شتنبر هو انه لم يكن ينطوي على مايمكن ان يحـدد موقف باريس من هذه المواضيع الهامة ، واذا جاز ذلك بالنسبة للنص الاصلـي فكيف نعلـل تمسك باريس برفض كل بادرة تفاوضية تستهـدف بحث الجانب السياسي لمجموع القضية الجزائرية ؟

ان هناك حقيقة بارزة وهي ان احتمـال اخفاق المشروع نهائيا سوف لايكون عاملا على امتداد مظاهر الازمة الحالية فحسب ، بل انه سيعين على مضاعفة تعقد الوضع الحالي ، وتوسيع نطاق النتائج التي قد يتمخض عنها ذلك . وليس هذا من قبيل الافتـراض الاعتباطي ، انه يشكل حقيقة اساسية يؤكدها الكثيـر من المراقبين الدوليين ، بل ان هناك من المراقبين من يذهب فى الاستنتاج الى حد بعيد وخاصة فيما يتصل بالوضع العسكري حيث يزداد الاعتقاد بان نطاقـه سيزداد اتساعا وامتدادا . ان التفكيـر فى هـذه الاحتمالات لم يعد قاصرا على الاوسـاط الصحفيـة ـ الاخبارية ، لقد غدا يملأ اذهان كثير من العناصـر البرلمانية والحزبية بما فيها تلك التـي لاتنتمي الـى تكتلات اليسار المعتدل او المتطرف ومن الامثلة علـى ذلك ما اعرب عنه السيد «برنار لامبير» نائب الحركة الجمهورية الشعبية ـ فى المجلس الوطنى الفرنسـي ـ وذلك حينما نص على انه اذا وقع رفض التباحث مع الحكومة الجزائرية «فان ذلك سيهيب بهؤلاء الذين يحاربون الى التماس النجدة من الصين التي تترقب كل فرصة لاستغلالها فى هذا الصدد ، اذ ان هنـاك ثلاث طائرات صينية توجد بالفعل فى السماء الافريقية، وهكذا سيفضي الامر فى الاخير الى تدويل قضيـة الجزائر ، بكل ما ينطوي عليه هذا التدويـل مـن نتـائـج ...»

فالموقف الناشيء عن تصريح 16 شتنبـر ليس اذن من البساطة بدرجة كبيرة انه قـد يصبح عامـلا هاما له تاثيره على سير مجموع القضية نحو التعقيد او الحل ولكنه ـ مع ذلك ـ سيبقى اساسا لحل ممكن شريطة ان يتم التوصل على اساسه الى صيغة معقولة تحدد الراي المشترك للجانبيـن المعنييـن ، ولكـي تستوعب هذه الصيغة مقتضيات الحالة القائمة فـي الجزائر فانه سيكون من المعقول مراعاة كثير مـن النقط فى الموضوع ، ومن بينها :

الفترة الانتقالية : تحديد امدها وشروطها ـ تعيين الوضع الادارى الذى سيسودها ـ البت فى مصير الجهاز القائم .

تطبيق مبدأ تقرير المصير : تحديد وسائـل التطبيـق واساليبه .

الجهاز التنظيمي : تركيبه واختصاصاته ووضعيته

انـه ليس من الضروري انتهاج خطة معينة فى التباحث ، الا ان الذي يعنى فى الاساس هو اجتنـاب تجزئة المشكلة الى جانب سياسي وجـانب عسكـري واعتبارها ككل تترابط عناصـره واجـزاؤه بعضهـا ببعض ، ان المظهر العسكري للمشكلة ليس فى الواقـع الا مظهرا ثانويا ، لانه لايقوم بذاته كمعضل مستقـل، بل يتفرع فقط عن وجود الازمة الكبرى التي كـانت ولا تزال متمثلة فى الصراع بين الادماج والاستقـلال فى الجزائر . وهذا هو الاساس الذى يجب ان ينطلق منه عند التفاوض .

ولكن هل يجوز ان يكون الوضع السياسـي فـي فرنسـا ملائما لاجراء مباحثات من هذا النوع ؟ انه من البديهى ان النظام الحالي فى فرنسـا لم يقم الا علـى اساس العمل الانقلابي الذي تم تحقيقه للغلاة فى 13 مايو 1958 ، ولهذا فقد كانت الرابطة التي تصل بين الغلاة وبين النظام الفرنسي الراهن رابطـة اكيـدة ومتينة ، فقد هيمنوا بالفعل على مقاليـد الحيـاة السياسية فى فرنسـا عن طريق السيطرة على الحكومة والبرلمان ، وتم لهم بذلك اكتمال الاستيلاء على الجهاز التنفيذي والتشريعي ، هذا بالاضافة الى ماكـان يتوافر لهم من امكانيات العمل فى كل من الجزائـر وفـرنسـا .

على ان هذه الاوضاع قد بدات تتطور ـ فـي الاسابيع الاخيرة ـ تطورا بطيئا وموصولا ، فقد اخذ رئيس الدولـة الفرنسي يتظاهر بالاستقلال النسبـي

عن مجرى التيار السياسي الذى يصب فيه الغلاة ، وقد كان من ابرز مظاهر هذا الاتجاه التصريح الذي تم اعلانه فى 16 شتنبر الماضي .

انه ليس من الحكمة تلفف هذه الظاهرة الجزئية واعتبارها اساسا لوجود قطيعة جوهرية بين الجمهورية الخامسة وبين غلاة الجزائر ، فلا يزال النظام الفرنسي بالفعل يعرب عن مظاهر التودد الى هؤلاء المتطرفين وينسجم احيانا مع الخط السياسي الذى يسلكونه ، ومن آيات ذلك الخطاب الذى القاه رئيس الوزارة الفرنسي فى 15 اكتوبر الماضي والذى اكد فيه للبرلمان الفرنسي ان الجزائر لايجوز مطلقا ان تنفصل عن فرنسا .

الا انه بالرغم من ذلك فهناك مايبيح الاعتقاد بوجود بعض بوادر الانفصام بين المسؤولين الفرنسيين وبين المنظمات المتطرفة فى الجزائر .

ان الجانب الاساسي فى الامر هو ما امكن ملاحظته من ضعف التماسك الذى كان يوجد بين مختلف التيارات اليمينية فى فرنسا والجزائر ، فقد بدات العزلة السياسية تحيط بكثير من زعماء لجان الانقاذ العمومي وعناصر 13 مايو (4) وقدماء المحاربين، كما ان الانسجام الذى كان يصل بين هذه المنظمات وبين حزب اتحاد الجمهورية الحاكم قد اخذ يفقد فعاليته .

فهل يعنى كل هذا ان تيارا من التفهم الواعي لحقائق المشكلة الجزائرية قد اخذ يجتاح فعلا الاوساط المسؤولة فى باريس ويجعلها اكثر تبصرا ورشادا ؟ .

ليس هناك فى الواقع ما يجيز الرد على هذا السؤال بالايجاب ، فالاتجاه الفرنسي الجديد ليس – بحق – وليد وعي قانوني او انساني للمشكلة الجزائرية وانما هو نتيجة الضغط الذى توجهه الظروف المحلية والدولية وتؤثر به على المسؤولين الفرنسيين ، فقد اخذ يتاكد اكثر من اي وقت مضى ان استمرار الحرب فى الجزائر بدا يصيب مكامن الطاقة الاقتصادية الفرنسية فى الصميم ، وقد تضاعفت مظاهر التوتر النفساني الذى تخلقه حرب الجزائر فى مختلف الكتل الشعبية الفرنسية ، وتتركز صور التوتر هذه بقدر ما يزداد تاثير النظام الجبائي الحالي – الذى تفرضه النفقات فى الجزائر – على مستوى الحياة عند جماهير الكادحين ، هذا بالاضافة الى ماتحدثه حالة المجندين الشبان فى الجزائر من انعكاسات سيئة على مستوى الاستقرار الاجتماعي فى فرنسا .

وقد غدا فى امكان المراقبين الفرنسيين انفسهم ملاحظة هذه الحالة النفسية الحادة التي اخذت تجتاح مختلف الطبقات الاجتماعية الفرنسية ، ومما يستاثر بالانتباه ان مظاهرها لم تعد قاصرة على الاوساط اليسارية والتقدمية بل انها اخذت تجتاح مختلف الطبقات حتى تلك التي ترتبط مذهبيا بالاحزاب اليمينية المتطرفة ، وقصة قارىء «لورور» (5) تلك التي استقاها الكاتب التقدمي الفرنسي «كلودبورد» من صميم الحياة الواقعية هي من بين الشواهد على ذلك .

هذا وقد كان لحرب الجزائر – من جهة اخرى – انعكاسات اعمق خطورة وابعد مدى بالنسبة للعلاقات الفرنسية الدولية .

والحق ان خطورة هذه الانعكاسات لم تعد تتمثل فقط فى توتر العلائق بين فرنسا والعالم الافريقي الاسيوي ، انها اصبحت تمس سياسة باريس فى المحيط الاوربي وتسيء الى مركزها داخل الاسرة الاطلسية وعلاقاتها الخاصة مع الولايات المتحدة وبعض الاقطار الاخرى التابعة لنظام الدفاع الغربي .

وكما كانت الجزائر هي اساس العلة التي اطاحت بالجمهورية الرابعة ، فانها ايضا كانت من بين العوامل الاساسية فى نشوء هذا الوضع المضطرب التي توجد فيه الديبلوماسية الفرنسية ، فقد انقضت سنوات عدة حينما تركز فى اذهان المتطرفين اليمينيين ان استمرار الثورة فى الجزائررهن بالمساعدة التي تغدقها امريكا على الوطنيين اغداقا ! ! ، ولهذا فما فتىء الغلاة منذ سنوات عدة يهيبون بالحكومات الفرنسية المتعاقبة ان تتخذ مواقف مناوئة لا من الحليفة الكبرى فحسب ، بل من مجموع نظام الدفاع الاطلسي ! وكان من المتوقع جدا ان تجد هذه الدعوة طريقها الى التطبيق غداة قيام الجمهورية الخامسة ، واكتست الديبلوماسية الفرنسية بعد ذلك رداء قوميا

---

4) تندرج هذه العناصر فى منظمات عديدة من بينها : الحركة الجامعية – تجمع فرنسيي الجزائر – جمعية المعطوبين وغيرهم كثير .

5) احد الرجال العاديين فى باريس كان مواظبا على قراءة الصحيفة اليمينية المتطرفة «لورور» لانه هو نفسه كان يمينيا متطرفا وكان يوالي بالطبع حركات القمع فى الجزائر ولكنه تحول اخيرا الى مناصرة مبدا التخلي عن ذلك البلد لان التمسك به سيفضي بفرنسا الى الخراب .

متهوسا ينسجم مع تطرف الغلاة في الجزائر ، وهكذا اخذ المسؤولون في باريس يحتـذون في السياسة الخارجية ـ نهجا غريبا يقوم على اساس من المساومات الرخيصة احيانا والتهديدات المكشوفة احيانا اخرى.

ولم يكن لذلك من نتائج الا مابدا يحيط الوجود الدولي لفرنسا من غيوم قاتمة ، فقد اخذت بـوادر العزلة تتهددها من وقت لآخر ، بل ان هذه العزلة مـا فتئت ـ منذ الربيع الماضي ـ تاخذ صورا واقعيـة تتمثل في توتر العلائق مع الولايات المتحـدة (حـول موقفها من الجزائر) وايطاليا (حول حـادث القنبلة بروما) وسويسرا (حول قضية الايداعات الجزائرية في المصارف السويسرية) ويوغوسلافيا (حول زيارة الرئيس عباس لبلغراد) وغير ذلك من الاقطار .

لقـد كـان طبيعيا أن يكـون لهـذه المشـادات الفرنسية الدولية ـ المترتبة عن الوضع في الجزائر ـ نتائج متعددة المظاهر والاشكال ، وقد كان مـن ابرز هذه النتائـج :

1) عزلة الاسطول الفرنسي .

2) استغنـاء الولايـات المتحدة عـن القيمـة الستراتيجية لفرنسا وذلك لفائدة المانيا الاتحاديـة .

3) تسمم العلاقات مع الدول المجاورة كسويسرا مثـــلا .

4) انخفاض نسبة التضامن الفرنسي الامريكي.

من الواضح اذن ان امتداد الحرب في الجزائـر لم يكن مما يعين على تدعيم مركز فرنسا في الاسـرة الدولية ، بل ان هذه الحرب قد كانت ولا تزال بالفعل اساسا لكثير من المتاعب التي تلاحق الحكومة الفرنسية باعتبار علاقاتها مع العالم الخارجي .

ولعل ادراك المسؤولين الفرنسيين لم يكن يقصر عن استيعاب هذه الحقيقة البارزة ، ولكن الاحـوال العقليةالتي كانت تسيطر على اذهانهم والتـى كـانت تغذيها برامج «شارل» وتظاهرات التآخي ـ لم تكـن تساعدهم على تقدير النتائج التي تترتب عن استمرار العـــــراك .

وامتدت الثورة صاعقة جبارة وتبدد مع امتدادها ذلك الحلم الكبير الذى كان يراود المسؤولين فى باريس والذى كان يوحي بامكانيات الوصول الى اخمـــاد انفاسها المستعرة .

ولهذا كان من الضروري ان يتجه تفكير الجنرال دوكول الى سلوك مناحي اخرى لحل المشكلة ، ومـن ذلك كان اعلان الاعتراف بحق تقرير المصير في تصريح 16 شتنبر الماضـــي .

لقد انقضت سنة كاملة منذ ان صادقت اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة علـى ملتمس الكتلـــة الافريقية الاسيوية الذى يعلن اعتراف المنظمة الاممية لا بحق تقرير المصير فحسـب ، بل ايضا بوجود الحكومة الجزائرية وكفاءتها للتفـاوض مـن اجـل الشعب الجـزائـــري .

فالتصريح الفرنسي اذن ليس الا تصديقا علـى هذا الاعتراف الدولي الهام بحق انساني اساسي : هو حق اختيار المصير ، ولكن هذا التصريح ـ من جهـة اخرى ـ سيبقى قاصـرا بالنسبة لملتمس اللجنـــة الخاصة ما دام انه لايقر للحكومة الجزائرية صلاحيـة التفاوض من اجل اعداد الحل السياسي للمشكلـــة القائمة هذا في الوقت الذى لاتفتا فيه حكومة السيـد عباس تعدد وسائل التعبير عن الاستعداد للتباحث من اجل انهاء النزاع عن طريق تطبيق مبدا تقرير المصير.

فهل للامم المتحدة ـ في دورتها الحالية ان تقدم على اتخاذ الخطوة التالية فتمهد السبيل بذلك لتحضير الالتقاء الفرنسي الجزائري حتى يمكن التوصل لصيغة مشتركة تستهدف اقرار السلام وتصفية النزاع بما له من جوانب سياسية وعسكريـة ؟ . ذلك ما يصبـو اليـــه الجميـع .

آراء اجنبيـــــة :

برنار لامبير ـ نائب : ان موضوع الجزائر لايراه الراي العام الفرنسي والدولي الا على اساس واحـد هو : ان افتتاح المفاوضات رهين على الاخص بالموقف الذي يتخذه الجنرال دوكول ، فمنذ ان تم له القبض على ازمة الحكم وهو يؤكد دائما ارادته في الوصول الى توقيف عاجل لاطلاق النار ، وعليه الآن ان يتمم المنهاج السياسي الذي اختطه من قبل ، والا فان التاريـخ سيلقي عليه مسؤولية ضخمة في حالة نجاح او اخفاق السلام في الجزائر بل في العالم ، انـه ليس مـن داع للمغالطة : ذلك انه اذا لم يتم تطبيق النهـج الـذى يستهدف السلام ، فان تدويل النزاع ـ هذا الـذى يخشاه الفريقان ـ سيغدو امرا محتوما ، ان معركة الامم المتحدة لم تربح بعد ، ومن المحتمل انها اذا مـا لاحظت بعد شهر حصول الاتفاق بين الطرفين علـى مبدا تقرير المصير ، فان اقل ماتوصي به حينئذ هـو ماينتظره الناس في فرنسا نفسها : فتـح الحـوار الفرنسي الجزائري ، لماذا لانحزم امرنا نحن اذن ؟ لماذا لانوثر من الآن سياسة السلم هذه ؟ .

على هامش الذكرى الخامسة للثورة الجزائرية :

ذكرى الانبعاث الجزائري

للأستاذ أحمد مراد

منذ خمس سنين خلت ، بدأ عهد جديد في تاريخ شعب مناضل ، استطاع بنضاله ان يحتفظ بكل خصائص العروبة ويعتز بمميزاتها السامية . وعجزت القوة الباغية ان تحوله عن قبلتها ، رغم ماعاناه في سبيل الاقامة على عهدها ، والتشبث باسبابها من ويلات ونكبات ..

ان يوم فاتح نوفمبر سنة 1954 هو اليوم الذي وضع فيه هذا الشعب حجر الزاوية في بناء صرح التحرير القومي والانبعاث الوطني . بعد ماقضى اكثر من ربع قرن من الزمن في اعداد التصميم المحكم لاقامة هذا الصرح على اس متين ، استمد عناصره الاولى من تمسكه بدينه وعروبته وقوميته .

ففي صبيحة أول يوم من شهر نوفمبر منذ خمسة اعوام ، اشارت بعض اذاعات العالم ووكالات انبائه في شيء من عدم الاهتمام ، وقليل من الاكتراث، الى وقوع بعض الاحداث المنبعثة عن جبال (الاوراس) الشامخة ، واعلام (جرجرة) المنيعة ، غير مقدرة يومئذ ما سيؤول اليه وقوع هذه الاحداث ، وما سيكون لها من نتائج انقلابية خطيرة في حياة الشمال الافريقي . وقارة افريقيا قاطبة .

وهكذا ظهر الى الوجود ذلك الوليد الصغير ، الذي بزغ نوره — مع نور الشمس سويا — في ذلك اليوم المشهود ، في افق الوطن الجزائري ، كما ينبلج خيط دقيق من الضياء اللامع في وسط جموع من الظلام الدامس المتكاثف ، فبعث الامل في النفوس ، وجدد الايمان في القلوب ، وبادر ابناء هذا الشعب — الذين كانوا يترقبون طلعة هذا اليوم يوم الجهاد المقدس بفارغ الشوق ، ومزيد من الحنين — بادروا الى احتضانه ورعايته ، ودفع غارة الاعداء عن ساحته. اولئك الاعداء الالداء الذين ازمعوا ان يخمدوا انفاسه في المهد ، وان يسارعوا بتشييعه الى اللحد ، قبل ان يفتح بصره على نور الحياة . ولكن شاء الله وشاءت ارادة الشعب التي هي من ارادة الله ان ينمو وليد يوم فاتح نوفمبر ، كما ينمو النبات في التربة الخصبة، وان يترعرع عوده ، ويشتد ساعده ، حتى يشب عن الطوق ، ويعظم خطره ، وتزداد قوته وبأسه ، فيضحى بردا وسلاما على القريب ، ونقمة وبلاء على الدخيل والغريب ...

ان مثل ذلك الوليد هو مثل ثورة التحرير الجزائرية ، التى أوجدها الله من ضعف ، ثم جعل لها من بعد ضعف قوة ، ومن بعد غربة وعزلة انصارا ومؤازرين . وها هي اليوم ، وبعد خمسة اعوام طويلة قطعتها من عمرها المحفوف بالمخاطر والصعاب ، قد بلغت قمة الظفر ، وارتفعت على سواعد الابطال ، الى ذروة المجد والسؤدد ، وسجلت للعروبة وابنائها صفحة جديدة في سجل الخلود الانساني ، ستبقى — على الابد — مفخرة الاجيال بعد الاجيال ، ومأثرة خالدة تضرب بها الامثال .

(مجد سيذكره التاريخ للعرب
دوما ستعزفه الاجيال الحانا)

لقد اقر الخصم وارتفع النزاع .. نعم لقد اعترف (الخصم ...) قبل الموالي ببطولة وشجاعة اولئك الرجال الافذاذ الذين اعتصموا — منذ خمس سنين — بجبال الجزائر الشاهقة ، ليرفعوا فوق

فمموا لواء الجهاد المقدس من اجل الحرية والعدالة الانسانية . فجادوا بأرواحهم الغالية ، وسقوا ثرى الوطن المحبوب بدمائهم الزكية ، تحقيقا لذلك الهدف الاسمى ، وأبوا الا ان يحيى وطنهم ويحيى مواطنوهم كراما احرارا ، او يموتو شهداء ابرارا . وهذا منتهى الوفاء والاخلاص للمبادىء والقيم الروحية . ففي عصر سيطرت فيه المادة على النفوس ، وتحكمت الانانية في اتجاهات الافراد والجماعات ، يضرب هؤلاء الابطال المجهولون اروع الامثلة في التضحية بالنفس ، والتفاني في خدمة المجموع ، ونكران الذات من اجل رعاية مثل عليا ، وقيم انسانية مقدسة ، في ارض الجزائر العربية ، التي أبت نذالة المستعمرين الفرنسيين ولؤمهم ، الا ان يدسوا عليها بالاقدام ، وينتهكوا حرمتها ، ويمتهنوا قداستها وكرامتها طيلة قرن وربع قرن ، مخالفين بذلك ماأجمعت عليه كل الامم والشعوب المتمدنة ، من رعاية واحترام لهذه المثل والقيم الانسانية .

ان امعان فرنسا في بغيها وظلمها ، وعقدها العزم على ان تعمل بكل الوسائل (الاجرامية) لمحق الشعب الجزائري تدريجيا ، وابادة شخصيته العربية والاسلامية ، بغية تحويله الى مجموعة من البشر الهمج ، الذين لايرتبطون بماض ، ولا يفكرون في مستقبل ، الا في النطاق الاستعماري الضيق ... ان عمل فرنسا هذا هو الذي حدا بالطلائع الاولى من الوطنيين الجزائريين ان يعمدوا الى تجريد الحسام في وجه استعمارها والاتجاه الى حمل السلاح ضده ، مقدمين على كل النتائج والاخطار ، لانهم آمنوا — منذ اللحظة الاولى — أن الاستشهاد في ميدان الجهاد ، من اجل استرجاع حرية الامة ، وحماية تراثها الروحي والقومي من المحو والامتهان ، أشرف عند الله والناس من الحياة مع الذلة والهوان ، فلم يسعهم الا ان اعلنوها ثورة عارمة على الظالمين .. والطغاة المفسدين ...

ثورة لم تكن لبغي وظلم
في بلاد ثارت تفك القيودا

ثورة تملأ العوالم رعبا
وجهادا يذر الطغاة حصيدا

ولعل اول انتصار احرزه السابقون الاولون من المجاهدين والانصار ، هو انتصارهم على انفسهم ، ونزولهم الى مجال الفداء والتضحية بالنفس والنفيس ؛ اجل ؛ انتصارهم على دواعي الفشل والخور ، وضعف العزائم ، والتغلب على نقيصة الجبن والوهن ، وغيرها . . .

هذه الامراض الفتاكة ، التي تمكنت خلال عشرات السنين من شعوبنا التي ظلت رازحة تحت كابوس الاستعمار الاجنبي البغيض ، دون ان تتخلص من هذه الامراض المزمنة ، وتعلن صيحة الجهاد المقدس ، مجابهة قوة الاستعمار بمثلها ، دون خوف او تردد ، نظير ماحصل في الاعوام الاخيرة لدى بعض الشعوب التي كانت تعيش تحت السيطرة الاستعمارية في آسيا وافريقيا ، فلم تنجل المعركة بينها وبين المحتلين الا عن هزيمة نكراء للمستعمرين واحلافهم واعوانهم ...

واذا كان الحديث النبوي الكريم ، قد عبر عن جهاد النفس بالجهاد الاكبر، فقد انتصر شعب الجزائر في جهاده هذا من اول يوم اعلن فيه الجهاد الوطني ، فانكر نفسه ، ونسي مصلحته الفردية ، ولم يتردد في الانضواء تحت لوائه ، منذ اول طلقة نارية مؤذنة بنشوب ثورة البعث . فساهم في الكفاح الى جانب جيش التحرير ، وغذى النضال المسلح ، بكل مالديه من امكانيات مادية وادبية ، مستهينا بكل تضحية الى ان يفنى عن آخره ، او يحكم الله له بالنصر على عدوه. وقد صدق الله وعده مع هذا الشعب المؤمن بحقه في حياة العزة التي خص الله بها المؤمنين ، بنصره للفئة القليلة من كتائب جيش التحرير على الفئة الكثيرة من جنود المعتدين في كثير من المعارك والمواطن .

وقد عبر احد شعراء الثورة عن هذا المعنى اصدق تعبير فقال :

وجيوش مضت يد الله تز
جيها وتحمي لواءها المعقودا

من كهول يقودها الموت للنـ
ـصر فتغتك نصرها الموعودا

وشباب مثل النسور ترامى
لايبالي بروحه ان يجودا

فمضى الشعب بالجماجم يبني
امة حرة وعزا وطيدا

ان كل هذه المدة المديدة التي عاشتها ثورتنا في غمرة من الكفاح المرير ، لم تزدها الا متانة في نظمها ، وشدة في مقاومتها ، ونضجا في اسلوبها السياسي والعسكري، مما اتاح لها ان تحتل مكانة دولية مرموقة، فاضحت (حكومتها الفتية) مثار اعجاب وتقدير جميع الاحرار في كل اطراف العالم . ذلك لان الثورة قد برهنت خلال هذه الفترة الممتدة من حياتها ، على عمق مبادئها ، وسمو اهدافها . ونزاهة جوانبها القومية والانسانية . وابانت عن مدى ماتحتضنه هذه الرقعه الشاسعة من ارض المغرب العربي ، من طاقات معنوية نضالية ، جديرة بان تعد من مواطنيها خير أمة تتولى بناء حضارة انسانية جديدة في غرب البحر الابيض المتوسط ، كما فعلت في ابان ازدهارها وعظمتها ، بعد ان تتخلص نهائيا من كل قيد من قيود العبودية والاستغلال ، وتنطلق في طريق الحرية والاستقلال .

فجدير بنا ـ ونحن نلج ابواب السنة السادسة لثورتنا ـ ان ننوه بهذه السنين ، الخمس من الجهاد العظيم ، الذي خاض معركته هذا الشعب العربي الابي ، محييا به شعيرة من اهم الشعائر التي قامت عليها عزة الاسلام في عهوده الزاهرة ،محققا آمال العروبة في ابنائها الذين عقدوا العزم على استعادة امجادها ، مبرهنا عن مدى تعلقه بعروبته وتثبته بتعاليم دينه . رافضا كل ماعداهما من ترهات وخزعبلات ، لايمكن ان يسمح لها بان تمس حقيقته الجوهرية ، او ان تحيد به عن الاتجاه الذي سار فيه مع قافلة العروبة الحرة الناهضة .

حقا انها ذكرى جليلة القدر ، عظيمة المغزى ، عميقة الاثر في حياة الاجيال الجزائرية ، بله الاجيال العربية جمعاء . اننا نستطيع ان نخرج من امعاننا النظر في هذه الذكرى ، والتعمق في دراسة حقيقتها الثورية ببعض النتائج المنطقية . منها :

اولا : ان الشعب الجزائري قد كافح المحتل على شخصيته ، وجميع خصائصه كشعب عربي مسلم ، مؤكدا ذلك في دستور الاعلان عن الثورة ، وهذه العقيدة التي سرت في ابنائه مسرى الدم في الجسد ، هي التي كانت له فيها اكبر عامل للنصر على العدو قديما وحديثا .

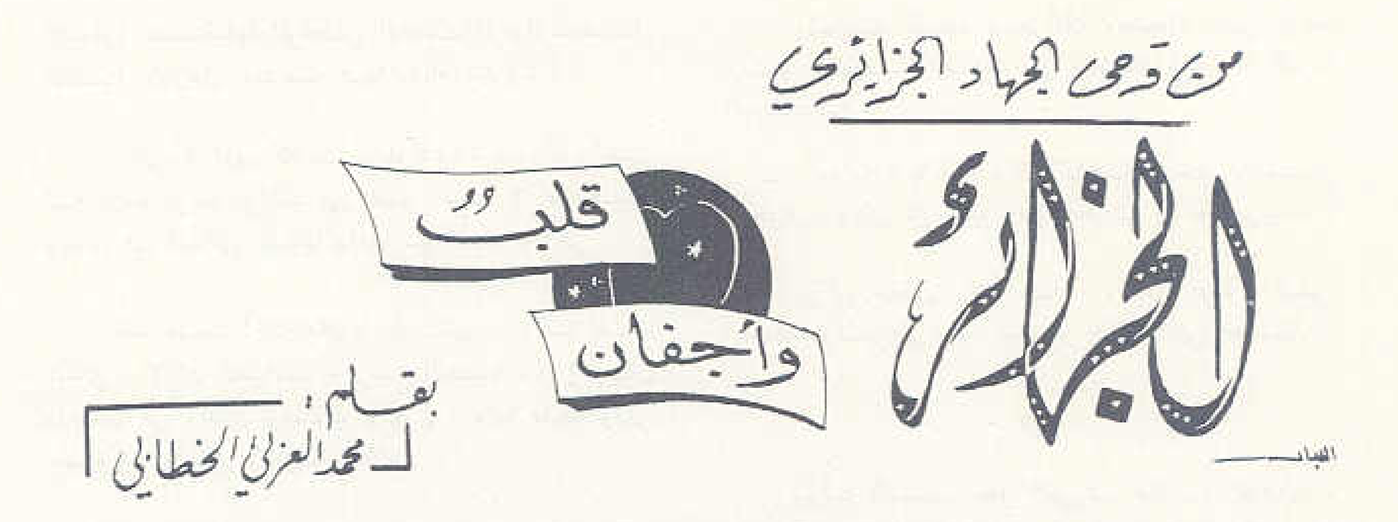
ثانيا : ان الاستعمار ظل وما فتيء يشن حربه الصليبية والعنصرية على شعب عريق في دينه وعقيدته وقوميته ، محاولا مسخه وادماجه ، بل وتحطيم شخصيته ، ليتسنى له ابتلاعه وهضمه ، دون نظر الى ماضيه التاريخي العتيد ، وتقدير لتراثه الروحي الخالد ، الذي لايقبل هضما ، وهذا هو سر فشله في محاولاته وهزيمته امام هذا الشعب الاعزل في الماضي والحاضر ايضا ...

وثالثا : ان فرنسا قد خالفت في انتهاج سياستها الاستعمارية في الجزائر كل النواميس الطبيعيه والانسانية ، وتنكرت لكل مايمليه الضمير والوجدان في معاملة الجزائريين . فهي لم تقف عند حد السيطرة السياسية المباشرة ، التي افقدت الجزائر سيادتها الوطنية في نظر القانون الدولي . ولم تكتف بالاستغلال الاقتصادي الفظيع ، الذي قام على السلب والنهب والاغتصاب لكل ثروات الوطن والمواطنين ، لصالح شراذم من المعمرين الافاقين ، بل عمدت الى تحدي كل القيم والمعاني الخلقية والروحية ، وخرق كل الشرائع السماوية والوضعية ، مستعملة احط الاساليب وابشعها في انتهاك حرمة المقدسات ، والاعتداء على الحرمات ، واقتراف أرذل ضروب الاثم والمنكرات . نكاية بشعب كل ذنبه انه لم يكن يملك من القوة المادية ـ عند الاحتلال ـ ما يستطيع به دفع العدوان الفرنسي عن وطنه .

ان هذه العوامل مجتمعة او متفرقة ، هي التي فرضت على شعب الجزائر ان يستميت في الكفاح ، ويصمد في النضال ، هذا الصمود العجيب مدة خمسة اعوام ، امام قوى هائلة لدولة كبرى ، اشتهرت بتعصبها الاعمى ، وامتازت بعنصريتها واحقادها الدفينة ، ضد كل مايمت بصلة الى العرب والمسلمين .

ومع بوادر النصر التي تبدو في الافق ، وشعاع الامل المؤذن بقرب الظفر المرتقب ، مع هذا فانها ماتزال امامنا مرحلة هامة في طريق الكفاح ، يتعين علينا قطعها ـ بمؤازرة وتاييد اخواننا واشقائنا العرب في المشرق والمغرب ـ كما قطعنا معا المراحل السالفة في الخمسة اعوام المنصرمة . وذلك قبل ان نشرف على نهاية هذه المعركة الخالدة في تاريخ العرب والعروبة ، والتي لاريب في ان كل عربي يؤمن في قرارة نفسه ، ويعتقد من صميم فؤاده ، انها ستكون لخير الجزائر ، وكل الشعوب الشقيقة والصديقة .

وما نحن الا امة ذات نسبة
سماوية الاسباب لن تتقطعا
وذرية للأطلس الفخم لبو به
تصدت لنا (ذرية) ماتصدعا



« الام التي تتحمل ، بصبر وشجاعة ، فراق وحيدها الذاهب الى المعركة تلبية لداعي الشرف ، مجاهدة صامتة قلما تتغنى ببطولتها الاشعار او تتحدث عنها كتب التاريخ . ان هذه الام رمز الفداء الصادق والبذل الكريم » .

— هذه شبابتي ، يا أمي ، احفظيها حتى أعود ، فلم يبق بنفسي نغم يمكن ان يجري في جوفها .

وتلك الفاس والمنجل والمذراة فتعهديها حتى لاتصدا ولا تتآكل ، وحتى يرتفع عقم التربة وتخصب من جديد .

وهذا المصحف الذي كان ابي يتلو فيه آيات بينات من كلام الله . اجعلي منه لك أنسا وسترا .

اني ذاهب الى الجبل ، يا امي ، فتجلدي !

— ويحك يا بني ! لمن تترك امك العجوز ؟

— أتركها للجزائر الحبيبة عروسا من عرائس الفداء والبذل ، كالامهات الصبورات الاخريات اللاتي بعثن الى الجبل ابناءهن .

— وماذا في الجبل ، يابني ، يغري الفتيان بمفارقة امهاتهم ، والرجال بترك ازواجهم ؟

— في الجبل ، يا اماه ، منطلق البطولة والجهاد ، ومعقل الشرف ، ومشعل الامل يتراءى من خلال نوره غد الجزائر المشرق .

في الجبل كهوف القرابين والضحايا التي تقدم فداء للوطن الحبيب .

وانت ، ياامي ، كهذا الجبل الكريم تتمثل فيك ، ان صبرت ، كل المعاني السامية النبيلة التي عددتها .

— ولكنني ، ياولدي ، امرأة من قلب واجفان ؛ فاني لي بالصبر على مفارقة وحيدي ، والزج به في مفازات ذلك الجبل الرهيب ، جبل البطولة والتضحيات ؟

— كل الجزائر ، يا اماه ، قلب واجفان .

قلب مضوع بعطر الامل والحياة ، واجفان مبللة بدمع الظفر وقرب الخلاص ...

الجزائر كلها تبكي ، يا اماه ، وفي دمعها يترقرق نور الغد الناعم ، وصحوة المستقبل الخصيب .

قلبي النظر في هذه المروج والحقول ومسارح الدواب هل ترينها الا واجمة شاخصة ترقب النداء البعيد ، نداء العتق والانطلاق .

وتلك الغدران والسواقي التي تأبى ان تكتسي برداء الشمس الموشى النضير ، انها تتطلع بدورها الى اليوم الموعود .

ومن غير فتيان الجزائر يطلق النداء المترقب فيدوي في الجبال والوديان والفلوات ، ويرسل

الاشارة فتستقبلها المراعي الخضراء والاشجار المكسوة بالازهار فتنبعث فيها حياة جديدة ؟

ــ اني لا افهم كلامك ، ياولدي ، غير اني احس له بوقع غريب يولد في نفسي قوة لا اعهدها ، ويفتح في اعماقي ينبوعا دافقا من الجلد والامل .

لقد فهمت ! انا امك ، ياولدي ، وانت فلذة كبدي ، الا ان الجزائر ، تربتنا الحبيبة ، ام اجيال واجيال من ولدان وشباب وكهول ، ولها عليك وعلى جميع ابنائها حق الامومة الخالدة .

فلترفرف باجنحتها الحانية عليك ، ولتتقبل في الجبل تضحيتك ، وتضحية هذه العجوز الفانية : امك !

سأحفظ لك ياولدي شبابتك في اعز مكان حتى تعود فتبعث في جوفها الحان النصر والحرية ؛ فان مت فاعزف عليها فوق قبري .

وسأتعهد فاسك ومحراثك ومنجلك حتى ترجع ويكون الخصب قد دب من جديد في هذه التربة السمحة .

ــ وداعا ، يا اماه ، اني ذاهب لالتحق بالفتيان الاحرار ، وكأن كل خطوة من خطواتي موقعة مربوحة !

باركي جهادي ، يا اماه ، وكوني قوية ، فبقوة الامهات وصبرهن تحيا الجزائر وتقف على قدميها..!

*

وولت الشمس نحو الغروب هادئة كعادتها ، ولم يبق يلوح في العتمة ــ في انتظار ميلاد الصبح الجديد ــ غير شبحين :

شبح الفتى المتجه نحو الجبل ، وشبح الام التي فارقت وحيدها . .

وتلك هي الجزائر : ام صابرة ، وفتى شجاع ، وأمل يلوح من بعيد . . . من بعيد !



ان مما يقيم البرهان قويا واضحا على ان ثورة الجزائر ثورة عميقة الجذور ، بعيدة الاغوار ، هو ماتشاهده من انتاج أدبي يكتبه شباب جزائري لم تستطع الوضعية الشاذة التي فرضتها فرنسا على بلاده أن تمنعه من وعي قوميته وادراك مشاكل وطنه ، فحطم القيود وتخطى كل العقبات بما فيها عقبة اللغة وعبر عن مطامح بلاده الجزائر في قوة واخلاص. والحقيقة ان الادب الجزائري الحديث المكتوب باللغة الفرنسية ظاهرة جديرة بالدرس ، تفسح المجال لكثير من المناقشات الخصبة ، وتكمل اطار الادب العربي المعاصر .

ورغم انني لست الآن بصدد دراسة هذا الادب ، فاني اريد ان اشير الى خاصة مميزة له وهي خاصة الالتزام ؛ فكل الادباء الجزائريين الشباب من امثال محمد ديب ومولود معمري ومولود فرعون وكاتب ياسين وغيرهم .. كلهم يلتزمون بواقع بلادهم ويصدرون عن ماساتها فيما يكتبون . وهم في التزامهم احرار لم تفرضه عليهم سلطة قاهرة وانما نبع من ضمائرهم الحية فجاء أدبهم صادقا قويا يذكرنا بانتاج الكتاب الروسيين قبل الثورة البلشفية ، ومن ثم جاءت هذه الجدية التي تطبع الادب الجزائري الحديث والتي تذكرنا دائما ان الحياة في الجزائر قاسية شاذة فيها كل انواع الظلم والمهانة ، يعامل ابناؤها معاملة الحيوانات فلا غرابة اذا اصبحت القسوة تسيطر عليهم حتى حينما يضحكون فيخيل اليك ان ضحكتهم تعبير عن المرارة اكثر منها تعبيرا عن الفرح !

ولعل تلخيص احدى قصص مجموعة «على المقهى» (1) للكاتب الجزائري محمد ديب، يعطينا فكرة عن المنحى الذي يسير فيه الادب الجزائري ...

رجل عاطل له ثلاثة اطفال . جرب حظه في الوطن الام – كما يحلو للفرنسيين ان يسموا بلادهم – ولكنه لم يجد عملا وعاد الى بلاده الجزائر ليجد كل الابواب مقفلة في وجهه . وعندما اشتدت أزمته لم يعد يذهب الى بيته ؛ كان يظل جالسا على المقهى ينظر في تبلد الى الوجوه المظللة بالبؤس التي تحاول فقد الاحساس بالزمن .. كل ليلة ينتظر على المقهى حتى يأخذ النوم بأجفان اطفاله الجائعين ويهد التعب زوجته المترقبة . قضى على هذه الحال ثلاث سنوات الى ان كان مساء وفد فيه على المقهى رجل اطلق سراحه من السجن .. وكان تعارف بينهما تبعه حديث ، وساله صاحبنا عن السبب الذي دخل من اجله السجن فأجابه بانه اقدم على السرقة بدافع من الجوع ولكن الحارس فاجاه فاضطر الى الدفاع عن نفسه فقتل الحارس عن غير قصد وسيق الى السجن . وهناك عاش مع المجرمين واخذ عقله يحلل وضعيته ووضعية الآخرين ، فادرك تفاهة حياتهم وخلوها من كل ضمان ، وادرك قساوة المجتمع الذي يسحقهم ويلفظهم خارج حدوده في حالة «عدم صلاحية» لا لشيء سوى انهم ارادوا ان يدفعوا عنهم غائلة الجوع فسرقوا فتاتا من موائد السادة واذا بهم يعاقبون بهذا السجن الذي يجردهم من انسانيتهم . وعلمه السجن ايضا ان يسخر من المحامين الذين لايدافعون عن المجرم الا بعد ارتكابه للجرم . اية فائدة من ذلك ؟ لماذا لايدافعون عنه قبل ان يضطر الى الاجرام وذلك بان يوفروا له امكانيات الحياة الشريفة ؟ ولنستمع اليه يخاطب المعمرين والاقطاعيين في المجتمع :

– «ان عالمكم هو الذي يبعث في نفسي التقزز ، وانه ليبعث في الناس الما كبيرا . يحسن بكم ان تمحونا والا

(1) Au Café - Nouvelles - par Mohammed Dib.

فان اذرعتنا ستمتد وتطول مع الايام حتى اذا ما تجرعنا مايكفي من هذه الثفالة فاننا نحن الذين سنمحقكم ...»

كان صاحبنا يستمع مشدوها الى الحديث الذي علمته التجارب لصديقه ، ومن خلال كلماته اخذ يكتشف اكذوبة المجتمع الذي يعيش فيه واخذ ايمانه بضرورة الصبر يتلاشى ...

في هذه القصة الممتعة يعرض محمد ديب مشكلة انسانية هامة وهي الضمان الذي يجب أن يقدمه المجتمع للفرد حتى لايظل فريسة للجوع والضياع ، هذه المشكلة التي تتقارع المذاهب السياسية من أجلها دون أن تستطيع التوصل الى حل نهائي ، فكيف اذا كان هناك مستعمر يجثم على صدر الشعب ويستغل خيراته ولا يترك له حرية توفير امكانيات الحياة لافراده ؟

اما من ناحية الشكل فان قصص هذه المجموعة لا تعتمد على العقدة ، ويمكن ان نقول عنها انها من القصص المفتوحة التي لاتهتم الا بالاثارة قدر اهتمامها بتصوير الجو وتشخيص مسرح الحوادث ، وهذا الاتجاه يذكرنا بقصص تشيخوف التي تمثل لحظات حياتية تعكس الحياة بكل انفعالاتها وصدقها ، بل اننا نجد بعض قصص محمد ديب تلتقي مع قصص تشيخوف في طابعها الانساني وذلك مثل قصص : «ابنة العم الصغيرة» «الانتظار» «زواج سعيد» .

ففي قصة «ابنة العم الصغيرة» تطالعنا صورة اليمة لمنصورية الفتاة المسلولة التي جاءت من الريف ودخلت المستشفى حيث قضت سبعة ايام تمتعت فيها بوجبات اكل دسمة ، ولكنهم طردوها بعد ذلك بدعوى أن المستشفى لا يتسع لها اكثر من هذه المدة .. وعادت لتنام في الاصطبل وتفكر في الموت ، موتها .. كانت تسترجع اصدقاءها الذين يتحتم عليها ان تزورهم وتسترسل في خواطرها قائلة :

«.. ثم ساعود الى كوخي لانتظر الموت . وليس معنى هذا انني مللت الحياة فمن المؤكد انني سآسف على مفارقة الطيبين في هذا العالم ولكنني ساقول للموت : بادر الي والا ذهبت اليك .. ، انني عجوز منهكة .. وليست الشيخوخة هي التي تقتل ، ولكنها الحياة التي نتلقاها مجزءة . لاشك انه ستوجد نفوس كريمة تخيط لي كفني وتدفنني في شكل كريم، «احباب ربي بزاف» .. كم هم عديدون وطيبون أولئك الذين يشبهوننا ، فهل يوجد شيء اجمل من الحياة ؟ ! » .

اعتقد ان هذه الخواطر التي وردت على لسان بطلة القصة تظهر لنا في قوة انسانية محمد ديب وعمق احساسه بالظلم الذي يتلقاه مواطنوه .

وهذه المجموعة بما اشتملت عليه من تصوير لليأس الذي يعيش فيه الانسان الجزائري ، وللظروف المحيطة به تثير في القارىء ايحاءات غنية وتقنعه بان الكاتب يعيش واقع بلاده ويؤمن بانتصار قضيتها ؛ ورغم الصورة الكئيبة للحياة في الجزائر فان الكاتب لا ينى يزرع الامل بين طيات السطور مبشرا بالربيع الذي سيشرق على بلاده ، هذا الامل الذي عبر عنه في احدى قصائده قائلا :

ايتها الريح
ريح الليل القاسية
عودي الى البلاد التي جئت منها وقولي لها :
عليك السلام
هذا هو الربيع ، بين ملتقى الجبال
انه بعد ساعات واضحة
فيها العسل وفيها الذرة
وفيها القمح للبشر وللكائنات اجمعين



بمناسبة عيد العرش

في اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الجاري تحل الذكرى الثانية والثلاثون لارتقاء جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله عرش المغرب

وهي ذكرى عزيزة اعتاد الشعب المغربي في كل سنة ان يحتفل بها احتفالات رائعة متنوعة ، وان يتخذ منها عيدا وطنيا وادبيا كبيرا ، يتبارى فيه الشعراء والكتاب في التعبير عن عواطف الشعب المغربي نحو جلالة ملكه ، وايمانه بعظمته ، وحكمة قيادته .

ومجلة «دعوة الحق» تخصص بهذه المناسبة باب «ديوان دعوة الحق» لنشر قصائد ـ وان كان بعضها قد قيل فى مناسبات أخرى ـ الا انها جميعا تتصل بالموضوع ، بما تعبر عنه من تعلق الشعب المغربي بجلالة الملك ، وتفانيه فى محبته والاخلاص لعرشه .

ونحن نامل ان نتمكن فى العدد المقبل من نشر بعض الابحاث والقصائد التي قد لايعلن عنها الا فى يوم عيد العرش نفسه ، خصوصا الابحاث والقصائد التي ستسفر عنها نتيجة المباراة الادبية والعلمية التى تنظمها فى كل سنة ادارة التشريفات الملكية .

دعوة الحق



انشد الاستاذ علال الفاسي هذه القصيدة بين يدي جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله في الحفلة الدينية الرائعة التي اقيمت بمناسبة عيد المولد النبوي بمسجد زرهون ، حيث ضريح المولى ادريس الاول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب ، وذلك مساء يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ربيع الاول المنصرم الموافق 15 شتنبر .

ولم نتمكن من نشر هذه القصيدة في حينها ، نظرا لان المجلة كانت اذ ذاك في عطلتها السنوية .

وقفت على ربع بزرهون ماثل ... اسائل آثار الرجال الاماثل
وقفت على نبع المحبة والصفا ... ومهبط دين الله عند الاوائل
على جبل فيه ترعرع مجدنا ... ومنه بدا ايماننا بالفضائل
تذكرت فيه السابقين الى الهدى ... ومن رفعوا للحق اعلام جائل
طلائع دين الله من مهدوا له ... ومن نصروه في الضحى والاصائل
وكانوا دليل الصدق من حسن ما اتوا ... وما قد بنوا من مجمع متكافل
قلائل في التعداد لاكن صنعهم ... اجل واسمى من عديد الفصائل
لقد نصروا الاسلام في وطن العلا ... فلم تبق فيه جاهلية جاهل
وقاموا مقاما لم يقمه سواهم ... بنصرة آل البيت عن كل سافل
اولئك قومي ها هنا قد تجمعوا ... وصلوا وخطوا ما بنوا بتواصل
وقفت احييهم واذكر فضلهم ... وما رفعوا من شامخ المجد هائل
وارسلت من زرهون خير تحية ... الى عرفات الله خير المنازل
الى احد الحب الذي انفجرت به ... من الوحي للانسان عذب المناهل
وسايرت منه الاوربي وقد غدا ... يحج لبيت الله حج الفطاحل
كأني به في موكب الحج رائد ... من الحق لا يلوي على غير طائل

يشاهد فى مهد الديانة فرقة ... تمد على الاسلام شر المعاول
فلم يرض ما يلقاه ءال محمد ... من العسف والارهاب بين القبائل
وقد نصبت (فخ) لقصف رؤوسهم ... وحرمانهم من كل شهم مصاول
فبايع ادريسا على ان يصونه ... ويحميه من كل عاد وصائل
وعاد فخورا للبلاد مبشرا ... باطيب غنم بل باكرم عاهل
فلم تر فى طول البلاد وعرضها ... سوى فرح مستبشر متفائل
كاني بادريس الهمام وقد بدا ... على الشعب فى شكل الامام المناضل
يبشر بالاسلام تبشير واثق ... بشعب جديد للامانة حامل
لقد نشر الاسلام فى كل بقعة ... ووحد فيه كل ناو وراحل
وشيد فينا دولة عربية ... ومسلمة ما ان لها من مماثل
عجبت لشهم جاء فردا مغامرا ... كما تلتجي الآساد عند المعاقل
فاصبح فينا امة بين امة ... يسيرها فى وحدة وتكافل
فذلك ميراث النبي محمد ... بدا فى امام طاهر النفس كامل
له من صفات المصطفى وخصاله ... مظاهر صدق واضحات الدلائل
اتانا كما جاء النبي لقومه ... بهدى مزيح للضلالة غاسل
وعلمنا القرآن حتى تفلقلت ... مبادئه منا بكل المسايل
وصرنا جنود الدين نحمي سبيله ... وندفع عنه معضلات النوازل
وان كتاب الله خير وسيلة ... الى العتق من قيد الهوى والتواكل
هو النور من يقبسه يعرج بنفسه ... الى عالم القدس السعيد المنازل
به كل ما يرجو الفتى من محامد ... وما يبلغ الانسان رشد المماثل
معالمه وضاحة وطريقه ... عمارة ارض من تجارب عامل
فمن يبتغ الهدى المبين يسر به ... ويبلغ الى الغايات عبر المجاهل
واني ارى فى الدين خير هداية ... الى امة من كل زيغ وباطل
واني ارى الاخلاق حصنا لدولة ... تحصنها من مرديات العوامل
فقل للالي زاغوا عن الدين نشوة ... رويدكم فالدين ليس بزائل
له من ضمان المصطفى ما يحوطه ... ومن حاجة الانسان أعظم كافل
ومن عزم مولانا المليك محمد ... حصون تقيه من جميع الزلازل
امام له فى الحق خير مواقف ... اذا ما بدا فى الافق جو التخاذل
لقد ذب عن حق البلاد واهلها ... نضال مضح بالرغائب باذل
وناصر دين الله فى كل وجهة ... وشاهده النصر خير الوسائل
اعاد لنا استقلالنا بعد ما عدت ... عليه العوادي واغتدى طعم آكل

ووحدنا حتى غدونا وراءه   صفوفا كما البنيان عند التفاعل
فخضنا غمار الدب فى كل وجهة   وجئنا بنصر باهر الشكل شامل
ذكرتك يا مولاي والخطب نازل   وقد هجم الاعداء من كل سابل
وقد صنعوا الكيد العظيم ولونوا   وسايرهم فى المكر كل مخاذل
وهبت على الاحرار اعظم نكبة   بها امتحن الايمان فى كل عامل
تألب الاستعمار ينصر افكه   ويجمع من اذنابه كل خابل
وظنت ظنون بالالاه ووعده   ولم تبق الا ثلة فى المحافل
وحلت لنا ذكرى النبي محمد   ولم تستطع الا تبتل سائل
اويت الى الكهف الخفي مشاطرا   رجالك عن طوع حياة المعاقل
تبيت تجافي النوم فى غير رهبة   وتذكر فيه كل شغل وشاغل
وفى ليلة ناجيت ربك داعيا   ونمت هني القلب غض الشمائل
رايتك فى زرهون فى خير محفل   بمسجد ادريس الهمام الحلاحل
يحف بك الاحرار من كل جانب   وتسمع ءايات الثناء الماجل
وبينا تناجي فى انفراد وخشية   وتسأل يا رباه جلت مشاكلي
اذا برسول الله فى خير حلة   ورفقته الصديق خير مطاول
واقبل حتى مس صدرك ناقرا   وقال لك : اثبت، وهو اصدق قائل
فسرى عنك الهم وانجاب غمه   ولم تر الا ثابتا غير ذاهل
وها انت قد حققت رؤياك يومه   بمهمة منقاذ وفى الف واصل
ولكن أمر المصطفى لك قائم   يذكر فيه الشعب تذكير ءامل
فان ثبات القائدين لجندهم   ثبات به تجتاز كل المراحل
ترجيك للجلى فان مصاعبا   تحف بنا من كل صوب ووابل
فتلك صحارينا العزيزة لم تزل   يعبدها المحتل تعبيد قاتل
أترضى بالاستقلال أبتر ناقصا   وبالارض قصت من جميع المفاصل
وفى ارضنا من كل جنس وامة   قواعد عجت بالجيوش الجحافل
وثمة فى ارض الجزائر اخوة   يعانون من حرب الطغاة الاراذل
الى م والاستعمار يعبث فيهم   ويرمي بهم دوما الى كف حابل
الى م نعاني الفقر من خير تربة   وكيف يعاني الشعب ذلة عاطل
دعوناك للجلى وانت مدارها   ومثلك من يعنى بكل الجلائل
وحولك شعب كله متعلق   بعرشك معتز بأشرف عاهل
مطيع لما تبغي من الخير سائر   على النهج فى عزم وحسن تعامل

وعندك شبل لا يرى غير ما ترى صبورا على الجلى قوى التناضل
بناصره فتيان حق اذا بـدوا غدوا كالثريا فى اتساق المشاعل
كماة اذا داعى الكفاح دعاهـم رأيتهم انقضوا كمثل الاجـادل
بناة للاستقلال فى السلم ، عـدة اذا ندبوا قاموا بجد مواصـل
فمر هم الى المجد الذي انت صانع تجد منهم جندا قوي الشمائـل
فخير خصال الملك ان يستفيد من كفاءة من نالوا اكتناه المسائـل
ولا خير فى شعب اضاع رجالـه ولم يقدر المجهود من كل عامـل
ولم يستفد من حادثات زمانـه وتفكير اهل الراي فى كل نـازل

*

هنيئا امير المومنين بليلـة بها شرف الانسان بين السلائـل
تجلى بها نـور النبي محمـد فحقق للانسان خلق التعـادل
وزالت به عنا الخرافات وانمحت ولم يبق غير الدين حبلا لواصل
الى الله يعنو كل وجه مكـرم وبالحق يسمو كل فعل وفاعـل
ومن يبتغ الخيرات يسع لها وما ينال الفتى الا ثمار الوسائـل
وما الناس الا واحد وسبيلهـم سواء وكان العدل خير الفضائل

*

هنيئا امير المومنين بليلة طلعت بها كالبدر عند التكامـل
اتحت لنا فيها سرورا مضاعفـا بما قد راينا من جميل المخايـل
فحمدا لمن عافاك من بعد محنة ونلت شفاء كاملا غير ذابـل
فبرؤك برء للبلاد واهلهـا وفيك شفاء الحق من كل باطـل
ولا زلت للاوطان رائد بعثهـا وقائدها فى ساميات المراحـل
ودام ولي العهد درة تاجهـا وقرة عين الشعب بدر المحافـل
ولا زال للاعداء حسرة نفسهـا وبهجة قلب المخلصين الافاضـل
ونال بنوك الاكرمون جميعهـم سعادة من يحظى بنجح المحـاول
ولا زال شعبي فى الهداية سائرا وفى حلل الانعام اطيب رافـل
ونالت بلادي وحدة وهنـاءة وفازت بنصر فى المواقف كامـل



اعد الشاعر ابو عبد الله صالح الجزائري هذه القصيدة لتلقى بين يدي جلالة الملك سيدي محمد الخامس في رحلة جلالته الى الجمهورية التونسية .

لكن الفعلة النكراء التي اقدم عليها غلاة المستعمرين الفرنسيين آنذاك باعتقالهم للزعيم بن بلة ورفقائه ، ضيوف جلالة الملك ، حالت دون استمرار الرحلة الى غايتها التي كانت مقدرة من قبل . وهكذا لم يتسن لهذه القصيدة ان تعلن في حينها . وقد بعث بها الينا الشاعر الجزائري ، لتنشر على صفحات «دعوة الحق» بمناسبة عيد العرش الثاني والثلاثين .

طلعتم فالوجوه بكم بشائر ... وحييتم فصفقت الضمائر

نزلتم تونس الخضراء ضيفا ... فأمست ايكة والشعب طائر

زغاريد ترن على المباني ... وآيات تفيض على المنابر

فلا كلت بمنظركم عيون ... ولا بحت بمهتفكم حناجر

وحق لفضلكم ما اظهرته ... وما تخفيه (تونس) من مشاعر

فكم راعيت مغربنا المفدى ... بطرف في ظلام الخطب ساهر

فديتم بالضمير الحر شعبا ... فهب مفاديا لكم مناصر

واحكمتم اواصره بشرق ... فلا انقطعت بنا تلك الاواصر

وكم بيعت بوقت نحن فيه ... – ووا اسفاه – للغرب الضمائر

لقد عجمت قناتكم الليالي ... فولت عن ابي النفس قادر

وكم ذلت نفوس نيرات ... لبرق خلب الومضات غادر

فعاشت للرغائب والعطايا ... وموطنها يعاني الضيم صابر

ويمتحن النفوس رنين فلس
فان ذلت ، فيا غبن المقامر

فلا عدمتكم الايام ذخرا
ونورا عند مسود الدياجر

نزلتم ارض تونس ضيف عز
وانتم في غد ضيف الجزائر

فماذا يمنع الخطوات منكم
بان تمتد للوطن المجاور

فان به نفوسا ، لو ينادي
بمقدمكم لطارت بالبشائر

بصائره التقت بكم قديما
لقاء بالمكارم والمفاخر

فاعطوا الطرف منيته فاني
ارى الابصار نازعت البصائر

(محمد) سيد الاحرار ، يا من
بكم تبني العلا وبكم نفاخر

لئن لم تسمح الايام منكم
بقرب او قست تلك المقادر

فحالات الزمان الى انقلاب
أراه سينصف الشعب المثابر

فتقتبل البلاد بكم زعيما
يسير وموكب التحرير سائر

وتخفق فوقكم رايات شعب
عصامي ، وتنطلق الحناجر :

ليحيى المغرب الاقصى عزيزا
وتونس ، وليعش شعب الجزائر



نور بدا فتضا عن الاكوان   ظلما كنبها موحش الالوان
غمر البطاح ، وسال فيض نضاره   هيمان بين عرائس الكثبان
وافى الربى فتهللت لوروده   نشوى ، تصيخ لهمسة الغدران
ومشى يجوش خلال كل خميلة   تقفو خطاه مواكب الكروان
عيد الطبيعة قد اطل ، وهذه   ابراده موشية الاردان
وكانما الدنيا ـ رؤى سحرية   فى حضنه ـ حالت الى بستان
والكون يرفل فى غلائل حاكها   من بهجة ، وعواطف ، واغاني
هو.. عيد عرشك يامحمد قد كسا   هذى الحشود مطارف السلوان
وعلى « الرعية » رف ظلا وارقا   وشذى كعرف الفل والريحان

❋

اهلا بعيدك كالربيع منورا   حلو المجالي ، ناعم الاحضان
يرتاد اغوار النفوس ، مبددا   ما قد الم بها من الاشجان
اهلا بعيدك تجتلي فى وجهه   مثلا لاسرار العلى ومعاني
يزجي لشعبكم الوفي بشائرا   ويزف آمالا له واماني
اهلا بعيدك كالجمان مطوقا   اجياد غيد خرد وغواني !

❋

يسعى اليك على هوى متاجج   شعب مكانك منه فى الاجفان
متمليا عيدا اغر مباركا   يوما يفديه بكل زمان
يهديك صفو ولائه ووفائه   سمح المشاعر ، صادق الوجدان
فى قلبه نبع الهوى يزكو ، وفى   فمه نشيد تحية وتهاني

❋

يا مالىء الدنيا على ومفاخرا   يسمو بها قدرا بنو الانسان
يا من تالى لا ينى عن شعبه   حتى يبوئه اجل مكان

فوقي ، واني للوفاء بمثله ... وكذا تبر صوادق الايمان
وبنى على اس المعالي امة ... كانت فريسة ذلة وهوان
بابى الذي آلاؤه في شعبه ... كالشمس قد اغنت عن البرهان
وطوى اديم الارض عاطر ذكره ... ولسوف يطويه مدى الازمان
لله كم لك من يد بيضاء لم ... تبلغ مداها السن الشكران

*

فخر الملوك ، ومن بمثلك للعلى ... بين الملوك الصيد والاقران !
ان البلاد على الوفا لك اقسمت ... واري الوفا لك عمدة الايمان
انت الذي لم تالها فضلا فهل ... تؤلوك قرض محبة وتفاني
وعلى يديك جرى القضاء مبشرا ... بخلاصها من ربقة الطغيان
وغدا سيقتحم الغمار شبابها ... فيجيب صوتا للاخوة عاني
صوتا من الصحراء يدعو للفدى ... للتضحيات .. لنصرة الاخوان
اثنان لن يرضى بغيرهما العلى ... لشبابنا الحر الكريم .. اثنان
نصر عزيز ليس يدرك شأوه ... او غاية الشهداء في الميدان !

*

لك يا محمد من ولاء الشعب ، من ... اخلاصه ، ما ليس في الحسبان
ما زلت توليه الجميل فينثني ... متقلبا في ابرد الاحسان
حتى بلغت لديه اقصى غاية ... وملكت كل سريرة وجنان
فاسلم له سندا ، ودم كنز الرجا ... لبنيه من شيب ومن شبان
تالله لن نبغي بعرشك غيره ... بدلا ، وغير الضاد والقرآن
وحد على الحب القلوب ولمها ... ان التفرق نكبة الاوطان
والعرش فارع ذماره واتله مما ... قد شئت من عز ورفعة شان
انا اقمنا انفسنا وضمائرا ... حرزا له من كل اهوج شاني
لا زال مرفوع الذرى متحصنا ... بك ، يا محمد ، ثابت الاركان

قد آثر المنفى على ذل البلاد وما تردد

بقلم : عبد الكريم بن ثابت

فاق الملوك وما تعمد — وغزا القلوب فهل تعمد ؟
لا بالقنابل والمدافع — والاسنة والمهند
هو الصلاح وسيرة — مثلى على نهج معبد
هو التفاني وحده — في الشعب والوطن الموحد

*

فاق الملوك وكلها — ترجو له النصر المؤيد
وتود لو تغزو القلوب كغزو مولانا محمد
فخر البلاد وعزها — ومثالها في كل محمد

*

ارأيت يوما روضة — غناء فيها الطير غرد
ارأيت باسقة النخيل وظلها في الماء عربد
وشهدت زهر الياسمين كأنه نور تمدد
وسمعت آهات البنفسج من غرام قد تنهد
والغصن يرقص من هوى — والبلبل النشوان انشد
وجداول لألاءة — وكأنها عقد منضد
هذا لعمري بعض ما — في روح عاهلنا المجد
ملك اذا عصف الزمان ودجت الاحداث فرقد
واذا صفا الزمن الخبيث ونامت الاحداث يسهد
كم ذا أرانا من جلائل تضحيات لا تعدد
وروائع لبطولة — وشهامة في كل مشهد
لم يعرف التاريخ شهما — مثل عاهلنا محمد
قد آثر المنفى على — ذل البلاد وما تردد



بعد الاحداث الاليمة التى المت بالريف ؛ وبعد الخطاب الملكى الكريم الذى كان له الفضل كل الفضل في وضع حد لهذه الاحداث ؛ قام جلالة الملك سيدى محمد الخامس نصره الله بزيارة لربوع الريف ؛ وفي قصر العمالة بالحسيمة انشدت بمحضر جلالته هذه القصيدة :

اتت كالحيا الوسمي فى ذابل الزهر   زيارتكم بعد الحوادث فى القطر
اتت كالحيا فى الروض يتبعه الندى   وجاءت بانواع المسرة والبشر
فاهلا بربان البلاد ومرحبا   بساحلنا المنصور والملك البر
لقد حقق الله الأماني كلها   بمقدمك الميمون فى موكب النصر
محى العفو ادران القلوب فاصبحت   زيارتكم تغني عن الوبل والقطر
سرت فى جبال الريف رنتها شذى   تلقاه شعب الريف لله بالشكر
لقد غمرته من جلالتكم يد   يسجلها التاريخ للعرش بالفخر

*

ابا المغرب المقوار فى المجد والعلا   ونبراسه الوهاج فى المازق الخطر
قدمت وكان العفو اول نفحة   تقدمها للخائفين من الوزر
هنيئا فان الريف اصبح ناعما   بطلعتك الغراء منبسط الصدر
فتلك التلال الشم تزهى ، وهذه   شواطي (الخزامى) لاتفيق من السكر
وان (الحسيمات) الجميلة قد بدت   بمنظرها الفتان باسمة الثغر
تطل على البطحاء نشوى فيالها   عروسا من الصحراء ترقص فى البحر
تكاد تطير اليوم حبا وفرحة   جزيرتها الكبرى من الساحل النضر
تلوح على ظهر العباب كأنها   ـ وقد صمدت للموج ـ جارية تجري
وما برحت فى اليم كالطود ، عبرة   لدن نبتت تطفو على اللجج الخضر
لقد مكثت فى الاسر وهي من الحمى   فياليتها كانت ولم تك فى الاسر

امولاي ان الريف كله حافل ... حرى بنيل الفضل من فيضك الغمر
فلا احد يرجى سواكم للمه ... وامداده فى الكون بالمدد الوفر
اليك امير المومنين تهافتت ... قلوب واكباد تذوب من الدهر
حنانيك ياقطب الملوك وفخرها ... تلفت اليها لفتة العطف والفقر
امانا امير المومنين فاننا ... نلوذ بكم فى الخطب من خطر الامر
امانا فانا امة عربية ... تكن لك الاخلاص فى السر والجهر
لقد شهد التاريخ ان جهادنا ... جهاد دفاع عن مئاثرك الغر
وقد علم الاعداء ان كفاحنا ... كفاح أباة الضيم فى المسلك الوعر
فلم نعترف يوما بعقد حماية ... ولم نطع المستعمرين ولم نغر
فسل (تزىوسلى) او (بزينب) بعدها ... (وبوريد) او (اكنول) عن هدف النفر
امولاي انى لا اخالك ناسيا ... مواقف هذا الريف فى الموقف المر
اطاعوك فى الضراء طوعا وانهم ... اطاعوك عن حب هناك وعن بشر
رجال اذا ناديتهم لمهمة ... يسيرون كالآساد ، حبوا ، الى الازر
هم جندك المختار فى ساحة الوغى ... وهم بهم التحرير فى ساعة العسر
وهم حرس للملك فى كل حالة ... وهم وزر الاوطان من كل ما يزرى

*

ابا المغرب المقدام وابن ملوكه ... ورمز أمانيه المعطرة النشر
بك اعتزت الاوطان وازدهر الحمى ... وغنى بك الاسلام فى كل ما مصر
اعدت لنا العهد المجيد مكللا ... واحييت امجاد العروبة فى العصر
وحققت اهداف البلاد وسؤلها ... وانقذتها من ربقة الجور والحجر
وحررتها من مجرمين : محاربا ... كلاالعدوين: الجهل ، جهدك ، والفقر
تحملت اصناف الصعاب مكافحا ... فجئت بالوان المكارم والبهر
الا قد براك الله للشعب رحمة ... تسوسه بالحسنى : وتاسوه بالبر
فلو لم يكن عهد النبوة قد مضى ... لكنت من الرسل الكرام ذوي الصبر

*

امولاي هذي مدحتي لك شاكرا ... اياديك العظمى التي اطلقت شعري
فعش سالما للشعب يابطل الفدا ... يؤيدك الرحمان فى المغرب الحر

قصص



لم يكن ابي قد مات بعد ، عندما خمنت انه لن يلبث طويلا بيننا ، وان من واجبي ان ابحث عن عمل ما ..

كنت يومذاك في العشرين من عمري ، وكان ابي جسما منهكا ممددا على الفراش ، يقلب عينيه فينا كل مساء ، ثم يشد على يدي وهو يتمتم :

ــ كنت اريد لك حياة احسن من حياتي انا ...
ثم مات ابي ، كان يقلب عينيه فينا ذات مساء ، عند ما ارتخى جسمه مرة واحدة ... واعلنت صيحات امي انه ... مات .

وعند ما هربت الى الشارع ، كان كل شيء ما يزال كما هو ... الناس والاضواء والسيارات والضحكات العالية ... فان ابي لم يكن في حسابهم ابدا . !

بعد ايام قليلة وصلتني رسالة ، كانت تقول انه لا يوجد عمل ما ...

وبعد أيام قليلة اخرى ، استطاع جسمي الفتي ، وعشرون سنة تبرق في عيني الكئيبتين ، اغراء صاحب معمل كبير للحديد واصلاح السيارات ان يجعلني حارسا عنده .

حدث ذلك منذ اربعة اعوام ...
لقد اصبحت اليوم انسانا جديدا ، ولكن حياتي لم تكن خيرا من حياة أبي ، من حيث المعنى المادي للحياة .. كما كان يقصد ذلك المساء .

اصبحت فيلسوفا ...

ان أربعة اعوام من الصمت ، في وحدة كئيبة بالبيت المظلم داخل مخزن السيارات ، جعلت مني فيلسوفا .. لم يستطع قط ان يجعل ابنة صاحب المخزن تشعر انه انسان .. مجرد انسان . فقد كنت قذرا ، وكانت ثيابي مليئة بالرتوق .

كان جسمها ، الصغير يفتنني ، وكانت تمقتني الى حد الموت ، فلقد عرفت كل اسرارها ، ورأيت من خلال جلستي الصامتة بباب « المخزن » طوال يوم الاحد ، حيث كانت توجد قبالتي دارهم ، رايت رهط اصدقائها الحقيرين الذين يحاولون ان يتشبهوا بممثلي هوليود ، لقد كانوا ينتظرونها عند منعطف الشارع .

آه ، انني لم اكن استطيع ان أحول عيني النهمتين عن جسمها المترجح على الحذاء العالي ، كانت نظرات جريئة احيانا ، احس معها انني انسان .. مجرد انسان ، لست فيلسوفا ، ولست أشتكي الكآبة .

وجاءتني ذات يوم ...

لقد تعودت ان تدخل المخزن دائما ، لتتفرج على انواع السيارات ، وكانت تسمح لنفسها بعض ايام الاحاد ان تجلس وراء مقود السيارات الصغيرة الرياضية .

ولكنها ذلك اليوم ، كانت تقصدني انا ، فقد وجدتها تقف امامي ، ثم فتحت فمها في غضب قائلة :

ــ لا تكن حقيرا الى هذا الحد ، ان عليك ان تحترم بنات العائلات ، وتحد من نظراتك الفاجرة .. خصوصا وأنت قذر .. قذر !

ولم تنتظر مني جوابا ، فقد عادت الى البيت تحجل على الكعبين العاليين ، وبقيت ابحث من جديد عن الانسان القذر .

وهكذا اغرقت في الفلسفة مرة اخرى ، لا انتهي من صمتي وكآبتي ، ولم اعد اختلس النظر الى الجسم الصغير ، بل كنت اكتفي بسماع « طرطقات » حذائها العالي .

هل انا قذر حقا ؟ ان المرآة تشهد انني اجمل من كل رهط اصدقائها ، واكثر فتوة ونضجا ، وكثيرا ما كانت الفتيات الصغيرات يحدقن في عيني طويلا ، حيث يمتزج في اعماقها بريق اكثر من عشرين سنة ، وسحابة حزن كثيفة لانسان صغير مات ابوه وهو يتمنى له حياة احسن ، وانني لاسخر من حياة ابي ، فقد كانت شيئا بائسا .

هل انا قذر .. ؟

نعم ، فان زيت السيارات الاسود يملأ يدي وثيابي ... ولكنها كانت تعني قذارة اخرى فيما اظن . انها على كل حال اكثر قذارة ...

كان بيتي الصغير الكئيب في المعمل ، يضم انبوبا صغيرا للماء ، وفراشا ، وشهادة ابتدائية عربية ملقاة في اهمال ، بعد ان كانت نتيجتها ذات يوم : « لا يوجد عمل ما » .

كان الماء البارد ينصب على يدي المتسخة صباح يوم احد ، عند ما سمعت طرقا على باب « الزنك » الخارجي ... وفتحت لها الباب ، فقد كنت اعرف انها هي ، وعند ما اردت ان اعود الى البيت الكئيب ، سمعتها تقول :

– ارني سيارات « السبور » التي جاءت امس ... وفي صمت ، اخذتها داخل « المخزن » ، متخطين قطع الحديد هنا وهناك .

وعندما وقفت بجانبها صامتا ، استطعت ان المح بريق عينيها وهي ترى السيارة الصغيرة ، انها مجنونة بهذه السيارات ، ومنذ سنتين صدمت حائط متجر باحدى هذه السيارات الصغيرة .

كان انبوب الماء يقطع الصمت الكئيب ، وكان جسمها البض يبعث الحرارة في مخزن الحديد البارد .. وكانت تريد ان تخرج السيارة الجديدة باي ثمن ... اي ثمن ، وعند ما ابتسمت لي ، كانت رائحة الزيت الاسود في ثيابي تكاد تخنقني ... واقتربت مني في حركة حاولت ان تجعلها طبيعية .. ثم .. ثم قفز فار صغير وسط الحديد ، والتصقت بي مذعورة وهي تهمس :

– هل رايت .. فار .. ؟

وكانت يدي القذرة قد احاطت بجسدها ..

واخذت انا ملها تعبث بالشعيرات السوداء على ساعدي ، وانا الهث .. الهث ، واضمها في عنف ، وهي مستسلمة ، عيناها المتوهجتان ترقبان سيارة « السبور » الصغيرة ، وجسمها بين يدي ...

وعندما ابعدتها ، اطلقت آهة خافتة ، وظل فمها منفرجا بعض الوقت ، ثم قالت :

– مالك .. ؟

– آسف ، لقد تركت يدي بقعة سوداء في فستانك .. انني ..

وقاطعتني :

– لا يهم ذلك ، ان البقعة السوداء يمكن ان تزول .

ولكنني كنت قد اخذت طريقي الى البيت الكئيب ، حيث يتدفق الماء من الانبوب الصغير ، وابعدت عينيها عن السيارة المجنحة لتصيح بي :

– ايها القذر ، ارايت ما فعلت ، الم تحترم ابنة صاحب النعمة عليك ! ساخبر ابي ساخبره حالا ...

لقد كنت قذرا ، وكنت اعرف امراة العزيز التاريخية ، ودخلت الى البيت لاجمع متاعي الحقير ، مبتعدا عن الاقذار . !





نقد وتعليق

بقلم الأستاذ رضالله ابراهيم الالغي

اما وانه لا مفر من تلبية رغبة رئيس تحرير مجلة « دعوة الحق » في التعليق على الشعر المنشور في ديوان المجلة بالعدد الماضي ـ فانما قبل كل شيء في حاجة الى القاء نظرة عامة يدخل في نطاقها : اولا هذا المنهج الذي سارت عليه المجلة في تقديم الشعراء ونقد انتاجهم .. ثانيا نوع الطائفة المعروضة علينا .. ثالثا الميزان الذي يجب ان نحتكم اليه عند التحدث على هؤلاء ..

*

فنقول ان « دعوة الحق » جعلت من جملة اهدافها العناية بشؤون الثقافة والفكر بالاضافة الى رسالتها الاولى المنصبة على الدراسات الاسلامية واصلاح المجتمع بصفة عامة .. ولا شك ان الشعراء يلعبون دورا هاما في المجتمع من حيث التوجيه والتثقيف .. فاذا فسحت لهم المجلة ميدانا من ميادينها واهتمت بانتاجهم تنشره وتنقده فانها سارت على خطتها المرسومة .. ومع ذلك ارى انه ليس من الانسب فتح باب دعوة الحق على مصراعيه لكل من هب ودب ولكل انتاج كيفما كان موضوعه ولو انه لا يمت الى رسالة المجلة بسبب .. فاقترح ان يفحص هذا الانتاج فحصا دقيقا ـ علميا وادبيا ـ قبل ان يرمي به الى لهاة المطبعة .. اذ ان هذا الفحص خليق بتحقيق غرضين : بقاء المجلة في مستواها العالي .. وفي نفس الوقت يحفز همم الفئة الناشئة لتجود انتاجها وتنقح اساليبها وتخلق فنا خاليا من لغط القول وسقط الكلام .. حتى اذا ما عرض على محك البحث والنقد خرجت عصارته صافية قليلة النفاية .. اقول هذا وانا اتتبع بكل اهتمام ما تنشره المجلة من الانتاج الادبي ومن تعرض النقاد له اما بالتجويد او التزييف فكنت الاحظ عند البعض طابع السرعة وعند البعض الآخر حالة الاكتفاء بما حضر.. وتكرر هذا مرارا .. مما ادى بمعظم المنتجين الى البقاء في وضعهم العادي .. وبجل النقاد الى المسالمة والمجاملة .. وانا بدوري ـ بحكم هذه السنة المتبعة ـ سائر على نفس المنوال بالقدر المحمود ..

وطائفة الشعراء التي نحن بصددها اليوم تقوم لي عذرا عندما اقرر ان اسير على نفس الطريقة التي ذكرت .. لان من حسن الحظ ان كل واحد من الثلاثة ضرب بسهم وافر في مضمار الاجادة بل ان منهم من لا يشق له غبار .. فكانت مسالمتهم لا تدخل في باب المجاملة بل انها من باب الاعجاب والاكبار .. وبالصدفة جاءوا على الترتيب المعهود في حلبة السباق المجلي والمصلي والتالي ..

واما المدرسة التي ينتمي اليها اصحابنا محمد بن ابراهيم ، عبد القادر حسن ، علي الصقلي ، فهي المدرسة المغربية الاصلية (كما غدت تسمى اليوم) التي تغذت اولا بالآداب العربية القديمة ثم تناولت بمقدار من الآداب الحديثة .. وهي بهذا الاعتبار طائفة مخضرمة جمعت بين العهدين او بين الحسنيين.. مع اعتبار فارق السن الملحوظ بينهم الذي ينتج عنه حتما تفاوت في التأثر بالقديم والحديث ..

لذلك لم نجد انفسنا مضطرين لاقامة موازين مختلفة نعرض عليها بالقسطاس انتاج الثلاثة ... فلا حاجة بنا الى اتخاذ مقاييس غربية واخرى شرقية .. وكذلك لا داعي الى استعراض المدارس الحديثة في الشعر من واقعية ، ورمزية ، وذاتية ، وايمائية .. الى آخره .. كما انه لا موجب للخوض في عناصر الشعر الحديث ولا في قوالبه التي اخذت تتفشى وكان اصحابنا الثلاثة بمنجاة منها الا بمقدار ..

وانما المقياس الصحيح الذي يجب ان نراعيه في الحكم على ما بين ايدينا من انتاج الثلاثة هو هذا الخط المشترك بينهم — وبيننا — من الثقافة الاصلية ومن الثقافة الحديثة .. وبصفة خاصة ما اجمع عليه النقاد من سلامة الاداء وطرافة الموضوع مضافا اليهما ارضاء الذوق السليم .. وقد اسقطنا من حسابنا المؤاخذة على الهنات الطفيفة وعلى الوقوع في الشاذ الذي لا يخل بالفصاحة تمشيا مع النقد الحديث الذي اصبح يسلك مسلك الاغضاء عن بثور قالوا عنها انها لاتفسد الجمال..

*

وبعد هذه الفذلكة نأخذ في القصيدة الاولى « حنين الى مصر » للمرحوم محمد بن ابراهيم شاعر الحمراء.. اقول قصيدة حسب المتعارف حيث انها من ستة عشر بيتا .. والا فهي اشبه بنفثة ، او نتفة ، او قطعة .. والمعروف عن ابن ابراهيم انه قلما يطيل النفس او يستنزف حروف الروي .. فكثيرا ما تتنازعه عوامل تعوقه عن اتمام ما بدأ او انجاز امر ذي بال .. ولولا ان الشعر غريزة فيه لم يكن يكلفه اعدادا او تهيئة لكان من الصعب عليه ان يتفرغ لانجاز موضوع ادبي يذكر .. فكانت بديهته مادته الوحيدة ومعينه الذي لا ينضب .. ومن ثم جاءت قصائده في جلها مقطعات تنظم وتنشد في مجلس واحد ، ثم عليها العفاء ان لم يتداركها بعض الحاضرين او السامعين بالحفظ والتقييد ... واما الشاعر فانه لا يحتفظ منها الا بقصاصة ورق سرعان ما تضيع منه .. وفي معظم الاحيان تسعفه ذاكرته فيتذكر وينشد للاصحاب ..

وهذه القطعة التي يحن فيها الى مصر .. والتي تفضل السيد محمد علي الجوهري فبعث بها لمجلة « دعوة الحق » فنشرتها ودعتنا الى التعليق عليها — لا ندري متى نظمها الشاعر ، ولا اين ، ولا كيف ، ويا حبذا لو كان ذلك السيد المتفضل تكرم ايضا بما عنده من علم عن ظروفها (او على الاقل عن مصدرها الذي نقل عنه ليحصل الاطمئنان الى صحة العزو ..) والذي نحرزه نحن ونستجليه من ظاهر اللفظ ان الشاعر نظمها وهو راحل عن مصر — ولا يمنع من ذلك قوله « احن الى مصر » — بدليل قوله فيها :

لي الله يا مصر العزيزة عندما
افارق مصرا تارك القلب في مصر

وهي حسب الفكرة ثلاثة مقاطع رسم فيها احاسيسه — او ارتساماته كما يقولون اليوم — نحو مصر وهو يودعها .. جاء في المقطع الاول :

احن الى مصر وما انا من مصر
ولكن طير القلب اعرف بالوكر

فلولا هواها عاصف بحشاشتي
لما كنت في قطر واصبحت في قطر

انها لمحة خيالية خاطفة من الشاعر ، ان يجعل قلبه طيرا يهتدي بالسمت الى وكر اجداده بمصر كما تفعل الطيور الوافدة في حركاتها الدورية .. وكم لابن ابراهيم من هذه الوثبات الخيالية اللامعة .. ولكننا نأخذ عليه التعبير بلفظ « احن الى مصر » وهو منها في موقف الوداع حسب المقطع الثالث .. واللغة تقول حن الى الشيء اشتاق .. وعادة لا يكون الشوق والحنين الا قبل الورود كقول شاعر قديم :

احن الى نجد ومن حل في نجد
وماذا الذي يغني حنيني او يجدي

اللهم الا اذا زعمنا ان شاعرنا لم يشعر بورود مصر ولم يشتف ما به من غلة الشوق ولهفة الحنين مما جعله يزداد هياما والتياعا على قول الآخر :

لم يزدني الورد الا عطشا .

او قول مهيار في بيتيه المشهورين :

ومن عجب اني احن اليهم
واسأل شوقا عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم بسوادها
ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي

وفى المقطع الثاني نرى الشاعر يكيل الثناء لمصر فى خمسة ابيات :

بلاد كما شاعت سعادة اهلها
وأرض تجر الذيل فى الحلل الخضر

بلاد بها الاسلام يرفع راسه
وقد عقدت من فوقه راية النصر

الى آخر الابيات .. وهو ثناء مكرور معتاد .. يصح فى حق كثير من الاقطار .. اذ لا يخفى ان النعوت بالمجد والنصر والسماحة والبشر وهز الاقلام فى الطروس .. الواردة فى الابيات .. اوصاف مشتركة لا تكفي فى اظهار عظمة مصر الخالدة وفى ابراز شاعرية ابن ابراهيم .. لذلك كان هذا المقطع ساكنا هادئا فى القطعة لا حرارة فيه ولا شعور

وفى المقطع الثالث وقف الشاعر يودع مصر :

لي الله يا مصر العزيزة عندما
افارق مصرا تارك القلب فى مصر

اذا ما رايت النيل يجري حسبته
بدمعي على قرب الفراق لها يجري

وان وقعت عيني على هرم لها
أحسبه طود الهم يرسو على صدري

لي الله يا مصر العزيزة عندما
اكفكف دمعي والقطار بنا يجري

كاني به تغلي مراجل قلبه
حنوقا وما منه الحنوق على غيري

الى آخر القطعة .. التي نحس بعض الدفء يسري فى أوصالها وبعض الشعور يلمح من خلالها .. فيعجبنا من الشاعر ان يترك طير قلبه فى ذلك الوكر .. ونقبل منه على مضض ان يحسب ماء النيل دموعا تجري لفراقه .. ولكن الذي لا نستطيع ان نقبله منه بحال هو ان يجعلنا نحس معه بهرمي مصر يجثمان على صدورنا ..انه والله ثقل تنوء به الجبال ، فكيف بالاجسام .. ولقد ذكرني هذا التشبيه الثقيل على الروح قبل ان يثقل على الجسم بما انشده ابن سيد الاشبيلي الملقب باللص للخليفة عبد المومن على جبل الفتح (جبل طارق) اذ قال :

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل
وانظر الى الجبل الراسي على جبل

فاسكته عبد المومن وقال له لقد أثقلتنا يا رجل .. !
وما أدرى ما يكون حظ ابن ابراهيم لو أنشد قوله لنقاد بصير مثل عبد المؤمن .. وما اظن ان الاسكات يكفي معه..
وعلى سبيل ذكر المفارقات يحضرني قول ابي الصلت الاندلسي فى الهرمين :

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا
على ما رات عيناك من هرمي مصر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا
كانهما نهدان قاما على صدر

فان هذا الاندلسي الظريف لم يجعل الهرمين طودين من الهم يجثمان على صدورنا .. وانما نهدين خفيفين ناعمين يترقرقان علىصدر فتاة .. :

ولنا مأخذ آخر على شاعر الحمراء حيث قال عن القطار ان مراجل قلبه تغلي حنوقا عليه .. وما هو هذا الحنوق .. ان اللغة لا تعرفه وانما تعرف الحنق بالتحريك ومعناه الغيظ الشديد .. فما الذي حمل القطار على ان تغلي مراجله غيظا وحنقا على الشاعر ، هل القطار شرطي من شرطة الاستعمار الانكليزي اختطف حرا من احرار الوطنية واسرع يقذف به وراء الحدود .. ونحن لا نعلم ان احدا أزعج شاعرنا وارغمه على فراق مصر ..

والخلاصة ان القطعة فى مجموعها لا تصور موقفا معينا ولا حالة نفسية واضحة أحسن تصوير ، وانما هي خواطر وارتسامات ينقصها الشيء الكثير من السبك والربط حتى تتناسب مع شاعرية ابن ابراهيم الفياضة ..

*

وهيا بنا الى القصيدة « قد زاغت الابصار » التي نظمها الشاعر عبد القادر حسن فى 66 بيتا وهو بمنفاه السحيق يوم زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ..

يوم نفي جلالة الملك .. توجه فيها الى الله الواحد القهار متوسلا اليه برسوله .. فى اسلوب صوفي مؤثر..

وشعر المنافي جدير بالدرس والتعليق .. فهو يمثل فى حياة الامم الثائرة دورا هاما من ادوار كفاحها ونضالها .. كما انه يسجل حياة الاحرار ، ويصور حالة المعذبين النفسية .. من وراء القضبان .. وفى المعتقلات .. فهذه قصائد ابي فراس من بلاد الروم ، وقصائد البارودي من سيلان ،وقصائد علال من الكابون ، وقصائد المختار من الغ ومن اغبالوا نكردوس.. كلها قصائد حية تفيض بالامال ، وتجيش بالحمية والشكوى ، وتصور الثورتين النفسية والشعبية كما تصور ذلك العالم المظلم .. عالم القيود والسدود ..

ولا شك ان لعبد القادر حسن قصائد من هذا القبيل وهو الوطني المجاهد طالما تخطفته المنافي والسجون ولا متنفس له الا اشعاره يودعها افكاره ، ويدفن فيها آهاته ، ويناجيها بآماله وآلامه .. وهو اليوم ينشر منها ما ينشر ، ويطوي ما يطوي الى حين ضمن ديوانه الكبير الذي لم ير بعد انوار « الفجر » مثل ما رآها ديوانه الصغير ..

واذا نظرنا الى قصيدته « قد زاغت الابصار » وجدناها بين شعر المنافي والسجون صلاة حارة توجه فيها الى الله ورسوله مسترحما ومستعطفا .. ارسلها فى خشوع المومن الصادق ، وفى تضرع المذنب التائب الواقف فى باب مولاه :

فلج المقام اذن بحب صادق
وانبذ ضباب الشك خلف الدار

واجعل سبيلك للوصال تذللا
حتى تسام بذلة وصغار

ويتوسل بالرسول الاكرم قائلا :

يا ساقي الخلد اسقني من كوثر
ماء الحياة مطلق الانوار

كاسا رحيقا لا يفيض معينها
حتى اميد بحبكم بخمار

ثم يتوجه بطلب النجدة لامته :

يا سر هذا الكون يا نور الدجى
ياعلة الاثمار والازهار

ارجو وارجو لا حدود لمطلبي
وحماك اوسع ما يؤم الساري

اما رجا نفسي فقد ابلغته
ولانت اعلم ما يكن قراري

اما لامتي المباح عرينها
فمناي ان تحظى بكم بجوار

فقد استباح المجرمون بحقها
فاستبدلوا الدرهام بالدينار

وابى الا ان يستشفع بالرسول :

امحمد ولانت خير مشفع
فى حضرة الله الحليم الباري

قد زاغت الابصار مما قد رات
مع مفجع البلوى (كذا) والاستكبار

هبها كيثرب يوم جد حصارها
وبذاك تبني حولها بدار

او انها بدر وانت مبشر
بالنصر للاصحاب والانصار

ولا نريد ان نزيد شيئا على مجرد الانشاد لبعض ابيات القصيدة اذ هو وحده كاف باشعارنا بانها اشبه ما تكون بالاناشيد الدينية والتراتيل الوجدانية عند الطوائف المتصوفة .. ولها مثال فى توسلات ابن عربي والبصيري وابن الفارض وشوقي وغيرهم .. وننصرف عما فيها من المآخذ حتى لا نفسد على اخينا عبد القادر صلاته وتسبيحه .. ونكتفي بان نتمثل معه بقول ابي حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها
عشية آرام الكناس رميم

الا رب يوم لو رمتني رميتهـــا
ولكن عهدي بالنضـــال قديـــــم

*

واخيرا نقف على « نـــداء » للشاعر الشاب علي الصقلي .. اني قرأتها مرارا واحس كل مرة بشبابـــه الفني يتموج خلال ابياته .. وبروحه الخفيفة تهيـــم بالحسن وتتطاير حول الجمال كفراشة تحوم حـــول الازهار ..

وخرجت بنتيجة وهي ان رباعيات الصقلي الثلاث توشك ان تكون وحدة متماسكة وصورة فنية مكتملة لعاشقين آوتهما ربوة في حضنها ذات مساء .. وهو يجثو بين يديها ممسكا بقلبه .. وهي ترنو اليه باسمة مستبشرة :

علـى موعـد مـع ركـب المســاء
وفي حضـــن رابيـــة شاعـــرة

وبين يـدي حسنهـــا القدســـي
واطياف ذاك الصبـا الساحـــرة

جثا ممسكـــا قلبـــه عائـــذا
بها من جوى نفســـه الفائـــرة

ورانــت علـــى ثغرها بسمـــة
تبشـــر بالرحمـــة الغابـــرة

وتقاربا ، فالقت راسها على صدره .. وذهب يشم اعطافها ، ويتنسم انفاسها ، ويوسدها على كفــه .. فتبدو له عروسا كالماسة وهاجة .. لم يملك نفســه ان استجاب لنداء الشفتين :

والقت علـــى صـــدره راسهـــا
وقد رشح العطـــر مـــن راسهـــا

فاثمالـــه نشـــر اعطافهـــا
والهبـــه حر انفاسهـــا

ووسدهـــا كفـــه فبـــدت
عروســـا تألـــق في ماسهـــا

وهاج لظـاه نـــداء الشفـــاه
يلـــح فهـــب الـى كاسهـــا

وبينما هما كذلك .. يعبان من كاس الحيـــاة ، وينهلان من خمر مشعشعة ، وهي تطوي جيده موثقا بيدها .. اذا بالوجود حولهما يغفي على قبلة طوت في لحاف الهوى عاشقين :

وبينـــا هـــوى بفـم ظامـــىء
يعـــب الحيـــاة مـــن الشفتيـــن

وينهـــل خمـــرا مشعشعـــة
يعاقـــر في وردهـــا كـوثريـــن

طوت جيده بيديهـــا ، تـــرى
تهيـم بـــه موثقـــا بيديـــن

واغفـى الوجـود علـــى قبلـــة
طوت في لحاف الهوى عاشقيـــن

هذه هي رباعيات الصقلي بكاملها لم أستطـــع أن اسقط منها شيئا كما فعلت في اللواتي قبله ، لان كل بيت يمسك بالذي يليه لا يقبل معه الفكاك ... وهذه هي الوحدة الفنية العزيزة المنال والقليلة الوجود عند شعرائنا في القديم والحديث ، حتى ان كثرة النقاد كانوا يقيمون لها وزنا ، بل ان بعضهم يرى الانفكاك وعدم التساوق اولى واحلى .. ولكن الواقع ان التآخـــي والتلاحـــم في اجـــزاء القصيـــدة يجعـل بيـــن ابياتهـــا نسبـــا وصلـــة روحيـــة معنويـــة اقوى من صلات الضمائر وصلات الموصولات، نرى ذلك يتجلى في شعر ابن الرومي وشعر ابي نواس مـــن الاقدمين .. كما يتجلى اليوم بكثرة عند شعراء العصر ولا سيما عمر ابو ريشة وايليا ابو ماضي ..

فدلت هذه القطعة ، او السونيت » التي وفق فيها الشاعر الصقلي على ان في اغواره شاعرية كامنة تحتاج الى افساح المجال لها وعدى مضايقتها بالنقد المدرسي التعليمي .. لذلك نمر على ما فيها من الهنات مر الكرام ..

الأبحاث والمقالات

نقد وتعليق

بقلم الأستاذ عبد الكريم غلاب

حظ العدد الماضي من الابحاث والمقالات حظ ضئيل بالنسبة للدراسات الاسلامية على الاخص . وهي على قلتها ذات وزن فكري وثقافي اعتدنا ان نجده في انتاج كتابها الافاضل ، وهي على قلتها ايضا متنوعة متعددة الآفاق تتنقل بك بين التاريخ والادب والعلم والسياسة وتحليل الشخصية ، وتلك ميزة نحمدها للكتاب الذين استطاعت دعوة الحق ان تؤلف من انتاجهم باقة جميلة تقدمها للمثقفين في البلاد العربية يعيشون على عبق شذاها شهرا أو بعض شهر .

وقد اعدت النظر فيما قدمته المجلة من مقالات وأبحاث فارتايت ان انقل مقال الزعيم علال الفاسي عن شكيب ارسلان من باب الدراسات الاسلامية الى باب الابحاث والمقالات . فهو تحليل لجانب من شخصية احد قادة الامة العربية في ميادين الفكر والسياسة والعلم ، وهو اذن بباب الدراسات التاريخية الصق .

وميزة هذا البحث القيم انه تناول النقط الخفية في تفكير شكيب ارسلان السياسي وخاصة فيما يتصل بمستقبل المسلمين والعرب ، وميزته الكبرى ان الزعيم علال اعتمد على صلاته المتينة بالامير شكيب وعلى رسائله الخاصة واحاديثه التي تناول فيها افكاره السياسية بكامل الوضوح

والاسس التي تقوم عليها آراء شكيب ارسلان كما اوضحها الزعيم علال تتلخص فيما يلي :

1 ــ التفكير الشمولي الذي لاتقف به الحدود ولا تضيق به الاعتبارات ، فالهدف هو تحقيق الحرية والاستقلال لجميع بلاد العرب والمسلمين وتحرير الفرد والمجتمع الاسلامي العربي ومن اجل ذلك يعتبر نفسه وطنيا وقوميا واسلاميا وعالميا ، ولا يكاد يجد اي تناقض بين هذه الاعتبارات لانها تتحد في حقيقتها حينما يعمل لتحرير المواطن المسلم العربي ليكون اداة صالحة في مجتمع انساني افضل في اي ارض حل بها العرب والمسلمون

2 ــ مسلم وعثماني ، ولم يكن في اسلاميته او عثمانيته متعصبا او ضيق الافق لايعادي غير المسلمين من العرب أو من الذين يسكنون بلاد الاسلام ، ولم يكن عثمانيا الا لانه كان يرى في الجامعة الاسلامية حصنا للعرب والمسلمين من الاستعمار الغربي كما يرى فيها حماية لبلاد العرب والمسلمين من القومية الضيقة بالمعنى الغربي للقومية التي كان يبشر بها الغرب ويستخدمها كوسيلة للانقضاض على بلاد العرب والمسلمين .

3 ــ والدعامة الثالثة هي ان سياسته لم تكن تخضع لمبدا مثالي فهو يعادي الايطاليين ويحاربهم في استعمارهم لليبيا ويكف عن معاداتهم او يتقرب اليهم حينما يظهرون تفهما لمطالب العرب والمسلمين وحينما يستعمل ذلك ايضا في حربه للانجليز دفاعا عن مصر ، ولعل عدم المثالية مما يجعل عثمانيته وسيلة لا غاية .

وعلى هذه الاسس حلل الزعيم علال شخصية شكيب ارسلان السياسية ، واذا كان لي ما الاحظه فهو انه نصب نفسه محاميا قوي الحجة في الدفاع عن شكيب وعن منطقيته مع مبادئه وكنت افضل ان يكون قاضيا لا محاميا ، واكثر ما اخشاه ان يكون للتقدير الذي يكنه الزعيم علال لشكيب ارسلان اثره في تجلية النواحي المشرقة من شخصيته السياسية .

وفي مقدمة الابحاث القيمة التي اشعت في العدد الماضي «ادب الحيرة» للاستاذ عبد الكبير الفاسي . ويعني به الأدب الذي يصور فترة التقاء حضارتين احداهما غازية والاخرى مغزوة ، فحالة الحيرة والبلبلة والاضطراب التي تراود الشعوب المقهورة تنتج ادبا لايقل عنها حيرة واضطرابا وبلبلة اذا ماكان صادقا في التعبير قوي الصلة بواقع حياة الذين يعيشون بينهم وينبع من نفوسهم . والاستاذ الفاسي ينقب عن امثلة لهذا الأدب في اصطدام الحضارتين اليونانية والرومانية ، واصطدام اليونانية بالفارسية . واصطدام الحضارة الرومانية المسيحية بالحضارة

البربرية في افريقيا الشمالية كما يضرب لذلك أمثلة في الشرق والغرب العربيين . ولم تكن الفكرة الا مدخلا لدراستها عند الاديبة الايرانية آمنة بكروان والاديب الايراني صادق هدايت . ولعل قراء هذا العدد يجدون تتمة البحث بين مواده .

وكنت اود ان تنشر الدراسة بكاملها فالمجلات الشهرية حرية ان تنشر الأبحاث الكاملة ولو كانت طويلة . وكم كنت اود ايضا ان يفرغ الكاتب لدراسة مظهر الحيرة في آداب الفترات التي أشار اليها ولو خرج به ذلك عن بحث لمجلة سيارة .

والاستاذ عبد الكبير يقدم بعض امثلته بجملة : «ويغلب على الظن ..» وقد تكررت هذه الجملة وما كان ينبغي ان يدخل الظن ، وحتى الغالب منه ، في ميدان البحث العلمي وخاصة في المثال الذي يقدم لاثبات الفكرة . وهل أشير الى استعمال «تظافر» مكان تضافر أم هي غلطة الطباع ، والطباعون احيانا يتضافرون لمسخ الآثار الأدبية ...

وكان للاستاذ محمد بن تاويت حظه في باب الابحاث والمقالات فقدم بحثا قصيرا عن أصل المقامات وتطورها . وابحاث الاستاذ ابن تاويت تمتاز بالدقة العلمية والامانة الجامعية كما تمتاز بالقصد في الاداء والايجاز في التعبير

واذا كان قد استوفى البحث في اصل المقامات لغويا وادبيا فما احسبه قد استوفى البحث في تطور المقامات في الأدب العربي ، فقد تنقل في عجلة عاجلة بين الشرق العربي والاندلس العربية وبلاد المغرب وبعض كتاب المقامات لم يحظوا منه باكثر من كلمات مع أن للموضوع حظا وافرا في الكتب التي الفت عن النثر العربي وتطوره في تاريخ الأدب .

ومن اهم المقالات التي تضمنها العدد ماساة اللغة العربية في المغرب للاستاذ عبد القادر الصحراوي ومن حسن الصدف أن يصدر قبيل صدور العدد بايام مقال بنفس العنوان وفي نفس الموضوع بجريدة العلم وقد كتبه الاستاذ محمد الطاهري . والذي اوحى بالمقالين معا هو افتتاح الموسم الدراسي وتفكير الباحثين والمسؤولين في المركز الذي ستحتله اللغة العربية مع الموسم الدراسي الجديد ، والمقالان يكمل احدهما الآخر ، فاذا كان الاستاذ الصحراوي قد احاط علما بمظاهر تخلف اللغة العربية عن مكانتها في المدرسة والادارة والحديث واصفا ابرع الوصف وناقدا اعنف النقد ومناقشا ادق مناقشة واقواها منطقا ، فان الاستاذ الطاهري وسع افقه بلاد العروبة باحثا عن مكانة اللغة العربية بين اللغات الحية في التعبير السليم عن مستجدات الحضارة الحديثة ، ثم يعود الى المغرب فيناقش فكرة التعريب في المدرسة وفكرة المغربة والتعريب في الادارة ويصور في دقة مايراوده من تشاؤم في مستقبل اللغة العربية في الوقت الذي يقف فيه المغربي موقف الاختيار بين اللغة الحية التي غزت لسانه وفكره وأصبحت اداته في العمل ، وبين اللغة الميتة التي لم تكن لغته (اذا كان بربريا من هذه الكثرة الكاثرة من سكان المغرب) الا ان تكون لغة الدين والعاطفة .

والاستاذ الصحراوي وهو يعرض للمكانة التي آلت اليها لغتنا العربية في الادارة يناقش دعوى الفنية التي تجعل البعض من رجال الادارة يفضلون الفرنسية لانها لغة الفنيين

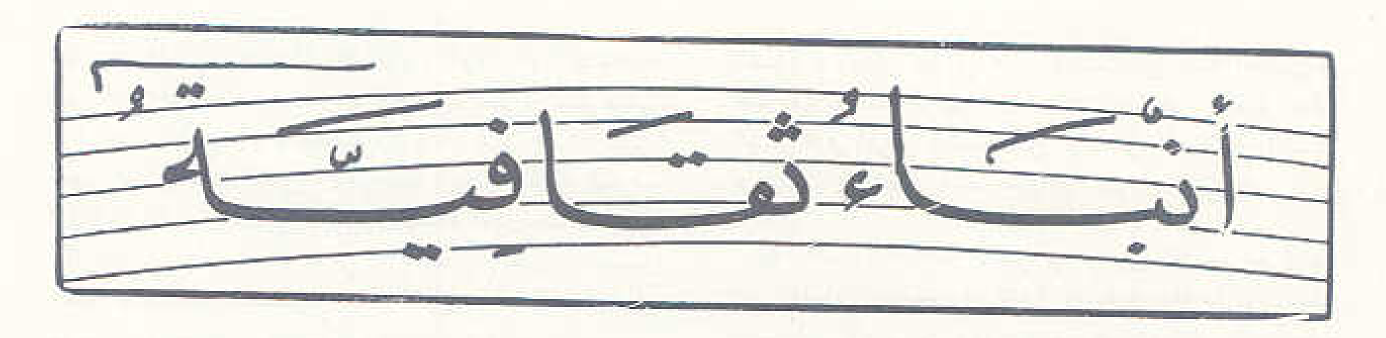
والواقع ان ماساة اللغة العربية لن تحل في الادارة او حديث الشارع ولكنها يجب ان تحل في المدرسة ، فالمتعلم الذي تلقى لغة حديثه وكتابته ولغة علومه وفنونه ومعارفه عربية سيتحدث بها ويكتبها ويدير بها ؛ اما الذي سيتلقاها فرنسية منذ بداية عهده بالتعليم فستظل على لسانه وقلمه لغة الحديث والكتابة والادارة .

والذي اريد أن تتجه اليه انظار الباحثين هو العمل الايجابي الذي يخرج بالعربية من لغة تصور ماساة في حياتنا الى لغة حية تنهض بمستوانا الفكري والفني وترضي حاجياتنا الادارية والحضارية . واذا كان الاستاذ الصحراوي لم يزد على ان كان واقعيا في وصف الماساة وتحليل مظاهرها ، والاستاذ الطاهري لم يزد بعد وصف الماساة على اقتراح الاخذ بطريقة الاستاذ الاخضر في كتابة العربية المشكولة وبضعة حقائق عن تطور كتابة اللغة وعملها في الاداء والتعبير ، فان الماساة في حاجة الى مناقشة طرق العلاج ، وما طرق العلاج الا الوسائل الفعالة الايجابية التي تنقذ العربية في المغرب من محنتها حتى تاخذ مكانتها في المدرسة والادارة والفكر واللسان .

واعتقد ان مسؤولية المفكرين لاتقل عن مسؤولية الرسميين فهم مدعوون للادلاء بآرائهم ووضع الحلول الدقيقة العملية لجعل اللغة العربية لغتنا حقيقة لا نظريا أو عاطفيا . ولعل المجلس الأعلى للتعليم الذي الف حديثا ـ ولو بصورته المهلهلة ـ يستطيع ان يتبنى هذه المشكلة ويستفيد فى حلها بنظريات المهتمين بالموضوع مواطنين واجانب على السواء . ولعل مقال الاستاذ الصحراوي يثير المشكلة من جانبها الواقعي العملي في نفوس المهتمين بمصير اللغة العربية فيكتبون لهذه المجلة بآرائهم ونظرياتهم .

وفي العدد تقرير واف عن التعليم في الولايات المتحدة الامريكية هو نتيجة رحلة قام بها الاستاذ محي الدين المشرفي لهذه البلاد . والبحث واف جدا في تصوير اهداف التعليم والفروق الجوهرية بين التعليم فى العالم الجديد الذي يسعى الى كسب العيش والتعليم فى العالم الاوروبي الذي يخلص الى منابع الحضارات القديمة فى العالم القديم كما يخلص الى الفكر والعاطفة والروح . وقد وصف الاستاذ المشرفي التعليم بدقة ولا يغني التنويه بهذا التقرير عن مطالعته ، ولا مجال فيه للراي فهو وصف واقعي يفيد المهتمين بشؤون التعليم وبالدراسات المقارنة في هذا الباب .

وينتهي هذا الاستعراض بالمقال الحي «من يدري» للاستاذ محمد الصباغ وهو تعليق شاعري لطيف على ابيات للشاعر الفيتنامي «نجوين دو» واجمل ما في كتابات الاستاذ الصباغ اسلوبها الشاعري العاطفي الذي يهدف الى انتقاء الكلمة والجملة والفقرة كما يحلق بخياله في آفاق غير محدودة ولو تناول موضوعات محدودة الافق . ومقال الصباغ في دعوة الحق دائما كالواحة الظليلة ترتاح اليها النفس ويهفو اليها الحس بعد العودة من هذا المصطرع الهائل بين الابحاث والدراسات والنظريات التي تؤلف دعوة الحق بينها وتقدمها هدية لقرائها والمثقفين من ابناء الامة العربية .



* صدر عن ادارة التشريفات الملكية والاوسمة في اوائل اكتوبر المنصرم البلاغ التالي :

ينهي مدير التشريفات الملكية الى علم القـراء والكتاب بان المباراة الادبية التي تجري عادة بمناسبة عيد العرش السعيد تقرر ان تكون على الشكل الاتي : تختص القصائد الشعرية بموضوع عيد العـرش والجالس عليه كما كانت من قبل ، بينما يشمل الانتاج النثري سائر البحوث التي تمس المسائل المغربية من ادب وتاريخ وعلم تشجيعا للباحثين المغاربة على تناول مثل هذه المواضيع . وستعرض هذه البحوث والقصائد كالعادة على لجنة مختصة تتولى التحكيم في شأنها ، وينال الفائزون جوائز ملكية كالعادة . فالمرجو من السادة الذين سيساهمون في هذه المباراة ان يبعثـوا بثلاث نسخ من انتاجهم الى مدير التشريفات الملكيـة بالقصر الملكي قبل فاتح نوفمبر . حقق الله آمال صاحب الجلالة في هذا الشعب الذي يدين له بالفضل العظيم .

* عاد من ايطاليا الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الرباط ومحافظ القسم العربي بالخزانة العامة المكلف بالبحث عـن نـوادر المخطوطات العربية ، بعدما قضى في ايطاليا حـوالي اربعين يوما ضيفا على الحكومة الايطالية وقف خلالها على غالب المخطوطات العربية في روما وميلانو والبندقية وبولونيا وفلورانسا ونابولي ، وصور للخزانة العامة بالرباط بعض مالفت نظره من مخطوطاتها ، كما لفت نظره كثرة الوثائق التاريخية المغربية الموجودة بايطاليا والتى هي في حاجة اكيدة الى الجمع والنشر ، وتعرف بكثير من المستعربين الايطاليين الذين يرجى ان تتهيأ الفرصة ليتعرف اليهم الجمهور المثقف بالمغرب مثلما يعرفهم الجمهور المثقف بالشرق العربي .

* عقدت بكلية العلوم بالرباط ندوة بيداجوجية حضرها اساتذة التعليم الاصلي تحت رآسة مدير التعليم العالي السيد عبد العزيز بنعبد الله

وقد دشن الندوه معالي الوزير بكلمة توجيهية ثم استمرت في عقد جلساتها من يوم الخميس 24 سبتمبر الى 29 سبتمبر حيث استمع المنتدون لمحاضرات بيداجوجية وشاهدوا افلاما علمية وجامعية مختلفة ولما اتمت الندوة اشغالها تفضل جلالة الملك فاقتبل المنتدبين وزودهم بنصائحه الخالدة ، كما اقام معالي وزير التهذيب الوطني حفلة شيقة على شـرفهـم .

* صدر بالجريدة الرسمية للدولة المغربية بتاريخ 11 شتمبر 1959 تحت رقم 259216 قرار باحداث المدرسة التطبيقية للطب بالدار البيضاء ، كما صدر قرار بنفس التاريخ تحت رقم 259953 يقضي باحداث لجنة عليـا للطفولة المهملة والتربية المحروسة .

* نشرت جريدة « الجمهورية » القاهرية في عددها الصادر بتاريخ 10 شتنبر الماضي مقالا مطولا بعنوان « في الدار البيضاء ، قاد المسرح الثورة ضد النظـم الاستعمارية » لمراسلها السيد اسعد حسني الذي كـان بالمغرب اثناء انعقاد الدورة الثانية والثلاثين للجامعة العربية بالدار البيضاء تحدث فيه عن الفن المغربي الذي ساند الحركة الوطنية في المغرب ، ذاكرا انه كان من اعظم الركائز التي دعمت الكفاح من اجل التحريـر ، حيث ان الفنانين المغاربة جعلوا لفنونهم هدفا لتقويض دعائم الاستعمار الفرنسي بأغانيهم الحماسية التي كانت تلهب الجوارح والمشاعر ، كما تحدث عن الفرق الكشافة التي تحولت الى فرق مسرحية غايتها التنديد بنيـر الاستعمار، وتحطيم قواه بما كانت تقدمه من مسرحيات وطنية قومية ، كما مر الكاتب في هذا الحديث بالمنشآت الوطنية التي تأسست في شمال المغرب ، فتحـدث باسهاب واطراء عن « المعهد الحر » الذي أسسه الاستاذ عبد الخالق الطريس بتطوان قائلا : « وكان له الفضل الاكبر في اشاعة الوعي ، وفي تنمية الحركة الثقافيـة والادبية ، وفي الحفاظ على اللغة العربية » واطـال في

حديثه عن المسرحيات ذات الاهداف الوطنية والاجتماعية التي كان «المعهد الحر» يقدمها للجمهور المغربي كمسرحيتي « ضحية الطمع » و « فاطمة » ، وقد ختم حديثه عن بعض المسرحيات المغربية ومؤلفيها ، وعن فنانات المغرب وفنانيه ، فتحدث عن المطربة « بهيجة الادريسي » والراقصة « نعيمة الشرقي » والممثل الهزلي البشير العلج » والممثل الشاعر محمد القري والممثلة « ليلى مريدة » والمطربة « فاطمة الشهادي » ، وأثنى على مجهودات الاذاعة الوطنية وفرقها التمثيلية والغنائية .

※ في مسابقة اجرتها الاذاعة الوطنية بالرباط بين بعض موظفيها لاختيار ثلاثة موظفين من بينهم ليقوموا بزيارة الى الجمهورية العربية المتحدة للتدريب الاذاعي فاز في هذه المسابقة السادة : محمد العربي المساري من قسم الانتاج ، ومحمد المجدولي من المذيعين ، ومحمد بناني من قسم الاخبار ، وسافر الفائزون الى القاهرة للتدريب في اذاعتها لمدة شهرين ابتداء من 3 اكتوبر الماضي الى 3 دجمبر .

※ اصدر شباب الجالية اللبنانية في غانا نشرة بعنوان « العربي الجديد » ردوا فيها على مفتريات اسرائيل ونشاطها هناك .

※ « أضواء على الصومال » اسم كتاب للسيد عبد الصبور مرزوق عضو البعثة التعليمية العربية في الصومال يشرح فيه تاريخ الصومال ، ويلقي الاضواء على الفترة السياسية الحرجة التي يجتازها هذا القطر .

※ ترجم الى العربية الاستاذ محمد النجاري المجموعة القصصية « في المقهى » للكاتب الجزائري محمد ديب .

※ صدرت في ليبيا مجلة « المنار » وتشرف على اصدارها اللجنة الثقافية لكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ويديرها الدكتور محمود السمران .

※ صدر للشاعر السوداني توفيق صالح جبريل ديوان جديد بعنوان « افق وشفق »

※ ابتكر مركز التربية الاساسية للعالم العربي في سرس الليان في الاقليم المصري وسيلة ناجحة تقوم بوظيفة الفيلم الثابت وتجمع الصورة والكلمة في صيغة تربوية فعالة مباشرة . فقد اعد المركز دراسة مصورة كاملة عن التغذية تقع في مصورات ولوحات وكتاب كبير للصور ، ويمكن عرض هذه جميعا على طلبة الفصل في اطار من قوائم أمامهم . وقد اشرف على تحقيق هذه الوسيلة في المركز وغيرها من الوسائل البصرية الاستاذ برندتسون الخبير السويدي في شؤون التربية .

※ اشترك الكاتب المسرحي توفيق الحكيم مع اربعة من العلماء الدوليين في ندوة فلسفية عقدت بولاية متشجان الاميركية وموضوعها هو «وضع الدراسات الانسانية في عالم سريع التطور نحو التحضر والخضوع للقوى التكنلوجية» واستغرقت هذه الندوة يومين ضمن الدورة الخامسة الجمعية العامة للمجلس الدولي للفلسفة والدراسات الانسانية التي عقدت فيما بين 18 و 29 شتمبر الماضي ، واشترك في هذه الندوة ستون عالما من مختلف انحاء العالم .

※ تقرر في ج . ع . م . عقد ندوة دولية في كل سنة يستدعى اليها كبار رجال الفكر في العالم وذلك تحت اشراف المجلس الاعلى للفنون والآداب .

※ يبحث الخبراء في الاقليم المصري واليونيسكو في هذه الايام في صيانة آثار النوبة من الغرق عند تنفيذ مشروع السد العالي . واهم هذه الآثار معبد ابي سنبل الكبير والصغير .

※ ظهر في القاهرة للكاتب الراحل سلامة موسى كتابان جديدان هما « حرية الفكر » و « مشاعل على الطريق للشباب » بمناسبة ذكراه الاولى لوفاته .

※ القى الاستاذ العقاد سلسلة من المحاضرات في الازهر تتضمن تفنيد مزاعم المستشرقين التي اخذوها على الاسلام .

※ تباشر وزارة التعليم بالجمهورية العربية المتحدة طبع معجم كبير للالفاظ العامية المصرية للعلامة احمد تيمور .

※ « المعجم اللغوي الوسيط » يصدره قريبا المجمع اللغوي بالقاهرة .

※ ما زال المجمع اللغوي بالقاهرة يجتمع حول مشروع اختصار حروف الكتابة العربية .

※ سيعقد في القاهرة مؤتمر للفنون الشعبية في ج . ع . م . في ابريل من السنة القادمة يمثل تقاليد الافراح في الاقليمين .

* اصدر السيد كمال الدين رفعت وزير الدولة ووزير الاوقاف قرارا بتحويل عشرة آلاف جنيه الى سفارة ج . ع . م . في بيروت مساهمة من الوزارة في بناء جامعة مصرية في لبنان .

* ذكرت جريدة « الاهرام » ان جميع المساجد في مدن وقرى ج . ع . م . قد تحول قريبا الى مراكز اجتماعية ، وذلك اذا ما كللت التجربة بالنجاح في مسجدين من مساجد القاهرة . ومن الجدير بالذكر ان المشاريع المسطرة من طرف وزارة الشؤون الدينية تقضي باحداث مجلس في كل مسجد يكون مسؤولا عن توزيع الاعانات والمصالح الاجتماعية .

* تالفت لجنة بوزارة الثقافة للجمهورية العربية المتحدة لبحث وسائل تشجيع الادباء الناشئين ، وتكوين مكتبة ثقافية عربية تيسر للمثقفين الاتصال بالاحوال الثقافية العربية والعالمية . ومن الاقتراحات التي درست لتشجيع الناشئين : نشر انتاجهم بمكافآت توجيه مؤسسة دعم السينما لاختيار قصص الادباء الناشئين لموضوعات الافلام . توجيه الفرق المسرحية للاعمال المسرحية الجيدة من انتاج هؤلاء الادباء .

ترجم الاستاذ طلعت السمري مجموعة قصص بلغارية رومانتيكية وقدمها بفكرة عن الآداب البلغاري وعلاقته بالآداب الغربية .

* نقل الى العربية السيد عبد السلام شحاتة كتاب « في يوم .. في شهر .. » لفرانسواز ساغان

* بدا العمل في القاهرة بنقل رواية «سارة» للعقاد الى السينما .

* « الاسلام لا يجوز الصلح مع اسرائيل » ، كتاب وطني ظهر في الشهر الماضي في الاقليم المصري للاستاذ عمر الطيبي .

* ابكار السقاف الشاعرة والفيلسوفة المتصوفة انتهت من اعداد مواد كتابها الثاني وكله من اشعارها . كتابها الاول عن « اصل الاديان » في مجلدين كبيرين ، يعد اكبر واشمل كتاب وضع عن الاديان بالعربية حتى اليوم .

* ترجم الدكتور حسين مؤنس كتاب « الشعر الاندلسي » الى العربية للمستشرق الاسباني كرثيبا كوميث الذي يعمل اليوم سفيرا لبلاده في الجمهورية العراقية

* « الحرام » قصة ليوسف ادريس الجديدة ناقشها اعضاء نادي الخرجين في بدء موسمهم الثقافي.

* « سبحات الخيال » ديوان يضم ما لم ينشر من اشعار المرحوم علي الجارم يقوم بطبعه ورثته بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته .

* احرز السيد عبد الرحمن فهمي من الاقليم المصري على الجائزة الاولى لاكمال « قصة الرئيس جمال » .

* « ارض الميعاد » كتاب جديد للدكتور حسين فوزي النجار يناقش فيه كذب النبوءة الدينية التي تدعيها الصهيونية بأدلة علمية مستقاة من التوراة والانجيل والقرآن وقد صدر حديثا

* ترجم صلاح عز الدين الى العربية « الينبوع » للكاتب الاميركي يوجين انيل ، وترتبط حوادث هذه المسرحية باسطورة تاريخية آمن بها الناس في فترات مختلفة من تاريخ البشرية ؛ وهي اسطورة « ينبوع الشباب » ويؤمن بطل المسرحية في النهاية بان الحياة ينبوع دائم متدفق .

* قام الدكتور جورج حوراني من رجال قسم دراسات الشرق الادنى بجامعة متشيجان باعداد وترجمة كتاب عربي قديم الى اللغة الانجليزية . وعنوان هذا الكتاب الذي يرجع عهده الى القرن الثاني عشر هو « كتاب فصل المقال » من تاليف الفيلسوف ابن رشد . ويقوم الكتاب على اساس مخطوطين عربيين لهذا المجلد حصل عليهما عن طريق نقلهما من شريط فيلم مصغرلهما في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وتشترك في مهمة طبع هذا الكتاب اللجنة الدولية لترجمة اشهر الكتب التابعة لهيئة اليونيسكو . والدكتور الحوراني هو ايضا مؤلف كتاب « رحلات العرب البحرية في المحيط الهندي » .

* يكتب الاستاذ كمال نشات سلسلة احاديث عن الشعر المهجري تتناول خصائصه والتجديد فيه ، وتذاع في البرامج الموجهة لاميركا اللاتينية من اذاعة القاهرة .

* اعيد نشر ديوان المرحوم اسماعيل صبري بمناسبة الاحتفال بذكراه .

※ اشعار وقصص ومقالات ابراهيم ناجي التي نشرت في الجرائد والمجلات منذ عام 1927 تجمع لتصدر في كتاب .

※ عثر في مكتبة الشاعر اسماعيل صبري على عدة خطابات تاريخية تبودلت بينه وبين مصطفى كامل واحمد شوقي والشيخ محمد عبده ومي زيادة وستطبع كلها في كتاب .

※ وقع العثور في مكتبة طلعت التي ضمت اخيرا الى دار الكتب المصرية على مسرحية جديدة لشوقي بعنوان « عذراء الهند » وقد كتب شوقي هذه المسرحية عام 1897 ، وتعتبر اولى محاولاته في المسرح الشعري .

※ يترجم الى اللغة الايطالية كتاب «الانثى الخالدة» لابراهيم المصري .

※ خصص المجلس الاعلى للآداب والفنون بالاقليم المصري جائزة سنوية للتأليف المسرحي تشجيعا للكتاب المسرحيين

※ تأسست في القاهرة عدة جمعيات موسيقية مهمتها نشر الثقافة الموسيقية وترغيب الطلبة في سماع الموسيقى .

※ بدأت وزارة الثقافة بالاقليم المصري بطبع المسرحيات الاولى في سلسلة « المسرحيات العالمية » . ومن المسرحيات التي تم طبعها « اعمدة المجتمع » لابسن و « الشقيقات الثلاث » لتشيخوف .

※ قدمت الوكالة الدولية لعلوم الذرة ست منح دراسية « للذرة في خدمة السلام » فاز باحداها الطالب العربي احمد بن المليجي من الاقليم المصري .

※ ينشر الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في جريدة « الشعب » المصرية مسرحية شعرية متسلسلة تقع في خمسة فصول بعنوان « مأساة جميلة » .

※ فقد لبنان اخيرا الكاتب الشاعر عبد الله غانم .

※ ترجم الاستاذان جورج سالم وموريس جانجي من لبنان كتاب « سوء التفاهم » لالبير كامو وصدر في الايام الاخيرة .

※ الامير عبد الله الصباح اجرى على الشاعر القومي الكبير رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي معاشا شهريا قيمته بالفرنك المغربي 000 150

※ يعقد مؤتمر الدراسات الفلسفية والانسانية في لبنان خلال السنة القادمة .

※ ينتج قريبا اول فيلم لبناني بالالوان يضم عناصر فنية لبنانية وعنوان الفيلم « ليالي لبنان »

※ بين اطلال معابد بعلبك في لبنان اقيم المعرض الدولي السنوي للموسيقى والمسرح والرقص التوقيعي من 25 غشت الى 31 منه . ومن الفرق الفنية المشهورة التي شاركت في هذا المهرجان العالمي فرقة روما الموسيقية وفرقة نيويورك وفرقة مسرح مونبارناس الباريسية وباليه رامبرت في لندن . ومن لبنان اشترك في المهرجان فرقة للفلكلور اللبناني بقيادة صبري شريف وقدمت في نهاية المهرجان مختارات من الرقص التقليدي والاغاني واللوحات الحية .

※ اودع الوزير المفوض شارل عمون مندوب لبنان الدائم لدى اليونيسكو باسم حكومته وثائق انضمام لبنان الى الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف . وبذلك يصبح عدد الدول المنضمة الى هذه الاتفاقية 32 دولة تتعهد بحماية المؤلفات الاجنبية حمايتها للمؤلفات القومية .

※ سيقام لابي العلاء المعري تمثالان واحد في دمشق والآخر في معرة النعمان .

※ « حياة قاسية » مجموعة قصص صدرت في بغداد للقاص شاكر خصباك .

※ تظهر قريبا ترجمة كتاب « الديمقراطية » للفيلسوف الانجليزي برتراند راسل الذي قام بترجمته الى العربية السيد عدنان ابن ذريل من الاقليم السوري.

※ سيبتدىء العمل في هذا الشهر بانشاء المكتبة العامة الكبرى بدمشق وتقدر تكاليف بنائها بـ 4 ملايين ليرة .

※ اصدر الدكتور سعدون حمادي رئيس تحرير جريدة الجمهورية العراقية كتابا بعنوان «نحن والشيوعية في الازمة الحاضرة» .

* اصدرت الحكومة الهندية في الايام الاخيرة كتابا أبيض يحتوي على 110 صفحة ويضم جميع المذكرات والرسائل التي تبودلت بين الهند وبكين من سنــــة 1954 الى 1959 .

* صدر للكاتب الهندي سر دار بانيكار كتاب بعنوان « كتلة الدول الاسيوية والافريقية ومشاكلها » ويقول فيه مؤلفه « ان اهم مشكلة تعانيها دول هذه الكتلة هي اقرار النظام وتحسين الحالة الاقتصادية » .

* الامير صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة، يصدر قريبا ديوانا بعنوان « اشواك » وقد صدر له من قبل ديوانان هما « الفواغي » و « وحي الحق »

* طلبت دائـرة معارف الكـويت من دار الكتب المصرية ان تعيرها كل الكتب القديمة التي تتناول تاريخ الكويت استعدادا لعمل موسوعة كويتية وقد بلغ عــدد الكتب التي تؤرخ للكويت 3 آلاف كتاب منها مخطوطات قـديمــــة

يقوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري بوضع القانون الاساسي لنظام الدولة في الكويت

* عاد الى الهند العالم الهندي الكبير المعروف في اوساط المستشرقين الاستاذ محمد نظام الدين بعد ان قضى عاما كاملا في مركز الدراسات الشرقية في جامعة هارفارد بدعوة من مؤسسة فورد لاجراء بحــــوث في العلوم الاسلامية خلال العصور الوسيطة ، وعلى الاخص اعمال مؤرخ وفيلسوف القرن الحادي عشر ابي ريحان محمد البيروني . ويدير الاستاذ نظام الدين في حيدر آباد مكتب المنشورات الشرقية في جامعة آوسمانيا . وهو المكتب الذي يتولى نشر المؤلفات العربيـــة غيــر المعروفة التي تتناول الآداب والفلسفة والتاريخ والدين والعلوم من القرن السابع الى القرن الخامس عشر . وقد استطاع هذا المكتب منذ سبعين عاما حتى اليوم ان ينشر اكثر من 350 مجلدا اخذت مراجعها من المخطوطات النادرة الموجودة في مكتبات أوربا الغربية والاتحــــاد السفياتي وتركيا والجمهورية العربية المتحدة والسعودية وايران وهكذا وضع مكتب حيدر اباد كنــــوز الادب العربي في متناول جمهور المستشرقين . وأما مؤلفات الاستاذ نظام الدين فتتناول الاعمال العلمية كمؤلفات البيروني (مؤلف الانسكلوبيديا الفلكية) والــــرازي (مؤلف الانسكلوبيديا الطبية في القرن العاشر)

* توفي منذ بضعة ايام الروائي الياباني المعروف تكاي كافو عن ثمانين سنة في بيته الواقع خارج طوكيو . وقد عرف عن هذا الكاتب انه كان بوهيميا ، وكانت جل كتاباته تعنى بالمشاكل الاجتماعية والتقاليد في بلاده .

* عن 77 سنة توفي الكاتب زاده عبد الله شيخ احد كبار كتاب اذربيجان ، وقد عرف عبد الله شيخ شاعرا نابغا ، وناثرا ومؤلفا مسرحيا ، ومن أهم مؤلفاته قصته « أراز »

* يقوم الكاتب الروسي بوريس باسترناك الفائز بجائزة نوبل للاداب بترجمة آثار رابندرانات طاغور الى اللغة الروسية ، وستنشر في سنة 1961 بمناسبة مرور مائة سنة على ولادة الشاعر طاغور .

* اكتشفت من ضمن محفوظات ليننغراد رسائل هامة ومخطوطات لتيمور كوبر ، وجان جاك روسو ، وهنريخ هانيه ، وهنز كريستيان اندريس، ووالتــــــر سكوت وسواهم من الكتاب .

* باللغة الروسية صدرت في ليننغراد مجموعة من القصص الشعبية لاثيوبيا والسودان بمقدمة البروفسور ديمتري اوليدروجيه الذي ذكر ان القارىء الروسي سيتعرف لاول مرة على القصص الشعبية لهذيـــــن القطرين ، وتشمل هذه المجموعة 35 قصة .

* وقع العثور في أثينا على ثلاثة تماثيل رائعة قرب ميناء بيرايوس .

* اخترع العالم الموسيقي النمساوي برنو هلبرغر جهازا يشبه الارغون سماه «هليوفون» يدار بالكهرباء تكون انغامه بموجات كهربائية وتتحول الى انغــــام صوتية عن طريق مكبر الصوت ، ويقول عنه مخترعه انه الالة الموسيقية التي ستسود في المستقبل . وقــد استغرق اختراع هذا الجهاز واحدا وثلاثين عاما ولانغامه خاصية غير عادية الى حد انها الآن تجرب في عــــلاج المصابين بامراض عصبية ، ويقول هلبرغر ان الموسيقى المنبعثة من هذا الجهاز ستحل يوما محل الحبوب المنومة

* وجهت جمعية الاسلام في النمسا نداء حـارا في مجلة « العرب » الباكستانية تنادي فيه مسلمي العالم لمساعدتها في انشاء مدارس ابتدائية لابناء المهاجرين في النمسا من التركستانيين والقــــازاق والبلغاريـــــن والرومانيين والالبانيين وغيرهم .

※ فى الايام الاخيرة مثلت رواية « الصفقة » لتوفيق الحكيم على المسرح اليوغسلافي .

※ نظمت شعبة اليونيسكو القومية فى بولندة اسبوعا اطلقت عليه اسبوع « الشرق والغرب » بقصد اطلاع طلبة العلم ورجاله على ثقافات الشرق وفنونه واساليب الحياة الحديثة فيه . وقد قدم طلبة احدى المدارس فى فارصفيا « لوحات من الادب الياباني » . وفى فارصوفيا وكراكوفيا نظم طلبة المدارس المرتبطة باليونيسكو سلسلة من الاجتماعات والمعارض والمحاضرات والحفــــلات السينمائية ، تناولت شتى المظاهر الثقافية فى الشرق . ومن المعارض التي اقامها الطلبة مثلا معرض اليونيسكو للوحات المصغرة الفارسية . وفى لودز نظم « مركــز الشباب الثقافي » معرضا للفن الهندي ومحاضرات عن الهند واليابان وآسيا بوجه عام . كما نظمت مناظرات فى لودز وكراكوفيا اشترك فيها طلاب شرقيون . وفى « تورون » نظم طلبة معهد المعلمين سهرات ليلية القيت فيها محاضرات عن الثقافة العربية صحبتها قراءات فى الشعر العربي ومعزوفات موسيقية شرقية .

※ احتفلت مؤخرا رومانيا بمرور مائة وخمسيـــن سنة على ميلاد الكاتب الروسي نيقولا كوكول ، فنشرت مجموعة مؤلفاته فى ستة اجــزاء ، وقــدمت الفـــرق المرحية رواياته كما قدمت الفرق الموسيقية مقطوعات استوحاها الموسيقيون الروس من مؤلفاته . وافتتح فى بيت الصداقة الرومانية ببوخارست معرض للصور التي تمثل حياة هذا الكاتب ونشاطه الادبي .

※ عقد بولاية ميسوري بالهند مؤتمر للبحث فى ثقافة وتقاليد الشرق والغرب .

※ احتفل فى كابل بافتتاح المكتب الثقافي العربـي الذي انشأه قسم التعاون والتبادل الثقافي بـــوزارة التربية للجمهورية ع . م

※ عقد مجلس المتاحف الدولـي مؤتمـره العام الخامس فى ستكولهم ، واشترك فيه اكثـر مــن 350 خبيرا من 30 بلدا . وقد كان موضوع الاجتماع يدور حول «المتاحف ــ مرايا لها قدرات وحدود» والقيت فى هذا المؤتمر محاضرات ثلاث قدمها خبراء من النرويج والدانمرك والسويد ، استعرضوا فيها مشكلة المتحف من ناحية الزائر العادي ، فقالـوا ان من اهـم وظائف المتحف الرئيسية اذاعة المعارف بطريقة جذابة ، سـواء كان ذلك فى قاعة العرض الفنية او فى المتاحف التاريخية او العلمية او الاجتماعية او غيرها . وقد زار احــدى الجلسات العامة جوستاف ملك السويـد . وفي تلك الجلسة نوقشت موضوعات عدة منها «نشاط المركـز الدولي للدراسات الخاصة بصون الآثــار الثقافيــة وترميمها» وهو المركز الذي انشيء برعاية اليونيسكو فى روما ، كما نوقشت الامكانيات الجديدة التي يمكـن ان يوفرها للمتاحف الفيلم والتيلفزيـــون ، واهميـة المتاحف فى نطاق برنامج اليونيسكـو الكبيـــر لتبادل القيم الثقافية فى الشرق والغرب وضرورة تحسيـن خدمات المتاحف وتوفير التسهيلات الممكنة التي تكفل اجتذاب عدد اكبر من الزائرين ، واخيرا ناقش المؤتمر المسائل الفنية المتعلقة بالنواحـي المهنية الخاصـة بالمتحف ، وقد قرر المجلس عقد جلسته المقبلـة فـي هولنـــدا .

※ على اثر اجتماع المؤتمر الثامن لمعهد المسرح الدولي فى هلنسكي ناقش خبراء المســرح فى العالــم اتجاهات المسرح المعاصر . وفى هذه المناقشات اجتمع ممثلو الفن المسرحي فى ثلاث وثلاثين بلدا وعلى راسهم رائد المسرح المعاصر اوجين اويونسكو الذي افتتح المناقشات حول « اتجاهات الغد فى المسرح المعاصر».

※ عقد فى بادغودسبرغ بالمانيا مؤتمـر اتحـــاد التراجمة الدولي حول موضـوع «التـوع فى مـــادة الترجمـة»

※ احتفلت دار النشر الالمانية «كوتـا» الشهيرة بــذكـرى ثـلاثمئـة سنـة علـى ميـلادهـا ؛ وفى هذه الدار كان اكبر الكتاب والشعراء والفلاسفة الالمان ينشرون انتاجهم كغوته ، وشيلر ، وهمبولـد ، وغيرهم من عباقرة الالمان . وبهـذه المناسبة عرضت هذه الدار وثائق ورسائل خطيـة لاشهـر الكتـــاب الكلاسكيين والمعاصرين الالمان التي كانت تحتفظ بها. وقد نشرت هذه الـدار 25 000 مخطوطــا لاهم شخصيات الادب الالماني فى القرن التاسع عشر، وتوجد هذه المجموعة فى متحف «شيلر» .

※ بحضـــور اعضــاء مــن بولونيـا واوستيريـا والجمهوريـة الفيديراليـة الالمانيـــة ، والدينمـارك ، وسويسـرا عقد مؤتمر للاطباء واللاهوتيين فى مدينـــة فـو لـــدا .

✻ اجتمع اخيرا في لنداو بالمانيا جميع الفائزين بجائزة نوبيل للفيزياء ليتناقشوا في ابحاثهم الجديدة .

✻ في فرانكفورت عقد مؤتمر ادبي حضره اكثر من 500 كاتب من 38دولة ، وكان موضوع المؤتمر «الادب في عصر العلوم» .

✻ فاز مدير اوركسترا مونيخ البروفسور موتو والتير بجائزة الثقافة لمدينة مونيخ ، منذ سنة 1913 الى 1925 وهو مدير لاوركيسترا مونيخ . ومن سنة 1941 وهو يقيم في الولايات المتحدة وبعد الحرب العالمية الثانية عاد الى مونيخ وتبلغ قيمة هذه الجائزة 15 000 مارك .

✻ توفي اخيرا في برلين الرسام الشهير جورج كروتش عن 66 سنة .

✻ في دار الفن بمونيخ افيم معرض للفن الصيني افتتح من 17 اكتوبر الماضي ، وسيستمر الى غاية دجمبر من هذه السنة ، ولهذا المعرض اهمية كبرى .

✻ احتفل في فرانكفورت بتاريخ 7 الى 12 اكتوبر الماضي بعيد الكتاب الحادي عشر ، وقد حضر في هذا الاحتفال ممثلون عن دور النشر من 25 دولة وعرضوا فيه الجديد من منشوراتهم كما قدموا فيه اسطوانات ادبية .

✻ بمناسبة تدشين المركز الاتحادي للابحاث الارضية بمدينة هنوبر بالمانيا ذكر رئيس هذا الاتحاد في خطابه أن مهام هذا الاتحاد هو مساعدة البلدان الناشئة في آسيا وافريقيا .

✻ احتفلت جامعة فريبوك بالمانيا بذكرى الفيلسوف ادموند سيرل .

✻ قدم مدير جامعة بون البروفسورستيودل جائزة فان تينهوبين التي تبلغ 10 000 مارك الى البحاثة البولوني البروفسور فاليري كوتيل لابحاثه حول الطبيعة .

✻ يبلغ عدد دور النشر بالمانيا الفيديرالية على حسب الاحصاءات الاخيرة 2294

✻ في جنيف صدرت مجلة باللغة الفرنسية بعنوان «العالم العربي»

✻ تم في المدة الاخيرة تشييد «دار الكتب الالمانية» التي تتكون من تسعة دور بالقرب من جامعة فرانكفورت بالمانيا وقد خصصت لجمع المطبوعات التي ظهرت باللغة الالمانية بعد الحرب ، ويضم مبنى المكتبة برجا يبلغ ارتفاعه 25 مترا يستخدم مستودع لخزن المطبوعات فيه .

✻ بتاريخ 22 شتمبر الماضي توفي بباريس في مستشفى بونيكالط الشاعر الفرنسي الكبير بنخامين بيريت ، ويعتبر من مدرسة السورياليسم الشعرية التي غيرت اتجاه الشعر الفرنسي منذ 1920 وكانت ولادته في مدينة نانيتس سنة 1899 .

✻ من 21 غشت الى 11 شتمبر عقدت اللجنة الاستشارية الدولية للبرامج المدرسية دورتها الرابعة في دار منظمة اليونيسكو بباريس لدراسة اتجاهات التعليم الثانوي ومشاكله . وفي هذا الاجتماع ناقش الاعضاء — وجميعهم من كبار المسؤولين عن التعليم العام في بلادهم — الاغراض الاساسية من التعليم الثانوي والشكل البنائي الذي يتميز به ، ومشاكل التوجيه المدرسي ، ومحتوى البرامج والسبل الى تجنب التعقيد فيها ومحاولة جعل التعليم المتخصص انسانيا، ويتبين من الوثائق المعروضة على اعضاء هذه اللجنة الدولية أن بلادا كثيرة قد ادركت ضرورة اصلاح برامج التعليم من اساسها ، ومن ثم تبينت قيمة تبادل الخبرة والتجارب في أوسع نطاق دولي ، فضلا عن تبادل المشروعات ونظريات التربية المختلفة .

✻ ستصدر اعمال المؤتمر الذي عقدته اليونيسكو اخيرا في باريس عن الحساب الالكتروني للمعلومات ، وتتعاون في اصدار هذه الاعمال دار أولد نبورج فرلاج في مونيخ . وسيشمل المؤلف النصوص الكاملة بالانجليزية والفرنسية لبحوث المؤتمر التي يبلغ عددها ستين ، مع موجزات لها بالفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية والاسبانية، وسيشمل المجلد ايضا موجزات عن محاضر مناقشات المؤتمر مع مقدمة المناقشات وخاتمتها الى جانب تقرير عام عن المؤتمر ، وقائمة كاملة باسماء المشتركين ، وسيقع المؤلف في حوالي 600 صفحة ، وينتظر ظهوره في شهر مارس سنة 1960 .

❊ رفعت الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان دعوى على كاتب هولندي ناشيء اسمه تيبدور دينيسين الذى سرق عن كتابها «ابتسامة ما» فصولا وحشرها فى كتابه الموسوم «كالفجر» .

❊ ظهر فى واجهات مكتبات فرنسا فى شهر سبتمبر الرواية الرابعة لساغان بعنوان «هل تحب براهمز» .

❊ توفي فى فرنسا الكاتب الفرنسي هنري بورد الذي ناهز السبعين من عمره .

❊ نعت باريس الاديب الفرنسي رينه بوكوي، كما نعت اديبها الشاب جان روفرزي .

❊ احرز الكاتب الفرنسي الشاب دانييل دروود على جائزة «جون فيرن» التي تمنح لأحسن كتب السنة القصصية ، وعنوان كتابه الفائز «مساحة الكوكب» .

❊ الروائي الفرنسي جاك لازمان احرز على جائزة مؤسسة ديل دوكا السنوية ، وقيمتها مليون فرنك .

❊ ستفتح فى باريس قاعة سينمائية تقدم تجديدا ثوريا فى عالم السينما ، فالافلام الاجنبية لن تعرض فيها مع الترجمة المطبوعة فى أسفل الصورة ، وانما يستطيع المتفرج أن يستعمل سماعة تشبه الآلة التي يضعها عامل الهاتف او اللاسلكي فوق اذنيه تكون موضوعة الى جانب كل مقعد ، وتنقل اليه حوار الفيلم باللغة التي يختارها كالطريقة المتبعة فى المؤتمرات الدولية .

❊ احرز على اكبر جائزة للشعر الحديث فيباريس الشاعر الفرنسي ليونيل ريتشارد ، وكان رئيس لجنة تحكيم هذه المسابقة الشاعر الفرنسي الاكاديمي جان كوكتو

❊ اقيم فى الأيام الاخيرة فى متحف اللوفر بباريس معرض تحت عنوان «الحياة الخاصة فى اليونان وروما» ويهدف هذا المعرض الى ابراز كافة مظاهر الحياة العائلية فى اثينا وروما ، كما أنه يحاول ادخال الزوار الى الاجواء الداخلية لمنازل اليونان وروما القديمة وقد حرص المشرفون على المعرض المذكور على استعمال التماثيل الرخامية والنحاسية والاواني المصنوعة من الآجر

❊ توفي مؤخرا الفنان الفرنسي ايدين بوفي في منزله بمنطقة النورماندي شمال فرنسا عن 64 سنة ، وقد ولد هذا الرسام فى مدينة تولوز ، وبدات شهرته على اثر عرضه مجموعة من اللوحات فى صالون الفنانين الفرنسيين فى مطلع هذا القرن .

❊ بلغ الفيلسوف الوجودي الفرنسي الكبير جبريل مارسيل فى الشهر الماضي عامه السبعين ، وهو يعد احد اعمدة الفلسفة الوجودية المسيحية ، ورغم نشاته فى اسرة ملحدة فانه يعتبر احد الفلاسفة المؤمنين المعدودين فى هذا العصر . بدا الفلسفة فى سن الاربعين ، وكان أول فيلسوف يقرر أن يكون الفيلسوف اديبا وكاتب المسرحية ، وقد كتب عدة مسرحيات ضمنها آراءه الفلسفية ، وتقوم فلسفته على عنصرين اساسيين هما الامل والوفاء ، وكانت أهم مشكلة فى فلسفته هي مشكلة الحب والاتصال بالآخرين ومن اهم كتبه الفلسفية «سر الوجود» و «الكينونة والملكية» وقد كتب عدة دراسات نقدية ووجه عناية خاصة لنقد جان بول سارتر .

❊ كاتبة فرنسية جديدة بعد فرانسواز ساغان اسمها «جانين اوريانو» كتبت رواية عن حياة شاب جزائرى فى فرنسا ، واسم الرواية «دريس» وتلتقي فيها المؤلفة كثيرا مع وجهة النظر الجزائرية .

❊ تأسست فى باريس مدرسة لتعليم فنون الجاذبية والذوق للنساء

❊ يباع فى مكتبات فرنسا كتاب جديد مترجم الى الفرنسية لوليام سابويان ، وقد قام بترجمته اني بلانشيط .

❊ اختير الكاتب الفرنسي هنري ترويات ليشغل الكرسي الشاغر الذي تركه كلود فرير بالأكاديمية الفرنسية .

❊ احدث فى فرنسا عرض فيلم «العلاقات الخطرة» ثورة فى فرنسا ، لانه يهدف الى اثارة الغرائز الجنسية .

* تقيم معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سلسلة من المحاضرات حول التعليم باللغة العربية لغير العرب ، وقد شارك في هذه المحاضرات عميد الجامعة المغربية ، والبروفسور شارل بيلي من جامعة باريس ، والسنيور فيروكوسوس مدير مركز اللغات بواشنطن ، والبروفسور فليكس والتير رئيس مكتب اللغات باليونيسكو بالمغرب وغيرهم من الشخصيات الاسبانية والفرنسية والالمانية والانجليزية والامريكية

* احتفل اخيرا باسبانيا بالذكرى الخمسينية لوفاة الموسيقي الاسباني العالمي البينث .

من 3 الى 9 اكتوبر الماضي افتتح في مدينة بيلباو باسبانيا مهرجان للوثائق السينمائية الاسبانية الامريكية ، وقد نظم هذا المهرجان معهد الثقافة الاسبانية .

* فاز بجائزة مارش للآداب باسبانيا المستعرب الاسباني الدكتور مياس فييكروسا الاستاذ بكلية الآداب بجامعة برشلونة ، وقيمة هذه الجائزة 1 000 000 بسيطة .

* نشرت مجلة «البريد الأدبي» في عددها 173 التي تصدر بمدريد ترجمات لانتاج اشهر شعراء تركيا المعاصرين مع نبذة عن حياة كل واحد منهم .

* فاز بجائزة «بوشكان» الشعرية الشاعر الاسباني رفائيل سانطوس طورايا ، وتقدم هذه الجائزة مدينة برشلونة .

* وقع الاكتشاف في جزيرة القديسة هيلانة على انجيل يرجع عهده الى ماقبل 1500 ، ويتكهن كبار رجال الدين في الجزيرة بان الانجيل هو من مخلفات الأب انطونيو الذي كان يحتفظ بالتحف الدينية والاناجيل الخطية ، ومما يجدر ذكره ان الانجيل مكتوب باللغة العربية .

* احتفلت في شهر شتنبر الماضي جميع دور الاوبيرا في العالم بذكرى الموسيقي الخالد فيردي ، وقد اختارت اوبيرا فيينا روايته «عائدة» لعرضها بهذه المناسبة .

* ستنقل قصص «عيد الميلاد» لشارل ديكنز الى السينما .

* مضت مئتان وخمسون سنة على وفاة الاديب العالمي الكبير صوميل جونسون الذي نافس مجمع الخالدين في وضع قاموس للغة ، وانتصر على اعضاء المجمع الاربعين ، واستطاع ان يضع هذا القاموس، وان ينجح فيما فشلت فيه اكاديمية باريس . وتخليدا لذكراه احتفلت به الاوساط الادبية ، والهيئات الثقافية في الاسابيع الاخيرة .

* «الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي» هو موضوع الرسالة التي قدمها الدكتور محمد ابراهيم الشوشي لمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن وحاز عليها لقب الدكتوره بامتياز . وهذا هو ثالث مثقف سوداني يحصل على الدكتوره في الآداب من لندن .

* من 22 الى 24 شتمبر الماضي عقد المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية — وهو مجلس يجمع عددا كبيرا من الاتحادات العلمية العالمية للعلوم والفلسفة والانسانية — دورته الخامسة في ان اربون بمتشيجان بالولايات المتحدة وكان من جدول اعمال هذه الدورة :

— اشتراك المجلس في اعمال اليونيسكو الخاصة بترجمة روائع الفكر العالمي — ولهذه الاعمال لجان دولية في مختلف الاقاليم الثقافية في العالم كلجنة بيروت لترجمة الروائع العربية واليها .

— المساهمة في تنسيق برنامج النشاط الخاص بمشروع اليونيسكو لتبادل القيم الثقافية في الشرق والغرب .

— النظر في البحوث الخاصة بالوثائق التاريخية الموجودة في ادارات المحفوظات في البلاد المختلفة وغيرها من المكتبات الكبرى في العالم .

— مناقشة دور العلوم الانسانية في العالم الحديث

* اشترت الحكومة الاميركية البيت الذي نشأ فيه ترومان ، رئيس الجمهورية السابق ، واتخذت منه متحفا للتاريخ وقال ترومان يصف شعوره ازاء هذا الموقف «انه شعور الانسان بأنه دفن في قبر ، ثم اخرجت جثته مرة ثانية ، وهو لايزال على قيد الحياة»

* في المؤتمر الذي عقده وزير التربية في الولايات المتحدة صرح بأن وزارته وضعت برنامجا تعليميا جديدا واسع النطاق لدراسة لغات وثقافة شعوب الشرق الاوسط وافريقيا وجنوب آسيا ، واعلن ان هذا البرنامج سيوضع موضع التنفيذ في هذه السنة

الدراسية ، وزاد قائلا «ان الشعب الاميركي ليس فى حاجة الى تعليم المزيد من لغات تلك الشعوب بقدر ماهو فى حاجة الى التعرف على ثقافتها ليستطيع ان يقيم بينه وبينها علاقات ثقافية وثيقة العرى فعالة الاثر . ومضى الوزير فى شرح تفاصيل هذا المشروع فقال انه سيكلف خزانة الدولة 3 ملايين دولار تنفق على انشاء مراكز دولية للتعليم ودرس اللغات الاجنبية ومنهاج البحوث ، واعلن الوزير اخيرا انه قد تم الاتفاق على اقامة 19 مركزا فى جامعات الولايات المتحدة لتحقيق اهداف هذا المشروع .

❊ اقيم خلال انعقاد المؤتمر السنوي لمنظمة الطلاب العرب بامبركا معرض للفنون العربية .

❊ خلعت جامعة بوينوس ايرس الدكتوراه الشرفية على رئيس المجمع الملكي الاسباني مينينديث بيدال .

❊ يجول فى هذه الايام فى عواصم اوربا معرض للفن المكسيكي .

❊ عقدت فى مدينة روساريودي سانتا بالارجنتين ندوة حول «الشعر الاسباني المعاصر منذ عشرين سنة 1939 – 1959 ، درسوا فيها حلقات تطوره ومظاهره ، ومروا فى دراستهم بجميع الشعراء الذين نتجوا فى هذه المدة .

❊ ارسلت جامعات امبركا اللاتينية تطلب من المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة ترجمة لحياة عدد من العلماء العرب وعكف بعض اعضاء المجلس على كتابة هذه التراجم .

❊ عثر فى مدينة المكسيك على هيكل عظمي للفيل المنقرض ، وقد وجد الخبراء ان عمر هذا الفيل يربو على 8 آلاف سنة .

❊ دل احصاء اجري اخيرا فى امبركا على ان 31 فى المائة فقط من خريجي معاهد الصحافةالاميركية يختارون بالفعل مهنة الصحافة ، اما الباقون فيفضلون الاشتغال بالاذاعة والتيلفزيون والدعاية ، ويرجع ذلك الى انخفاض اجور الصحفيين فى الآونة الاخيرة نتيجة للهبوط الكبير الذي اصاب توزيع الجرائد والمجلات الاميركية .

❊ اعلنت الاذاعة الوطنية انها نظمت مسابقة فى التمثيلية الاذاعية فى مواضيع اجتماعية مغربية وخصصت لها جوائز ، وينتهي موعد تقديم هذه المواد لهذه المسابقة فى اواخر شهر دجمبر وستعلن عن اسماء الفائزين فى مؤخر شهر يناير .

❊ اشرنا فى الانباء الثقافية للعدد الماضي بانعقاد المؤتمر الثالث للاثار الاسلامية العربية فى المغرب خلال شهر اكتوبر ، وقد اجل انعقاد هذا المؤتمر الى 7 من هذا الشهر وسيستمر الى 17 منه ، وسيعقد بمدينة فاس ، بحضور 35 عضوا من العلماء الاثريين العرب من 10 دول .

❊ غادر المغرب قاصدا باريس السيد محمد التوسي لمتابعة دراسته الموسيقية فى العزف على البيانو والصولفيج والتاليف الموسيقي ، والقيادة الموسيقية

❊ نشرت الجريدة الرسمية فى عددها 2433 والمؤرخ بـ 12 يونيو ظهيرا احدث بمقتضاه المجلس الاعلى للتربية الوطنية عملا على ضمان الاستقرار فى السياسة التعلمية للبلاد ، وان من اختصاص هذه الهياة الاستشارية التي تساند وزير التربية ابداء رايها لزاما فى كل المشاريع الاصلاحية المتعلقة بجميع انواع التعليم ، وكذلك فى كل قضية وطنية لها علاقة بالتعليم او الثقافة ولو لم تكن داخلة مباشرة فى اختصاصات وزارة التربية .

❊ نشرت الجريدة الرسمية فى احد اعدادها الاخيرة مرسوما يعلن بانه من المصلحة العمومية احداث مدرسة ثانوية اسلامية بنجد بطانة بمدينة سلا .

❊ كان الهدف الرئيسي للمناظرة الثقافية التي نظمت اخيرا بمدريد تلقين اللغة العربية لغير العرب ، والبحث فى الحلول لتبسيط مبادىء النحو والمفردات اللغوية والطباعة واساليب التلقين ، وحصر المفردات الرئيسية فى ثلاثة آلاف كلمة .

❊ افتتحت وكالة «طاس» السوفياتية للاخبار فرعها بالرباط . وقد احتفلت السفارة الروسية بالعاصمة بتدشين هذا المركز .

❊ ان المتتبع لصحافة الشرق فى الايام الاخيرة وخصوصا لصحافة الجمهورية العربية المتحدة يقرأ فى صفحاتها الادبية رغبة ادباء الشرق فى انعقاد المؤتمر الخامس للادباء العرب فى المغرب .

❊ اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددها الاول من سنتها الخامسة خاصا بموضوع « دور الجامعة فى المجتمع » .

❊ زار تونس اخيرا وفد ثقافي سوفياتي بدعوة من اللجنة التونسية للحرية والسلام ، وكان يتركب من السادة : بيدجان غفوروف مدير معهد الدراسات الشرقية لاكاديمية العلوم السوفياتية ، والمستشرق عبد الرحمن سلطانوف رئيس القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية لاكاديمية العلوم السوفياتية ، ونائب رئيس جمعية الصداقة والتبادل الثقافي العربي، والصحفي كوبوتشين مدير مجلة « الشرق الجديد » وعضو جمعية الصداقة السوفياتية الافريقية ، والكاتب السوفياتي فاسين زخرتشكوف ، رئيس تحرير مجلة « التكنك للشباب » .

❊ احتفلت اسبانيا وايطاليا بذكرى 12 اكتوبر 1492 الذي اكتشف فيه كريستيان كولمب اميركا . ومعلوم ان المكتشف من اصل اسباني ومن مواليد ايطاليا .

❊ اصدرت وزارة الثقافة بالاقليم المصري طبعة جديدة من مقدمة ابن خلدون .

❊ « الشيخان » هذا هو اسم الكتاب الجديد الذي اصدره الدكتور طه حسين عن ابي بكر وعمر ، وامتازت الفصول الاولى من هذا الكتاب بتحليل فترة ما بعد الفتنة .

❊ اعلن المؤتمر الثقافي العربي الرابع الذي عقد فى دمشق من 5 الى 15 سبتمبر التوصيات التي اتخذها حول التربية الوطنية واهدافها واساليبها فى الدول العربية . ومنها توصية الدول العربية بعدم تشجيع انشاء مدارس اجنبية ، وسن التشريعات والقوانين لتحديد النشاط الضار بالتربية الوطنية لهذه المدارس، وكذلك العمل على تكوين راي عام عربي يحس احساسا مشتركا باهداف الامة العربية ، ويشارك ايجابيا فى تحقيق هذه الاهداف ، وبتبصير المواطنين بالاخطار التي تهددنا من الاستعمار والتبعية والصهيونية ، وخلق روح النضال لمقاومة هذه الاخطار وحث المواطنين على العمل الايجابي لاستخلاص حرية الاجزاء السليبة من الوطن العربي لفلسطين والجزائر وغيرهما ، واوصى المؤتمر بان تتضمن مناهج التربية دراسة شاملة لمشكلات الوطن . واقترح أن يكون موضوع المؤتمر المقبل « الكتاب المدرسي فى معاهد التربية العربية » .

❊ انتخب العلامة مصطفى الشهابي لرئاسة المجمع العلمي بدمشق خلفا للمرحوم خليل مردم .

❊ قررت وزارة الثقافة والارشاد بدمشق اقامة حفل للفقيد العلامة خليل مردم بك . وقد شكلت لجنة لوضع برنامج الاحتفال وتحديد موعد اقامته .

❊ نعت لبنان القانوني الكبير دعبيس المر .

❊ التحق 100 طالب جزائري بجامعات ومعاهد ج . ع . م . فى افتتاح هذا العام الدراسي

❊ صدرت مجلة جديدة باسم «الحياة فى اميركا» يديرها الصحافي اللبناني المعروف اديب مروة صاحب جريدة « الحياة » .

❊ صدر فى الكويت كتاب يضم مجموعة المقالات والبحوث والقصائد التي القيت فى المؤتمر الرابع للادباء العرب .

❊ نعت فرنسا فنانها الكبير ديدييه بوغيه عن 94 سنة .

❊ يدير جان بول سارتر حاليا على مسرح الرينيسانس الباريسي التمارين النهائية لتمثيليته الثامنة المسماة « غرفى التونا » .

❊ رفضت الجامعة تجديد مدة خدمة الدكتور حسين مؤنس مديرا لمعهد مدريد باسبانيا .

❊ فاز بجائزة نوبل للطب لهذه السنة 1959 عالمان اميركيان . الاول هو الدكتور سيفيروا اوشوا البالغ من العمر 54 وينحدر من عائلة اسبانية ، ويقوم الآن بتدريس الطب فى جامعة نيويورك ، والثاني هو الدكتور ارثور كورنبرج الذي يبلغ من العمر 48 سنة ، ويشتغل بالتعليم فى جامعة ستانفورد بكالفورنيا .

❊ المؤتمر السنوي الثامن لمنظمة الطلبة العرب باميركا ناقش موضوع « اتفهم اميركا ما هي حقيقة القومية العربية » ؟

فهرس العدد الثاني ـ السنة الثالثة

الصفحة